

ن ٤

كِتَابُ

اَدَبِ

الدُّنْيَا وَالِدِّينِ

تَأَلِيفُ

﴿ العالم العلامة * الجبر الفهامة * الامام الكبير * المحقق ﴾

﴿ الشهير * اقضى القضاة ابى الحسن على بن محمد بن ﴾

﴿ حبيب البصرى الماوردى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبع في مطبعة الجواب ﴾

﴿ قسطنطينية ﴾

سنة

١٢٩٩

OL 26438.79.2



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قال القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

المجد لله ذى الطول والآلاء * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والانبياء *
وعلى آله واصحابه الاتقياء * اما بعد فان شرف المطلوب بشرف نتائجه وعظم
خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه تجب العناية به وعلى قدر العناية به يكون
اجتناء ثمرته واعظم الامور خطرا وقدرها واعمها نفعا ورفدا ما استقام به الدين
والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والاولى لان باستقامة الدين تصح العبادة *
وبصلاح الدنيا تتم السعادة * وقد توخيت بهذا الكتاب الاشارة الى آدابهما *
وتفصيل ما اجل من احوالهما * على اعدل الامر من ايجاز وبسط اجع
فيه بين تحقيق الفقهاء * وترقيق الادباء * فلا ينبو عن فهمهم * ولا يدق في
وهمهم * مستشهدا من كتاب الله جل اسمه بما يقتضيه * ومن سنن رسول الله
صلوات الله عليه بما يضاويه * ثم متبعا ذلك بامثال الحكماء * وآداب البلغاء *
واقوال الشعراء * لان القلوب تراح الى الفنون المختلفة وتسام من الفن الواحد

وقد

وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان القلوب تمل كما تمل الابدان فأهدوا اليها طرائف الحكمة فكان هذا الاسلوب * يجب التنقل في المطلوب * من مكان الى مكان وكان الأمامون رحمة الله تعالى ينقل كثيرا في داره من مكان الى مكان وينشد قول ابي العاتية رحمه الله

* لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال * وجعلت ما تضمنه هذا الكتاب خمسة ابواب ﴿ الباب الاول ﴾ في فضل العقل وذم الهوى ﴿ الباب الثاني ﴾ في ادب العلم ﴿ الباب الثالث ﴾ في ادب الدين ﴿ الباب الرابع ﴾ في ادب الدنيا ﴿ الباب الخامس ﴾ في ادب النفس وانما استمد من الله تعالى حسن معونته * واستودعه حفاظ موهبته * بحوله ومشيئته * وهو حسي من معين وحفيظ

﴿ باب فضل العقل وذم الهوى ﴾

اعلم ان لكل فضيلة اسما ولكل ادب ينوعا واس الفضائل وينوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا عمادا فوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والفا به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم * وتباين اغراضهم ومقاصدهم * وجعل ما تعبدهم به قسامين قسما وجب بالعقل فوكده الشرع وقسما جاز في العقل فواجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى * او يرد عن ردى * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته زبه أما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروته خلقه وقال الحسن البصري رحمه الله ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو * والجهل انكى عدو * وقال بعض الابداء صديق كل امرء عقله * وعدوه جهله * وقال بعض البلغاء خير

المواهب العقل * وشر المصائب الجهل * وقال بعض الشعراء وهو ابراهيم
ابن حسان

- * يزين الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه *
- * يشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمت اعراقه ومناسبه *
- * يعيب الفتى بالعقل في الناس انه * على العقل يجري علمه وتجاربه *
- * وافضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الاشياء شئ يقاربه *
- * اذا اكل الرجن للمرء عقله * فقد كلت اخلاقه وما ربه *

واعلم ان بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وقد يتقسم
قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف
لا يجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه يمتاز الانسان عن سائر
الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قال صالح
ابن عبد القدوس

- * اذا تم عقل المرء تمت اموره * وتمت امانيه وتم بناؤه *
- وروى الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف
الناس فيه وفي صفته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به
بين حقائق المعلومات ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم
محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقالت طائفة اخرى منهم محله القلب لان
القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر لطيف
فاسد من وجهين ❖ احدهما ❖ ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها
ما لا يوجب ساورها ولو اوجب ساورها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل
بوجود نفسه عن وجود عقله ❖ والثاني ❖ ان الجوهر يصح قيامه بذاته
فلو كان العقل جوهرًا لجاز ان يكون عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون جسم
بغير عقل فامنع بهذين ان يكون العقل جوهرًا وقال آخرون العقل هو المدرك
للاشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى وهذا القول وان كان اقرب مما قبله

فبعيد من الصواب من وجه واحد وهو ان الإدراك من صفات الحى والعقل
عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون مثلذا او آلا او مشتها وقال
آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية وهذا الحد غير محصور
لما تضمنه من الاجال * ويتأوله من الاحتمال * والحدانما هو بيان الحدود
بما يتقى عنه الاجمال والاحتمال وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل
هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك
الحواس والثانى ما كان مبتدأ فى النفوس فاما ما كان واقعا عن درك
الحواس مثل المراتب المدركة بالنظر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة
بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان
يمن لو ادرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم لان خروجه
فى حال تغييض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم لا يخرج، من ان يكون كامل
العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك لعلم واما ما كان مبتدأ فى النفوس فكالمعلم
بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم
وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من
العلم لا يجوز ان ينتفى عن العاقل مع سلامة حاله وكال عقله فاذا صار عالما
بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل وسمى بذلك تشبيها
بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت كما يمنع
العقل الناقة من الشرود اذا نفرت ولذلك قال عامر بن قيس اذا عقلك عقلك
عما لا ينبغي فانت عاقل وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول فى العقل وهو ما
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور فى القلب يفرق بين الحق
والباطل وكل من نفى ان يكون العقل جوهر ا ثبت محله فى القلب لان القلب محل
العلوم كلها قال الله تعالى أفلم يسيرا فى الارض فنكون لهم قلوب يعقلون
بها فدللت هذه الآية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب
وفى قوله تعالى يعقلون بها تأويلان احدهما يعلمون بها والثانى يعتبرون بها

فهذه جملة القول في العقل الفريزي واما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الفريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة وليس لهذا حد لانه ينمى ان يستعمل وينقص ان اهل وتمامه يكون باحد وجهين اما بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى ولا صاد عن شهوة كالذى يحصل لذوى الانسان من الخنكة وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك جدت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم المشايخ اشجار الوقار * ومناجع الاخبار * لا يطيش لهم سهم * ولا يستط لهم وهم * ان رأوك في قبيح صدوك * وان ابصرك على جبل امدوك * وقيل عليكم بأراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطمع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر * وتصدت لاسماعهم آثار الغير * وقيل في منشور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه لا تدع الايام جاهلا الا اذنته وقال بعض الحكماء كنى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقال بعض البلغاء التجربة مرآة العقل * والفرعة ثمرة الجهل * وقال بعض الادياء كنى مخبرا عما بقى ما مضى وكفى عبرا لاولى الالباب ما جربوا وقال بعض الشعراء .

* ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب *

❖ وقال آخر ❖

* اذا طال عمر المرء في غير آفة * افانت له الايام في كرها عقلا *

واما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس في زمان غير مهمل للحدس فاذا امتزج بالعقل الفريزي صارت نتيجتهما نمو العقل المكتسب كالذى يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة الرأى حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلتمة بن علاثة عليكم بالحديث السن * الحديد الذهن * ولعل هرما اراد ان يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال لكن لم ينكرا قوله اذعاناً للحق فصارا الى ابى جهل لحداثة سنه *

وحدة ذهنه * فابى ان يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد

* يا هرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد اوتيت حكما مجبا *

وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم *
ولا استولت عليه رطوبة الهرم * وقد قال الشاعر

* رأيت العقل لم يكن انهابا * ولم يقسم على عدد السنين
* ولو ان السنين تقاسمته * حوى الابهاء انصبه البينسا *

وحكى الاصمعي رحمه الله قال قلت لفلان حدث من اولاد العرب وكان يحادثني
فامتني بفصاحة وملاحة أيسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانت احق
قال لا والله قال فقلت ولم قال اخلف ان يجني على حق جناية تذهب بمالي ويبقى
على حق فانظر الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط بجودة
قريحته ما لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة واحسن من هذا
الذكاء والفتنة ما حكى ابن قتيبة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بصبيان
يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا منه الا عبد الله فقال له عمر رضى الله
عنه ما لك لم لا تهرب مع اصحابك فقال يا امير المؤمنين لم اكن على رية فاخافك
ولم يكن الطريق ضيقا فافوسع لك فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفتنة وقوة
المنة وحسن البديهة كيف نفي عنه اللوم واثبت له الحجة فليس للذكاء غايه *
ولا لجودة القريحة نهايه * وحكى ان سليمان بن عبد الملك امر الفرزدق
بضرب اعناق اسارى من الروم فاستغاه الفرزدق فلم يفعل واعطاه سيفا لا يقطع
شيئا فقال الفرزدق بل اضربهم بسيف ابى رغو ان مجاشع يعنى سيف نفسه فقام
فضرب به عنق رومي منهم فنبأ السيف عنه فضحك سليمان ومن حوله فقال
الفرزدق

* أيعجب الناس ان اضحكت سيدهم * خليفة الله يستحق به المطر *

* لم ينب سيفي من رعب ولا دهش * عن الاسير ولكن آخر القدر *

* ولن يقدم نفسا قبل ميتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر *

ثم عمده سيفه وهو يقول

* ما ان يعاب سيدا اذا صبا * ولا يعاب صارم اذا نبا *

* ولا يعاب شاعر اذا كبا *

ثم جلس وهو يقول كأنى بآبن القين قد هجاني فقال

* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم *

ثم قام فانصرف وحضر جرير وخبر بالخبر ولم ينشد له الشعر فانشأ يقول

* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم *

ثم قال يا امير المؤمنين كاني بآبن المراغة وقد اجابني فقال

* ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا ثقل الاعناق حمل المغارم *

فاستحسن سليمان حدس الفرزدق على جرير ثم اخبر الفرزدق بشعر جرير ولم

ينجبه بمحده فقال الفرزدق

* كذلك سيوف الهند تنبو طباتها * وتقطع احيانا مناط التمام *

* ولن نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا ثقل الاعناق حمل المغارم *

* وهل ضربة الرومي جاعلة لكم * اباحن كليب او اخا مثل دارم *

فشاع حديث الفرزدق بهذا حتى حكى ان المهدي اتى باسرى من الروم فامر

بقتلهم وكان عنده شبيب بن شبة فقال له اضرب عنق هذا العليج فقال يا امير

قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قوم الى اليوم فقال انما اردت تشريفك

وقد اعفيتك وكان ابو الهول الشاعر حاضرا فقال

* جزعت من الرومي وهو مقيد * فكيف ولو لاقته وهو مطلق *

* دعاك امير المؤمنين لقتله * فكاد شبيب عند ذلك يفرق *

* تبح شبيبا عن قراع كتيبة * وادن شبيبا من كلام يلفق *

وليس العجب من كلام الفرزدق ان صح من جودة القريحتين ولكن

من اتفاق الخاطرين ولثل ذلك قالت الحكماء آية العقل سرعة

الفهم * وغايته اصابة الوهم * وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة

الخطار عجز عن جواب وان اعضل كما قيل لعلي رضى الله عنه كيف يحسب الله

العباد على كثرة عددهم قال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل لعبد الله بن

عباس ابن تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد قال ابن تذهب نار المصابيح

عند فناء الادهان وهذان الجوابان جوابا اسكات تضمننا دليلي اذعان وحقى قهر
ومن غير هذا الفن وان كان مسكتا ما حكي عن ابلوس عنه الله انه حين ظهر لعيسى
ابن مريم عليه السلام فقال ألسنت تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله عليك قال
نعم قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة تسلم فقال له
يا ملعون ان لله ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا الجواب لا يستغرب
من انبياء الله تعالى الذين امدهم بوحية وايدهم بنصره وانما يستغرب ممن يلجأ الى
خاطره ويعول على يديهته وروى رقم بن العباس رضى الله عنهما قال قيل لعلى
ابن ابي طالب رضى الله عنه كم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة قيل فكم بين
المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس فكان هذا السؤال من سألته اما اختبارا
واما استبصارا فصدر عنه من الجواب ما اسكت فاما اذا اجتمع هذان الوجهان
فى العقل المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بجودة الحدس وصحة التريخية بحسن
البدية مع ما ينميه الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان بكثرة الاختبار
فهو العقل الكامل على الاطلاق فى الرجل المفاضل الاستحقاق روى انس بن
مالك رضى الله عنه قال اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير
فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من خلعت ان من فضله ان
من ادبه فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة واصناف الخير
وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحق العابد يصيب
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم
واخفاف الناس فى العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم
لا يكون فضيلة لان الفضائل هيأت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما ان الخير
توسط بين رذيلتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة وقد قالت الحكماء
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال فى كل الامور فان ازيادة عيب والنقصان
عجز هذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير
الامور اوساطها وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه خير الامور النمط الاوسط
اليه يرجع العالى ومنه يطلق التالى وقال الشاعر لا تذهبن فى الامور فرطاً *
لا تسألن ان سألتن شططاً * وكن من الناس جميعاً وسطاً * قالوا لان زيادة العقل

تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم وصاحبه ملوم وقد امر عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد
يا امير المؤمنين اعدن موجدة او خيانة فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان اجل
على الناس فضل عقلك ولاجل هذا المحكي عن عمر ما قيل قديما افراط
العقل مضر بالجسد وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما ذلك على سبيل
رشدك وقال بعض البنساء قليل يكفي خيرا من كثير يطغي وقال آخرون وهو
اصح القولين زيادة العقل فضيلة لان المكتسب غير محدود وانما تكون زيادة الفضائل
المحمودة تقصا مذموما لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع اذا زاد على
حد الشجاعة نسب الى التهور والسخى اذا زاد على حد السخاء نسب الى التبذير
وليس كذلك حال العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل الناس وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان مألوف وقد قيل في تأويل قوله تعالى قل
كل يعمل على شاكلته اى بحسب عقله وقال القاسم بن محمد كانت العرب تقول
من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حظه في اغلب خصال الخير عليه
وقيل في مشور الحكم كل شيء اذا اكثر رخص الا العقل فانه اذا اكثر غلا وقال
بعض الباطن ان الصاقل من عقله في ارشاد * ومن رايه في امداد * فقوله
سديد * وفعله حيد * والجاهل من جهله في اغواء * ومن هواه في اغراء
* فقوله سقيم * وفعله ذميم * وانشدني ابن لكك لايه

* من لم يكن اكثره عقله * اهلكه اكثر ما فيه *

فاما الدهاء والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو
صرفه الى الخير لكان محمودا وقد ذكر المغيرة بن شعبه عمر بن الخطاب فقال
كان والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر لست بالخب
ولا يخدعني الخب واختلف الناس فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد
واشبايه من الدهاة هل يسمى الداهية منهم عاقلا ام لا فقال بعضهم اسميه
عاقلا لوجود العقل منه وقال آخرون لا اسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا لان

الخير والدين من موجبات العقل فاما الشرير فلا اسمه عاقلا واما اسمه صاحب روية وفكر وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه حتى قال اصحاب الشافعي رضي الله عنه فبين اوصى بثلاث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يفتروا بالامل وروى لقمان بن ابي عامر عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت باني انت وامي ومن لي بالعقل قال اجنب محارم الله واد فرائض الله تكن عاقلا ثم تغل بصالحات الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزا وانشدني بعض اهل الادب هذه الايات وذكر انها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه

- * ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها *
- * والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها *
- * والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها *
- * والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الا حين اعصمها *
- * والعين تعلم في عيني محدثها * من كان من حزبها او من اعادها *
- * عينك قد دلتنا عيني منك على * اشياء لولاها ما كنت تبديها *

واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الفريزي لانه نتيجة منه وقد ينفك العقل الفريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل * موفور الرذائل * كالانوك الذي لا يجده فضيله * والاحق الذي قل ما يخلو من رذيله * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحق كالفضار لا يرقع ولا يشعب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحق انقض خلق الله اليه * اذ حرمه اعز الاشياء عليه * وقال بعض الحكماء الحاجة الى العقل اقبح من الحاجة الى المال وقال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة العاقل وقال انوشروان لبرزجره اي الاشياء خير للمرء قال عقل يعيب به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فقال يعجب به الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت قال فان لم يكن قال فوث جارف وقال سابور بن ازدشير العقل نوعان احدهما مطبوع * والآخر

مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال
 * رأيت العقل نوعين * مسموع ومطبوع *
 * ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مغبوع *
 * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع *
 وقد وصف بعض الادباء العاقل بما فيه من الفضائل * والاحق بما فيه من
 الرذائل * فقال العاقل اذا والى بذل في المودة نصره * واذا عانى زفع عن
 الظلم قدره * فيسعد مواليه بعقله * ويعتصم معاديه بعدله * ان احسن
 الى احد ترك المطالبة بالشكر * وان اساء اليه مسىء سبب له اسباب
 العذر * او منحه الصنم والعفو والاحق ضال مضل ان اونس تكبير *
 وان اوحش تكدر * وان استنطق تخلف * وان ترك تكلف * مجالسته
 مهينه * ومعاتبه محزه * ومحاورته تعر * وموالاته تضر * ومقاربه عمى
 ومقاربه شقا وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل والاحق
 يسى الى غيره و يظن انه قد احسن اليه فيطالبه بالشكر * ويحسن اليه
 فيظن انه قد اساء فيطالبه بالوتر * فساوى الاحق لا تنقضى و عيوبه لا تنهاى
 ولا يقف النظر منها الى غاية الالوحث ما وراءها مما هو ادنى منها واردى
 و امر وادهى فما اكثر العبر لمن نظر * وانفعها لمن اعتبر * وقال الاحنف
 ابن قيس من كل شئ يحفظ الاحق الامن نفسه وقال بعض البلغاء ان الدنيا
 ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق * وادبرت عن العاقل بالاستحقاق * فان
 اتت منها سهمة مع جهل * او فانتك منها بغيه مع عقل * فلا يحملك ذلك
 على الرغبة في الجهل * و الزهد في العقل * فدولة الجاهل من الممكنات *
 ودولة العاقل من الواجبات * وليس من امكنه شئ من ذاته * كمن استوجه
 بآلته و ادواته * و بعد فدولة الجاهل كك الغريب الذى يمن الى النقلة *
 ودولة العاقل كالنسيب الذى يمن الى الوصله * فلا يفرح المرء بحالة جليله
 نالها بغير عقل * ومنزلة رقيقة حلها بغير فضل * فان الجهل ينزله منها * ويزيله
 عنها * ويحطه الى رتبته * ويرده الى قيمته * بعد ان تظهر عيوبه * وتكثر
 ذنوبه * و يصير مادحه حاجيا * ووليه معاديا * واعلم * انه

بحسب ما ينشر من فضائل العاقل * كذلك يظهر من رذائل الجاهل *
 حتى يصير مثلاً في العابرين * وحديثاً في الآخرين * مع هتكه في عصره *
 وقبح ذكره في دهره * كالذي رواه عطاء عن جابر قال كان في بني
 إسرائيل رجل له حمار فقال يارب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري فهم به نبي
 من انبياء الله فابوحى الله اليه انما ائيب كل انسان على قدر عقله واستعمل معاوية
 رجلاً من كلب فذكر الجوس يوماً عنده فقال لعن الله الجوس ينكحون امهاتهم
 والله لو اعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت امي فبلغ ذلك معاوية فقال
 قبحه الله اتروني لو زادوه فعل وعزله وولى الربيع العامري وكان من النوى
 سائر اليامة فاقد كلبا بكلب فقال فيه الشاعر

* شهدت بان الله حقا لقاءه * وان الربيع العامري رقيب *
 * افاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع *
 وليس لمعار الجاهل غايه * ولا لمضار الحق نهايه * قال الشاعر
 * لكل داء دواء يستطب * الا الجماقة اعيت من يداويها *

﴿ فصل ﴾ واما الهوى فهو عن الخير صائد * وللعقل مضاد * لانه يتج
 من الاخلاق قباؤها * ويظهر من الافعال فضاؤها * ويجعل ستر المروءة
 مهتوكا * ومدخل الشر مسلوكا * قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
 الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال
 عكرمة في قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم يعنى بالشهوات وتربصتم
 يعنى بالتوبة واربتتم يعنى فى امر الله وغرتكم الامانى يعنى بالتسويق
 حتى جاء امر الله يعنى الموت وغرتكم بالله الغرور يعنى الشيطان وروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طاعة الشهوة داء * وعصيانها دواء *
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها
 فانها طلاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرى وان الباطل
 خفيف وبى وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة
 وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه
 اخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل فان اتباع الهوى يصد عن الحق

وطول الامل ينسب الآخرة وقال الشعبي انما سمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه
وقال اعرابي الهوى هوان ولكن غلط باسمه فاحذه الشاعر وقال

* ان الهوان هو الهوى قلب اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا *
وقيل في منشور الحكم من اطاع هواه * اعطى عدوه مناه * وقال بعض الحكماء
العقل صديقي مقطوع * والهوى عدو متبوع * وقال بعض الباغاء افضل
الناس من عصي هواه * وافضل منه من رفض ديناه * وقال هشام بن عبد الملك
ابن مروان

* اذا انت لم تعص الهوى فانك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال *
قال ابن المعتز رحمه الله لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت وقال الشاعر
* اذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكاه *
* وقد اشتهت الاعداء جهلا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله *
* وما يردع النفس الجوج عن الهوى * من الناس الاحازم الراى كامله *
فلما كان الهوى غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل العقل عليه رقيبا
مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته * ويدفع بانرة سطوته * ويدفع خداع
حيلته * لان سلطان الهوى قوى * ومدخل مكره خفي * ومن
هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه اعنى باحد الوجهين
قوة سلطانه وبالأخر خفاء مكره فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان
الهوى بكثرة دواعيه حتى يستولى عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن
دفعها * ويضعف عن منعها * مع وضوح قبجها في العقل المقهور بهما
وهذا يكون في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي
الهوى المتسلط عليهم وانيزم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير
* كل يرى ان الشباب له * في كل مبلغ لذة عذرا *
ولذلك قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم * ومتسلط ظلوم * وقال
بعض الادباء الهوى عسوف * والعدل مألوف * وقال بعض الشعراء
* يا عاقلا اردى الهوى عقله * مالك قد سدت عليك الامور *
* أتعجل العقل اسير الهوى * وانما العقل عليه امير *

وحسم ذلك ان يستعين بالعقل على النفس النفورة فيشعرها ما في عواقب
 الهوى من شدة الضرر * وقبح الاثر * وكثرة الاجرام * وتراكم الآثام * فقد قال
 النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات اخبر
 ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والخريق الى النار اتباع الشهوات اخبر
 قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه اياكم وتحكيم الشهوات على انفسكم
 فان عاجلها ذميم * وآجلها وخيم * فان لم ترها تنماد بالتحذير والارهاب *
 فسوقها بالتأميل والارباب * فان الرغبة والرغبة اذا اجتمعا على النفس ذلت لهما
 وانقادت وقد قال ابن السماك كن لهواك مسوقا * واعقلك مسعفا *
 وانظر الى ما تسوء عاقبه فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس وما تهوى
 دأؤها * وترك ما تهوى دواؤها * فاصبر على الدواء * كما تخاف من الداء * وقال
 الشاعر

* صبرت على الايام حتى تولت * وازمت نفسي صبرها فاستمرت *
 * وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تأقت والاتلت *
 فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى
 ان يصير بالعقل مدحورا * وبالنفس مقهورا * ثم له الحظ الاوفى في ثواب
 الخالق وثناء المخلوقين قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
 عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال الحسن البصرى افضل الجهاد جهاد
 الهوى وقال بعض الحكماء اعز العز الامتناع من ملك الهوى وقال بعض
 البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه * وعدى هواه في طاعة ربه
 وقال بعض الادباء من انات شهوته * فقد احى مروءته * وقال بعض العلماء
 ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب
 ابن آدم من كليهما فن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت
 شهوته على عقله فهو شر من البهائم وقيل لبعض الحكماء من اشجع الناس
 واحراهم بالظفر في مجاهدته قل من جاهد الهوى طاعة لربه * واحترس
 في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه * وقال بعض الشعراء
 * قد يدرك الحازم ذوالرأى انى * بطاعة الحزم وعصيان الهوى *

واما الوجه الثاني فهو ان يخفى الهوى بكره حتى تتوه افعاله على العقل فيتصور
القيح حسنا والضرر نفعا وهذا يدعو اليه احد شينين اما ان يكون للنفس ميل
الى ذلك الشيء فيخفى عنها التبع لحسن ظنها وتتصوره حسنا لشدة ميلها ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم حيك الشيء يعمى ويصم اي يعمى عن الرشد ويصم
عن الموعدة وقال علي رضي الله عنه الهوى عمى قال الشاعر

* حسن في كل عين من تود *

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه
* ولست براء عيب ذي الودكله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا *
* فعين الرضى عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا *
واما السبب الثاني فهو اشتغال الفكر في تمير ما اشبهه فيطلب الراحة في اتباع
ما استسهل حتى يظن ان ذلك اوفق امره واجد حاله اغترارا بان الاسهل
محمود والاعسر مذموم فان يعدم ان يتورط بمخدع الهوى وريبة المكر في كل
مخوف حذر * ومكروه عسر * ولذلك قال عامر بن الظرب الهوى يقضان
والعقل راقد فن ثم غلب وقال سليمان بن وهب الهوى امنع * والرأى
انفع * وقيل في المثل العقل وزير ناصح * والهوى وكييل فاضح *
وقال الشاعر

* اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت * ولم ينهها تاقت الى كل باطل *
* وسأقت اليه الاثم والعار بالذي * دعته اليه من حلاوة عاجل *
وحسم السبب الاول ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رائد
الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب رائد الحق والحق من دواعي العقل *
وقال بعض الحكماء نظر الجاهل بعينه وناظره * ونظر العاقل بقلبه وخاطره * ثم
يتهم نفسه في صواب ما احبت وتحسين ما اشتهت ليصح له الصواب ويتبين له
الحق فان الحق اثقل محملا واصعب مر كبا فان اشكل عليه امر ان اجتنب
اجبهما اليه * وترك اسملهما عليه * فان النفس عن الحق انفر * وللهوى
آثر * وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشبه عليك امران فدع اجبهما
اليك * وخذ اقلهما عليك * ودلة هذا القول هو ان الثقل يطغى النفس

عن التسرع اليه فيضج مع الابطاء وتطاول الزمان صواب ما استعجم *
 و ظهور ما استبههم * وقد قال علي بن ابي طالب من تفكر ابصر والمحجوب اسهل
 شئ تسرع النفس اليه * وتجل بالاقدام عليه * فيقصر الزمان عن تصفحه
 ويفوت استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفيح بعد العمل ولا الاستبانة بعد
 القوت وقال بعض الحكماء ما كان عنك معرضا * فلا تكن به معرضا * وقال

الشاعر

* أليس طلاب ما قد فات جهلا * وذكر المرء ما لا يستطيع *
 ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال الهوى
 مطية الفناء * والدنيا دار المحنة * فانزل عن الهوى تسلم * واعرض
 عن الدنيا تغنم * ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتك ذنباك بحسن
 العواري فخذ الأهو تتطعم وعارية الدهر ترجع ويبق عليك ما تركته من
 المحارم * وتكتسبه من المآثم * وقال علي بن عبد الله الجعفرى سمعتنى امرأة
 بالطواف وانا انشد

* اهوى هوى الدين والذات تعجبنى * فكيف لى بهوى الذات والدين *
 فقالت هما ضرتان فذرايهما شئت وخذ الاخرى فاما فرق ما بين الهوى
 والشهوة مع اجتماعهما فى العلة والمعلول * واتفاقهما فى الدلالة والمدلول * فهو
 ان الهوى مختص بالآراء والاعتقادات والشهوة مختصة بذيل اللذة فصارت الشهوة
 من نتائج الهوى وهى اخص والهوى اصل هو اعم ونحن نسأل الله تعالى ان
 يكفينا دواعى الهوى * ويصرف عنا سبل الردى * ويجعل التوفيق لنا قائدا *
 والعقل لنا مرشدا * فقد روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام عظ
 نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي منى وقال محمد بن كزاسة

* ما من روى اذبا فلم يعمل به * ويكف عن زيف الهوى ياديب *
 * حتى يكون بما تعلم عاملا * من صالح فيكون غير معيب *
 * ولقلا تغنى اصابة قائل * افعاله افعال غير مصيب *

❖❖

❖ وقال آخر ❖

* يا ايها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم *
 * تصف الدواء الذي السقام وذى الضنى * كميما يصح به وانت سقيم *
 * ابدأ بنفسك فانها عن غيرها * فاذا انتهت عنه، فانت حكيم *
 * فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك ويقبل التعليم *
 * لانه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فلتت عظيم *
 حكي ابو فروة ان طارقا صاحب شرطة خالد القسرى مر بابن شبرمة وطارق
 في موكبه فقال ابن شبرمة

* اراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع *
 اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه
 ابو بكر أتذكر قولك يوم كذا اذ مر بك طارق في موكبه فقال يا بني انهم يجدون
 مثل ابيك ولا يجد ابوك مثلهم ان اباك اكل من حلاوتهم * فخط في اهوائهم * أما ترى
 هذا الدين الفاضل كيف عوجل بالتفريع وقوبل بالتوبيخ من اخص ذويه * ولعله
 من ابرئيه * فكيف بنا ونحن اطلق منه عنايلا * واقلق منه جنانا * اذا رمقتنا
 اعين المتبعين * وتناولتنا السن المتبعين * هل نجد غير توفيق الله تعالى ملاذا *
 وسوى عصمته، معاذا *

❖ باب ادب العالم ❖

اعلم ان العلم اشرف ما رغب فيه الراغب * وافضل ما طلب وجد فيه الطالب *
 وانفع ما كسبه واقتناه الكاسب * لان شرفه يثر على صاحبه * وفضله ينمي على
 طالبه * قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فنع المساواة
 بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وما يعقلها
 الا العالمون فتنى ان يكون غير العالم يعقل عنه امرا * او يفهم منه زجرا *
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الى ابراهيم عليه السلام
 اتى عليم احب كل عليم وروى ابو امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن رجلين احدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فتمم * وان كنتم وسطا سدتم * وان كنتم سوقة عشتم * وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والادب مال لا خوف عليه وقال بعض الادباء العلم افضل خلف * والعمل به اكل شرف * وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسدك صغيرا * ويقدمك ويسودك كبيرا * ويصلح زيفك وفاسدك * ويرغم عدوك وحاسدك * ويقوم عوجك وميلك * ويصحح همتك وامالك * وقال علي رضى الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسن فاخذته الخليل فنظمه شعرا فقال

* لا يكون العلي مثل الذئب * لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي *
* قيمة المرء قدر ما يحسن المرء * قضاء من الامام على *

وليس يجهد فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم انما يعرف بالعلم وهذا ابلغ في فضله لان فضله لا يعلم الا به فلما عنم الجهال العلم الذي به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله * واستحلوا اهلهم * وتوهوا ان ما تميل اليه نفوسهم من الاموال المتناهية * والطرف المشتهاه * اولى ان يكون اقبالهم عليها واحرى ان يكون اشتغالهم بها وقد قال ابن المعتز في منشور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولا جله انصرفوا عن العلم واهله انصرفوا الزاهدين * وانحرفوا عنه وعنهم انحرف المعادين * لان من جهل شيئا عاناه وانشدني ابن لنكك لابي بكر بن دريد

* جهلت فعاديت العلوم واهلها * كذلك يعادى العلم من هو جاهله *
* ومن كان بهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادري اصيبت مقالته *
وقيل لبرز جهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فاباننا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نتكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك معرفة العلماء

بمنفعة المال وجهل الاغنياء لفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال *
فقال لعز الكمال * فانشدت لبعض اهل هذا العصر

* وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور *
* وان امراء لم يحى بالعلم ميت * فليس له حتى الشور نشور *
ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا *
ولا يسقم نفسا * فاخرج له طاعاما ونفقة فتال فاقنى الى كلامكم * اشد من
فاقنى الى طعامكم * اتى طالب هدى * لاسائل ندى * فاذن له العالم وافاده من كل
ما سأل عنه فخرج جذلا فرحا وهو يقول علم اوضح لبسا * خير من مال اغنى
نفسا * واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال
قبل لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم فتال كل الناس وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد بخره حقه، ووضع في غير منزلته
التي وصفه الله بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال بعض العلماء
لو كنا نطلب العلم لتبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالتمنيصة ولكننا نطلبه لننقص في
كل يوم من الجهل وزداد في كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتعمق في
العلم كالساج في البحر ليس يرى ارضا * ولا يعرف طولا ولا عرضا * وقيل
لحماد الراوية أما تشبع من هذه العلوم فقبال استفرغنا فيها المجهود * فلم يبلغ
منها المحدود * فبحن كما قال الشاعر

* اذا قطعنا علما بدا علم *
وانشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال اظنهما له
* يانفس خوضي بحار العلم او غوصي * فالناس ما بين معوم ومخصوص *
* لاشئ في هذه الدنيا يحيط به * الا احاطة منقوص بمنقوص *
واذا لم يكن الى معرفة ججع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة
اهمها والغاية باولاها وافضلها واولى العلوم وافضلها علم الدين لان الناس
بمعرفة يرشدون * وبجهله يضلون * اذ لا يصح آداء عبادة جهل فاعلمها صفات
آدابها * ولم يعلم شروط اجزائها * ونذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان العلم يعث على فضل

العبادة والعبادة مع خلو فاعلمها من العلم بها قد لا تكون عبادة فلزم علم الدين كل مكلف وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تأويلان احدهما علم ما لا يسع جهله من العبادات والثاني جملة العلم اذا لم يقم بطاؤه من فيه كفاية واذا كان علم الدين قد اوجب الله تعالى فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان اولى مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وروى عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفتحون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما احب الى من صاحبه اما هؤلاء فيسألون الله تعالى ويذكرونه فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما وجلس الى اهل الفقه وروى مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيرة عادة والشر لجاثة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيار امتي علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها وروى معاذ بن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين * وانتحال المبطلين * وتأويل الجاهلين * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال على بمثلما قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وروى حميد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التفقه في الدين حق على كل مسلم الا فقلوا وعلماؤا وتفقهوا ولا تتموتوا جهالا وروى سليمان بن يسار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقهه في الدين وفقهه واحدا شد على الشيطان من الف عابد وانك كل شيء عماد وعماد الدين الفقه وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى انها حق بالفضيلة واولى بالتقدمة استقالا لما تضمنه الدين من التكليف * واستردالا لما جاء به الشرع

من التعبد والتوقيف * والكلام مع مثل هذا في اصل * لا يتسع له هذا الفصل *
 ولن ترى ذلك فحين سلت فطنته * وصحت رويته * لان العقل يمنع من ان يكون الانسان
 هملا او سدى يعتمدون على آرائهم المختلفة وينقادون لاهوائهم المتشعبة لما
 تؤول اليه امورهم من الاختلاف والتنازع * ويفضون اليه احوالهم من التباين
 والتقاطع * فلم يستغنوا عن دين يتألفون به ويتفتنون عليه ثم العقل موجب له
 او مانع ولو تصور هذا المختل التصور ان الدين ضرورة في العقل وان العقل
 في الدين اصل لتعصر عن التقصير واذعن للحق ولكن اهل نفسه فضل واضل
 وقد يتعلق بالدين علوم قد بين الشافعي فضيلة كل واحد منها فقال من تعلم
 القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبه مداره ومن كتب الحديث قويت حجته
 ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم
 ينفعه عمله ولعمري ان صيانة النفس اصل الفضائل لان من اهل صيانة نفسه
 ثقة بما منحها العلم من فضيلته وتوكل على ما يلزم الناس من صيائمه
 سلبوه فضيلة عمله ورسموه بقبائح تبذله فلم يفت ما اعطاه العلم بما سلبه التبذل
 لان القبح انم من الجميل والذليلة اشهر من الفضيلة لان الناس لما في طبائعهم
 من البغضة والحسد ونزاع المنافسة تنصرف عيونهم عن المحاسن الى المساوي
 فلا يصفون محسنا ولا يحابون مسيئا لاسيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوبا
 فان زلته لا تقال وهفوته لا تعذر اما القبح اثرها واغترار كثير من الناس بها
 وقد قيل في منشور الحكم ان زلة العالم كالسفينه تفرق ويفرق معها خلق كثير
 وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام من اشد الناس فتنة قال زلة للعالم اذا زل
 زل بزله عالم كثير فهذا وجهه واما لان الجهال بدمه اغرى * وعلى تنصه
 اخرى * ليسلبوه فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصيص عناد لما جهلوه
 ومقتا لما بانيوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولو ما * كما ان العالم يرى الجهل
 تخلفا وذا * وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه

- * ومزلة السفيه من الفقيه * كمنزلة السفيه من السفيه *
- * فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه ازهد منه فيه *
- * اذا غلب الشقاء على سفيه * تقطع في مخالفة الفقيه *

وقال

وقال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدو شيء من العلم وانشد

* تفنن وخذ من كل علم قائما * يفوق امرؤ في كل فن له علم *
* فانت عدو للذي انت جاهل * به ولعلم انت تتقنه سلم *

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل ما يلزمها امن تعبير الموالي وتقيص المعادي وجمع الى فضيلة العلم جميل الصيانة وعز الزاهة فصار بالنزلة التي يستحقها بفضائله وروى ابو الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وانا ورثوا العلم وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وقال بعض البلغاء ان من التريعة ان تجل اهل الشريعة * ومن الصنعة ان ترب حسن الصنيع * فينبغي لمن استدل بفطرته على استحسان الفضائل * واستباح الرذائل * ان ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم وغفلة الهمان باحتياط المعانة ويرغب في العلم رغبة محتق لفضائله واثق بجماعه ولا يلهيه عن طلبه كثرة ما وجده ولا نفوذ امر وعلو منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته فهو بالعلم احق وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقد قال بعض الادباء كل عز لا يوطئه علم مذه * وكل علم لا يؤيده عقل مضله * وقال بعض علماء السلف اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم * ويردهم الى الخلم * ويصدهم عن الاذية * ويعطفهم على الرعية * فمن حثهم ان يعرفوا حتمه ويستبطنوا اهله فأما المال فظل زائل وعارية مسترجعة وليس في كثرة فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته * واجتباه لتبوته * وقد كان اكثر انبياء الله تعالى مع ما خصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه فقراء لا يجدون بلغة ولا يقدرون على شيء حتى صاروا في الفقر مثلاً فقال البخري

- * فقر كفتقر الانبياء وغربة * وصباية ليس البلاء بواحد
- * ولعدم الفضيلة في المال فتحه الله للكافر وحرمه المؤمن قال الشاعر
- * كم كافر بالله امواله * تزداء اضعافا على كفره
- * ومؤمن ليس له درهم * يزداد ايمانا على فقره
- * يالأمم الدهر و افعاله * مشتغلا يزرى على دهره
- * الدهر مأمور له أمر * ينصرف الدهر على امره

وقد بين علي بن ابي طالب رضى الله عنه فضل ما بين العلم و المال فقال العلم خير من المال العلم يحرسك و انت تحرس المال العلم حاكم و المال محكوم عليه مات خزان الاموال و بقى خزان العلم اعيانهم مفقوده * و اشخاصهم في التلويب موجوده * و سئل بعض العلماء ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا ايما افضل المال ام العقل و قال صالح بن عبد التدوس

- * لا خير فيمن كان خير ثناءه * في الناس اقولهم غنى واجد
- * وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبرسه، و استحيائه من تقصيره في صغره *
- ان يتعلم في كبره * فرضى بالجهل ان يكون موسوما به و آثره على العلم
- ان يصيد مبتدئا به و هذا من خدع الجهل و غرور الكسل لان العلم اذا كان
- فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى و الابتداء بالفضيلة فضيلة و لان يكون
- شيخا متعلا اولى من ان يكون شيخا جاهلا حتى ان بعض الحكماء رأى شيخا
- كثيرا يحب النظر في العلم و يستحى فقال له يا هذا استحى ان تكون
- في آخر عمرك افضل مما كنت في اوله و ذكر ان ابراهيم بن المهدي دخل على
- المأمون و عنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال
- يا امير المؤمنين شغلونا في الصغر و اشتغلنا في الكبر فقال لم لا تتعلم اليوم قال
- أويحسن بمثل طلب العلم قال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش
- قانعا بالجهل قال و الى متى يحسن بي طلب العلم قال ما حسنت بك الحياة و لان
- الصغير اعذر و ان لم يكن في الجهل عذر لانه لم تطل به مدة التفريط و لا استمرت
- عليه ايام الاهمال و قد قيل في منشور الحكم جهل الصغير معذور * و علمه
- محقور * فلما الكبر فالجهل به اقبح * و نقصه عليه افضح * لان علو السن

اذا لم يكسبه فضلا و ام يفده علما و كانت ايامه في الجهل ماضيه * و من
الفضل خاليه * كان الصغير افضل منه لان الرجاء له اكثر * و الامل فيه
اظهر * و حسيك نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه
و انشئت لبعض اهل الادب

* اذا لم يكن مر السنين مترجما * عن الفضل في الانسان سميته طفلا *
* و ما تنفع الايام حين يعدها * و لم يستفد فيهن علما و لا فضلا *
* ارى الدهر من سوء التصرف مائلا * الى كل ذي جهل كأن به جهلا *
و ربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة و شغله اكتسابها عن التماس العلم و هذا
و ان كان اعذر من غيره مع انه قل ما يكون ذلك الا عند ذي شره و عيب و شهوة
مستعبدة فينبغي ان يصرف الى العلم حظا من زمانه فليس كل الزمان زمان
اكتساب و لا بد للمكتسب من اوقات استراحة و ايام عطلة و من صرف كل
نفسه الى التمسك حتى لم يترك لهما فراغا الى غيره فهو من عبيد الدنيا و اسراء
الحرص و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لكل شئ فترة فمن
كانت فترته الى العلم فقد نجح و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال
كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء و اسمعوا علما
يدلكم على الهدى و يردكم عن الردى و قال بعض العلماء من احب العلم احاطت
به فضائله و قال بعض الحكماء من صاحب العلماء و قر * و من جالس السفهاء
حقر * و ربما منعه من طلب العلم ما يظنه من صعوبته و بعد غايته و يخشى
من قلة ذهنه و بعد فطنته و هذا الظن اعتذار نوى النقص و خيفة اهل العجز
لان الاخبار قبل الاختبار جهل و الخشية قبل الابتلاء عجز و قد قال الشاعر

* لا تكونن للامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب *
و قال رجل لابن هريرة رضى الله عنه اريد ان اتعلم العلم و احاف ان اضيعه
فقال كنى بترك العلم اضاعة و ليس وان تفاضلت الاذهان و تفاوتت الفطن
ينبغي لمن قل منها حظه ان يئس من نيل القليل و ادراك اليسير الذى يخرج به
من حد الجهالة الى ادنى مراتب التخصيص فان الماء مع لينة يؤثر في صم الصخور
فكيف لا يؤثر العلم الزكى * في نفس راغب شهى * و طالب خلى * لا سيما

وطالب العلم معان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وربما منع ذا السفاهة من طلب العلم ان يصور في نفسه حرفة اهله وتضايق الامور مع الاشتغال به حتى يسهم بالادبار ويتوسمهم بالحرمات فان رأى محبرة تطير منها وان رأى كتابا اعرض عنه وان رأى متحملا بالعلم هرب منه كأنه لم ير عالما متبلا وجاهلا مدبرا ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل واحوال كنت اخفي عنهم ما يصحني من محبرة وكتاب لئلا اكون عندهم مستقلا وان كان البعد عنهم مؤنسا ومصححا والقرب منهم موحشا ومفسدا فقد قال بزرجمهر الجهل في القلب كالنز في الارض يفسد ما حوله لكن اتبعت فيهم الحديث المروي عن ابي الاشعث عن ابي عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم في اعمالهم ولذلك قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علماء * ونفقه حيث به حملاء * وهذه الطبقة ممن لا يرحى لها صلاح * ولا يؤمل لها فلاح * لان من اعتقد ان العلم شين * وان تركه زين * وان للجهل اقبالا مجديا * وللعلم ادبارا مكديا * كان ضلاله مستحكما ورشاده مستعبدا وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه علي بن ابي طالب رضى الله عنه اغد عالما او متعلا او مستعما او محبا ولا تكن الخامس فهلك وقد رواه خالد الخذاء عن عبد الرحمن ابن ابي بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا وليس لمن هذه حاله في العدل نفع ولا في الاصلاح مطمع وقد قيل لبرزجمهر ما لكم لاتعابون الجهال فقال انا لانا نكلف العمی ان يبصروا ولا الصم ان يسمعوا وهذه الطائفة التي تنفر من العلم هذا النفور وتعاند اهله هذا العناد ترى العقل بهذه المثابة وتنفر من العقلاء هذا النفور وتعتقد ان العاقل محارف وان الاجق محظوظ وناهيك بضلال من هذا اعتقاده في العقل والعلم هل يكون خير اهلا او لفضيلة موضعا وقد قال بعض البلغاء اخبث الناس المساوي بين المحاسن والمساوي وعلته هذا انهم ربما رأوا عاقلا غير محظوظ وعلما غير مرزوق فظنوا ان العلم والعقل هما السبب في قلة حظه ورزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان في العقلاء والعلماء قلة

و عليهم من فضلهم سمة ولذلك قيل العلماء غرباء لكثرة الجهال فاذا ظهرت سمة فضلهم وصادف ذلك قلة حظ بعضهم تنهوا بالتميز واشتهروا بالتميز فصاروا مقصودين باشارة المتعنين لمخوطين بايماء الشامتين والجهال والجمعي لما كثروا ولم يتخصصوا انصرف عنهم النفوس فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصد المجدود منهم باشارة عائب فلذلك ظن الجاهل الزروق ان الفخر والضيق مختص بالعلم والعقل دون الجهل والحق ولو قشقت احوال العلماء والعقلاء مع قلتهم لوجدت الاقبال في اكثرهم ولو اختبرت امور الجهال والجمعي مع كثرتهم لوجدت الحرمان في اكثرهم وانما يصير ذو الحال الواسعة منهم ملحوظا مشتهرا لان حنطة عجيب واقباله مستغرب كما ان حرمان العاقل العالم غريب واقلاله عجيب ولم تزل الناس على سالف الدهور من ذلك متعجبين وبه معتبرين حتى قيل لبرزجهر ما اعجب الاشياء فقال نبح الجاهل واكداء العاقل لكن الرزق بالحنظ والجذ لا بالعلم والعقل حكمة منه تصالي يدل بها على قدرته واجراء الامور على مشيئته وقد قالت الحكماء لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم فنظمه ابو تمام فقال

* ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتى من دهره وهو عالم *
* ولو كانت الارزاق تجري على الحبي * هلكن اذن من جهلهم البهائم *
* وقال كعب بن زهير بن ابى سلمى *

* لو كنت اعجب من شئ لا تعجبني * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر *
* يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهه منتشر *
على ان العلم والعقل سعادة واقبال * وان قل معهما المال * وضائق معهما الحال *
والجهل والحق حرمان وانبار وانكثر معهما المال * واتسعت فيهما الحال *
لان السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقى ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغنى سعيدا والجهل بضء * ام كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه * وقد قيل في منثور الحكم كم من ذليل اعزه علمه ومن عزيز اذله جهله وقيل عبد الله بن المعتز الجاهل كروضة على مزبلة وقال بعض الحكماء كما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا وقال بعض العلماء لبني يابني تعلموا

العلم فان لم تالنوا به من الدنيا حنظا فلان يذم الزمان لكم احب الى من ان يذم الزمان بكم وقال بعض الازياء من لم يفد بالعلم مالا * كسب به جالا * وانشد بعض اهل الادب لابن طباطبا

- * حسود مريض القلب يخفي اينه * ويضحى كئيب البال عندي حزينه *
- * يلوم على ان رحمت للعلم طالبا * اجع من عند الرواة فنونه *
- * فأعرف ابكار الكلام وعونه * واحفظ مما استفيد عيونه *
- * ويزعم ان العلم لا يكسب الغنى * ويحسن بالجهل الذميم ظنونه *
- * فيا لأعمى دعنى اعالى بيمتى * فقيمة ككل الناس ما يحسنونه *

وانا استعذ بالله من خدع الجهل المذله * وبوادر الحق المضله * واسأله السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل * وعلم نافع يستهدى به من ضل * فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذ الله عبدا حنظر عليه العلم فينبغى لمن زهد فى العلم ان يكون فيه راغبا * ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا * ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا ولا يطلب لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا وقد قال الشاعر

- * فلا تعذرانى فى الاساءة انه * شرار الرجال من يسئ فيعذر *
- ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا ولكل زمان عذرا وقال الشاعر

- * نزوح ونغدو لحاجتنا * وحاجة من عاش لا تنمضى *
- * تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى *

ويقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله قاصدا وجهه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة صادقة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما لغير الله واراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار وروى ابوهريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اهله فان احدكم لا يدري متى يحتاج اليه او متى يحتاج الى ما عنده وليحذر ان يطلبه لمراء او رياء فان المهارى به مهجور لا يذفع * والمرأى به محفور لا يرتفع * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء * ولا تعاوا

العلم لتجادلوا به العلماء * فمن فعل ذلك منكم فلنأر مشواه وليس الممارى به هو المناظر فيه؛ طالبا للصواب منه، ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد او صحيح وفيهم جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجادل الا منافق او مرتاب وقال الاوزاعي اذا اراد الله بقوم شرا اعطاهم الجدل * ومنعهم العمل * واثنى الرياشي لمصعب بن عبد الله

- * اجادل كل معترض ظنين * واجعل دينه عرضا لديني *
- * وترك ما علمت لرأى غيرى * وليس الرأى كالعلم اليقين *
- * وما انا والخصومة وهى شئ * يصرف في الشمال وفي اليمين *
- * فاما ما علمت فقد كفاني * واما ما جهلت فخبوني *

وقد بين ذلك بعض العلماء فقال لصاحبه لا يمنعك حذر المرء من حسن المناظرة فان الممارى هو الذى لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم من احد * واعلم ❖ ان لكل مطلوب باعنا و الباعث على المطلوب شيان رغبة او رهبة فليكن طالب العلم راغباً راهباً اما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته * وحافظي مفترضاته * واما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركى او امره * ومهملى زواجه * فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة ادبا الى كنه العلم وحقيقة الزهد لان الرغبة اقوى الباعثين على العلم والرهبة اقوى السببين في الزهد وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة * واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة * فاذا اقترن الزهد والعلم فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وان افترقا فيا ويح مفترقين ما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازدان في العلم رشدا * فلم يزد في الدنيا زهدا * لم يزد من الله الا بعدا * وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقمعه * فما اوتي منه لا ينفعه * وقال بعض الحكماء الفقيه بغير ورع كالسراج يضى البيت ويحرق نفسه ❖ فصل ❖ واعلم ان للعلوم اوائل تؤدى الى اواخرها ومداخل تفضى الى حقائقها فليبتدئ طالب العلم باوائدها ليتهي الى اواخرها ويمدخلها لتفضى الى حقائقها ولا يطلب الآخر قبل الاول * ولا الحقيقة قبل المدخل * فلا

يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لان البناء على غير اس لا يبنى * و الثمر من غير
 غرس لا يجنى * ولذلك اسباب فاسدة و دواعى واهية * فتها * ان
 يكون في النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض الى قصد ذلك
 النوع و يعدل عن مقدماته كرجل يؤثر القضاء و يتصدى للحكم فيقصد من علم
 الفقه ادب القاضى و ما يتعلق به من الدعوى و البيئات او يجب الاتسام
 بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات فيصير موسوماً بجهل ما يعانى فاذا ادرك ذلك
 ظن انه قد حاز من العلم جهوره * و ادرك منه مشهوره * ولم ير ما بقى منه الا
 غامضا طلبه عناء * و غويصا استخراجاه فناء * لتصور همة على ما ادرك *
 و انصرافها عما ترك * ولو نصح نفسه لعلم ان ما ترك اهم مما ادرك لان بعض
 العلم مرتبط ببعض و لكل باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الاواخر الا باوائها
 و قد يصح قيام الاوائل بانفسها فيصير طلب الاواخر بترك الاوائل تركا
 للاوائل و الاواخر فاذا ليس يعرى من لوم و ان كان تارك الآخر الوم
 * ومنها * ان يجب الاشتهار بالعلم اما لتكسب او لتجمل فيقصد من العلم
 ما اشتهر من مسائل الجدل و طريق النظر و يتعاطى علم ما اختلف فيه دون
 ما اتفق عليه ليناطر على الخلاف و هو لا يعرف الوفاق و يجادل الخصوم
 و هو لا يعرف مذهباً مخصوصاً و لقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحققوا
 بالعلم تحقق المتكلمين * و اشتهروا به اشتهار التجرين * اذا اخذوا في
 مناظرة الخصوم ظهر كلامهم * و اذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت افهامهم *
 حتى انهم ليخبطون في الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب * و لا يتقرر
 لهم جواب * و لا يرون ذلك نقصا اذا حقوا في المجالس كلاماً موصوفاً *
 و لفقوا على المخالف حجاباً مألوفاً * و قد جهلوا من المذاهب ما يعلم المبتدى
 و يتداوله الناشئ فهم دائماً في لفظ مضل * او غلط مندل * و رأيت قوماً منهم
 يرون الاشتغال بالمذاهب تكلفاً * و الاستكثار منه تخلفاً * و حاجني بعضهم عليه
 فقال لان علم حافظ المذاهب مستور * و علم المناظر عليه مشهور * فقلت
 فكيف يكون علم حافظ المذهب مستورا و هو سريع الجواب * كثير الصواب *
 فقال لانه ان لم يسأل سكت فلم يعرف و المناظر ان لم يسأل سائل يعرف فقلت

أليس اذا سئل الحافظ فاصاب بان فضله قال نعم قلت أفليس اذا سئل المناظر
فاخطأ بان نقصه وقد قيل عند الامتحان * يكرم المرء او يهان * فامسك عن جوابي
لانه ان انكر كابر المعقول ولو اعترف لزمته الحجمة والامساك اذعان والسكوت
رضى وان ينقاد الى الحق اولى من ان يستغزه الباطل وهذه طريقة من يقول
اعرفوني وهو غير عروف ولا معروف وبعيد من لا يعرف العلم ان يعرفه وقد
قال زهير

* ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم *
ومن اسباب التقصير ايضا ان يفغل عن التعلم في الصغر * ثم يشتغل به في الكبر *
فيستحي ان يتدبى بما يتدبى الصغير * ويستكف ان يساويه الحدت الغرير *
فيبدأ باواخر العلوم واطرافها * ويهتم بحواشها واكلافها * ليتقدم
على الصغير المتدبى * ويساوى الكبير المنتهى * وهذا ممن رضى بخداع
نفسه * وقنع بمداهنة حسه * لان معقوله ان احس ومعقول كل ذى
حس يشهد بفساد هذا التصور و ينطق باختلال هذا التخيل لانه شئ لا يقوم
في وهم ولجهل ما يتدبى به المتعلم اقمح من جهل ما ينتهى اليه العالم وقد قال
الشاعر

* ترق الى صغير الامر حتى * يريقك الصغير الى الكبير *
* فتعرف بالتفكر في صغير * كبيرا بعد معرفة الصغير *
ولهذا المعنى واثباهه كان التعلم في الصغر اجد روى مروان بن سالم عن
اسماعيل بن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم
في صغره كالشمس على الصخر والذى يتعلم في كبره كالذى يكتب على الماء
وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه قلب الحدث كالاراضى الخالية ما البقي
فيها من شئ قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا و اقل شغلا
وايسر تبذلا واكثر تواضعا وقد قيل في مشور الحكم المتواضع من طلاب العلم
كثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البتاع ماء فلما ان يكون الصغير
اضبط من الكبير اذا عرى من هذه الموانع واوعى منه اذا خلا من هذه
القواطع فلا * حكى ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعليم في الصغر

مطالعها من ثلاثة اوجه قاب مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل الكلام بمعناه ففهم معانيه بقلبه واذا فهم المعاني سقط عنه كافة استخراجها وبقى عليه معاناة حفظها واستقرارها لان المعاني شوارد تفضل بالاغفال * والعلوم وحشية تنفر بالارسال * فاذا حفظها بعد الفهم انست * واذا ذكرها بعد الانس رست * وقال بعض العلماء من اكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم وقال الشاعر

* اذا لم يذكر ذو العلوم بعلمه * ولم يستفد علما نسي ما تعلم *
 * فكم جامع للكتب في كل مذهب * يزيد مع الايام في جمعه عجمي *
 وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة في تعذر فهمها فان معرفة اسباب الاشياء وعلاها يصل الى تلافى ما شذ وصلاح ما فسد وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلاثة اقسام اما ان يكون لعله في الكلام المترجم عنها واما ان يكون لعله في المعنى المستودع فيها واما ان يكون لعله في السامع المستخرج فان كان السبب المانع من فهمها لعله في الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة احوال ❖ احدها ❖ ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنى فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى . وهذا يكون من احد وجهين اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقلة فهمه ❖ الحال الثاني ❖ ان يكون لزيادة اللفظ على المعنى فتصير الزيادة علة مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم واثارة واما لسوء ظنه يفهم سامعه ❖ والحال الثالث ❖ ان يكون لمواضعة يقصدها المتكلم بكلامه فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها واما تقصير اللفظ وزيادته فن الاسباب الخاصة دون العامة لانك لست تجد ذلك عاما في كل الكلام واما تجده في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر الى الكلام المستوفى وعن الزائد الى الكافي ارحت نفسك من تكلف ما يكدر خاطرك وان اقت على استخراجها اما لضرورة دعوتك اليه عند اعواز غيره او لجمية داخلتك عند تعذر فهمه فانظر في سبب الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر الزيادة لهدر سهل عليك استخراج المعنى منه لان ما له من الكلام محصول لا يجوز ان يكون المختل

منه اكثر من الصحيح وفي الاكثر على الاقل دليل وان كانت زيادة اللفظ على المعنى دليلا لسوء ظن المتكلم بفهم السامع كان استخراجها سهلا وان كان تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور حالا وبعدها استخراجها لان ما لم يفهمه مكلّم فانت من فهمه ابعده الا ان يكون بفرط ذكائك وجوده خاطرك تشبه باشارته على استنباط ما عجز عنه واستخراج ما قصير فيه فتكون فضيلة الاستفتاء لك وحق التقدم له واما المواضع فمضمان عامة وخاصة اما العامة فهي مواضع العلماء فيما جعلوه القابا لمان لا يستغنى المتعلم عنها ولا يقف على معنى كلامهم الا بها كما جعل المتكلمون الجواهر والاعراض والاجسام القابا توضعها لمان اتفقوا عليها وليست تجرد من العلوم علما يتجوز من هذا وهذه المواضع العامة تسمى عرفا واما الخاصة فمواضع الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره فاذا كانت في الكلام كانت رمزا * وان كانت في الشعر كانت لغزا * فاما الرمز فلست تجده في علم معنوي * ولا في كلام لغوي * واما يخص غالبا باحد شيئين اما بذهب شنيع يخفيه معتقده ويجعل الرمز سببا لتطلع النفوس اليه واحتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه واما لما يدعى اربابه انه علم معوز * وان ادراكه بديع معجز * كالصنعة التي وضعها اربابها اسماء لعلم الكيمياء فرمزوا باوصافه واخفوا معانيه ليوهموا الشخ به والاسف عليه خديعة للعقول الواهية والآراء الفاسدة وقد قال الشاعر

* منعت شيئا فكثر الولوع به * احب شيء الى الانسان ما منعنا *
ثم ليكونوا براء من عهدة ما قالوه اذا جرب ولو كان ما تضمن هذين النوعين
واشباههما من الرموز معنى صحيحا وعلما مستفادا لخرج من الرمز الخفي الى العلم
الجلي فان اغراض الناس مع اختلاف اهوائهم لا تنفق على ستر سليم واخفاء
مفيد وقد قال زهير

* السردون الفاحشات ولا * يلقىك دون الخير من ستر *
وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيجه من المعاني وتعظيمه من الالفاظ
ليكون احلى في القلوب موقعا * واجل في النفوس موضعا * فيصير بالرمز

سأرا وفي الصحف مخلدا كالذي حكى عن فيثاغورس في وصاياه المرموزة أنه قال
 احفظ ميزانك من البذى واوزانك من الصدى يريد بحفظ اللسان الميزان من
 البذى حفظ اللسان من الخنا وحفظ الاوزان من الصدى حفظ العقل من الهوى
 فصار بهذا الرمز مستحسنا ومدونا ولو قاله باللفظ الصريح * والمعنى الصحيح *
 لما سار عنه * ولا استحسن منه * وعلة ذلك ان المحجوب عن الافهام كالمحجوب
 عن الابصار فيما يحصل له في النفوس من التعظيم * وفي القلوب من التفضيم *
 وما ظهر منها ولم يتجلب هان واسترذل وهذا انما يصح استخلاؤه فيما قل
 وهو باللفظ الصريح مستقل فاما العلوم المنتشرة التي تتطلع النفوس اليها
 فقد استغنت بقوة الباعث عليها * وشدة الداعى اليها * عن الاستدعاء اليها برمز
 مستحلى ولفظ مستغرب بل ذلك منفر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها
 من الابطاء عن دركها فهذا حال الرمز واما اللفز فهو يحرى اهل الفراغ
 وشغل ذوى البطالة ليتناقسوا في تبان قرائنهم ويتفاخروا في سرعه خواطيرهم
 فيستكدوا خواطرا قد منحوا صحتها فيما لا يجدى نفعا ولا يفيد علما كاهل الصراع
 الذين قد صرفوا ما منحوه من صحة اجسامهم الى صراع كدود يصرع عقولهم
 ويهد اجسامهم ولا يكسبهم جدا ولا يجدى عليهم نفعا انظر الى قول الشاعر
 * رجل مات وخلف رجلا * ابن ام ابن ابى اخت ابيه *
 * معه ام بنتى اولاده * و ابا اخت بنتى عم اخيه *
 اخبرني عن هذين اليتيم وقد روعك صعوبة ما تضمنتهما من السؤال اذا
 استكدت الفكر في استخراجهم فعلمت انه اراد ميتا خلف ابا وزوجة وعما
 ما الذى افادك من العلم ونفى عنك من الجهل ألسنت بعد علمه تجهل ما كنت
 جاهلا من قبله ولو ان السائل قلب لك السؤال فاخر ما قدم وقدم ما اخر اكننت
 في الجهل به قبل استخراجهم كما كنت في الجهل الاول وقد كدت نفسك واتعبت
 خاطرک ثم لا تعدم ان يرد عليك مثل هذا بما تجهله فتكون فيه كما كنت قبله
 فاصرف نفسك تولى الله رشك عن علوم النوكى وتكلف البطالين فقد روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
 ثم اجعل ما من الله به عليك من صحة القرينة وسرعة الخاطر مصروفا الى عام

ما يكون اتفاق خاطرك فيه مذخورا * وكذ فكرك فيه مشكورا * وقد روى سعيد بن ابي هند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ونحن نستعيز بالله من ان نغبين بفضل نعمته علينا ونجهل نفع احسانه الينا وقد قيل في منشور الحكم من الفراغ تكون الصبوة وقال بعض البلغاء من امضى يومه في غير حق قضاء * او فرض اداه * او مجد الله * او جد حصله * او خيرا سسه * او علم اقتبسه * فقد عقى يومه وظلم نفسه وقال بعض الشعراء

* لقد اهاج الفراغ عليك شغلا * واسباب البلاء من الفراغ *
 فهذا تعليل ما في الكلام من الاسباب المانعة من فهم معانيه حتى خرج بنا الاستيفاء والكشف الى الاغراض واما القسم الثانى وهو ان يكون السبب المانع من فهم السامع لعلة في المعنى المستودع فلا يخلو حال المعنى من ثلاثة اقسام اما ان يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمة لغيره او يكون نتيجة من غيره فاما المستقل بنفسه فضربان جلي وحقى فاما الجلى فهو يسبق الى فهم متصوره من اول وهلة وليس هو من اقسام ما يشكل على من تصوره واما الحقى فيحتاج في ادراكه الى زيادة تأمل وفضل معانة لتنجلى عما اخفى ويكشف عما اغمض وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به وبالارتياض به يسهل منه ما استصعب ويقرب منه ما بعدد فان للرياضة جراءة وللدراسة تأثيرا واما ما كان مقدمة لغيره فضربان احدهما ان تقوم المقدمة بنفسها وان تعدت الى غيرها فتكون كالمستقل بنفسه في تصوره وفهمه مستدعي للنتيجة والثانى ان يكون مقفرا الى نتيجته فيتعذر فهم المقدمة الا بما يتبعها من النتيجة لانها تكون بعضا وتبعيض المعنى اشكل له وبعضه لا يفنى عن كله واما ما كان نتيجة لغيره فهو لا يدرك الا باوله ولا يتصور على حقيقته الا بمقدمته والاشتغال به قبل المقدمة عناء * واتعاب الفكر في استنباطه قبل قاعدته اذا * فهذا يوضح تعليل ما في المعانى من الاسباب المانعة من فهمها واما القسم الثالث وهو ان يكون السبب المانع لعلة في المستمع فذلك ضربان احدهما من ذاته والثانى من طار عليه فاما ما كان من ذاته فيتنوع نوعين احدهما ما كان مانعا من تصور المعنى والثانى ما كان

مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه ، فاما ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة وهو الداء العياء وقد قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجة * وكثر الى الكذب احتياجه * وليس لمن بلى به الا الصبر والاقبال لانه على التليل اقدر * وبالصبر اخرى ان ينال ويظفر * وقد قال بعض الحكماء قدم لحاجتك بعض حاجتك وليس يقدر على الصبر من هذا حاله الا ان يكون غالب الشهوة بعيد الهممة فيشعر قلبه الصبر لتوة شهوته وجسده احتمال التعب لبعده همته فاذا تلوح له المعنى بمساعدة الشهوة اعتبره ذلك الحاح الآملين ونشاط المدركين فقل عنده كل كثير * وسهل عليه كل عسير * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تالون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون * ولا تبلغون ما تهوون الا بترك ما تشتهون * وقيل في مشور الحكم ان تب قدمك * فان تب قدمك * وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف * هانت الكلف * وانشد بعض اهل الادب لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه

* لا تعجزن ولا يدخلك مضجرة * فالنجم يهلك بين العجز والضجر *
 واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير واهمال التواني فينبغي لمن بلى به ان يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلة بادامة النظر فقد قيل لا يدرك العلم من لا يطيل درسه * ويكد نفسه * وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه الا من يرى العلم مغنما * والجهالة مغرما * فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرفة الجهل فان نيل العظيم بامر عظيم وعلى قدر الرغبة تكون المطالب وبحسب الراحة يكون التعب وقد قيل طلب الراحة قلة الاستراحة وقال بعض الحكماء اكل الراحة ما كانت عن كد التعب * واعز العلم ما كان عن ذل الطلب * وربما استتمل المتعلم الدرس والحفظ وانكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون الا كمن اطلق ما صاده ثقة بالقدره عليه بعد الامتناع منه فلا تعبه الثقة الا خجلا والتفريط الاندما وهذه حال قد يدعو اليها احد ثلاثة اشياء اما التنجز من معاناة الحفظ ومراعته وطول الامل في التوفر عليه

عليه عند نشاطهم وفساد الرأي في عزيمته وليس يعلم ان الضجور خائب وان الطويل الأمل مغرور وان الفاسد الرأي مصاب والعرب تقول في امثالها
 حرف في قلبك * خير من الف في كتبك * وقالوا لا خير في علم لا يعبر معك
 الوادي * ولا يعمر بك النادي * وانشدت عن الربيع للسافعي رضي الله عنه
 * علمي معي حيث ما يجمت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق *
 * ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * او كنت في السوق كان العلم في السوق *
 وربما اعتنى التعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لانفاظ المعاني
 فيما يتلاوتها وهو لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنها يروي بغير روية ويخبر عن
 غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وقد روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال همة السفهاء الرواية * وهمة العلماء الرعايه *
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم رعا * ولا تكونوا له رواه * فقد
 يروى من لا يروي * ويروى من لا يروى * وحدث الحسن البصري بحديث
 فقال له رجل يا ابا سعيد عن قال ما تصنع بمن امانت فقد نالتك عظمة *
 وقامت عليك حجة * وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل تقييد العلم في
 كتبه ثقة بما استقر في ذهنه وهذا خطأ منه لان الشكل معترض والنسيان
 طارق وقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم
 بالكتب وروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان فقال له
 استعمل يدك اى اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت وقال الخليل بن احمد
 اجعل ما في الكتب رأس المال وما في القلب النفقة وقال مهود لولا ما عقده
 الكتب من تجارب الاولين * لانهل مع النسيان عقود الآخرين * وقال
 بعض البلغاء ان هذه الآداب نوافر تند عن عقل الاذهان فاجعلوا الكتب
 عنها حياه * والاقلام لها رعا * واما الطواري فتوان احدهما شبهة
 تعترض المعنى فتتم عن نفس تصويره وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل
 تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال و النظر ليصل الى تصور المعنى و ادراك حقيقته
 ولذلك قال بعض العلماء لا تخل قلبك من المذاكرة فعود عقيما * ولا تعف طبعك
 من المناظرة فيعود ستميا * وقال بشار بن برد

* شفاء العمى طول السؤال وانما * دوام العمى طول السكوت على الجهل *
 * فكن سائلا عما عنك فانما * دعيت انا عقل لنبث بالعقل *
 و الثاني افكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سيب قل ما يعرى
 منه احد لا سيما فيمن انبسطت آماله واتسعت امانيه وقد يقل فيمن لم يكن له في
 غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان طرأت على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه
 على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا و ابعد
 قبولا وقد جاء الاثر بان القلب اذا اكره عمى ولكن يعمل في دفع ما طرأ
 عليه من هم مذهل او فكر قاطع ليستجيب له القلب مطيعا وقد قال الشاعر
 * وليس بمن في المودة شافع * اذا لم يكن بين الضلوع شفيع *
 وقال بعض الحكماء ان لهذه القلوب تنافر كتنافر الوحش فأنفوها بالاعتقاد في
 التعليم والتوسط في التقديم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها فهذا تعليل ما في المستمع
 من الاسباب المانعة من فهم المعاني وهاهنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم
 معانيه ولكنه قد يعرى من بعض الكلام فلذلك لم يدخل في جملة اقسامه ولم نستجز
 الاخلال بذكره لان من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج في فهمه الى تأمل الخطبه
 والمانع من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط
 محفوظا بالكتابة مأخوذا بالالتحراج فكان الخط حافظا له ومعبرا عنه وقد
 روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى واثارة من العلم قال يعنى
 الخط وروى عن مجاهد في قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء يعنى الخط ومن يؤتى
 الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا يعنى الخط والعرب تقول الخط احد اللسانين
 وحسنه احد الفصاحتين وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به يفصل
 شذورها * وينظم مشورها * وقال ابن المقفع اللسان مقصور على القريب
 الحاضر والتلم على الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الدائم وقال
 حكيم الروم الخط هندسة روحانيه * وان ظهرت باكة جسمانيه * وقال حكيم
 العرب الخط اصل في الروح وان ظهر بحواس الجسد واختلف في اول من كتب
 الخط فنذكر كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب
 قبل موته بثلاثمائة سنة في ظنين ثم طبعه فلما غرقت الارض في ايام نوح على نبينا

وعليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتاب العربي الى ان خص الله تعالى به اسمعيل فاصابه وتعلمها وحكى ابن قتيبة ان اول من كتب ادريس على نبينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من اجل نافع حتى قال عكرمة بلغ فداء اهل بدر اربعة آلاف حتى ان الرجل ليقادى على انه يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه واثره وقد قال الله تعالى لذيبي صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف نفسه بالكرم واعد ذلك من نعمه العظام * ومن آياته الجسم * حتى اقسام به في كتابه فقال سبحانه وتعالى نون والقلم وما يسطرون فاقسم بالقلم وما يخط بالقلم واختلف في اول من كتب بالعربية فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب به آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسمعيل على نبينا وعليه السلام وحكى ابن عباس رضى الله عنه ان اول من كتب بها ووضعها اسمعيل عليه السلام على نفضه ومنطقه وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه ان اول من كتب بها قوم من الاوائل اسمائوهم ابيجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين وحكى ابن قتيبة في المعارف ان اول من كتب بالعربي مرار بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت وحكى المدائني ان اول من كتب بهما مرار بن مرة واسلم بن سدره وعامر بن حدره فرار وضع الصور واسلم فصل ووصل وعامر وضع الانجم ولما كان الخط بهذا الحال وجب على من اراد حفظ العلم ان يعاى بأمرين احدهما تقويم الحروف على اشكالها الموضوعه لهما والثاني ضبط ما اشتهر منها بالنقط والاشكال الميمرة لهما ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحظة نظمه فانما هو زيادة حذق بصنعه وليس بشرط في صحته وقد قال علي بن عبيدة حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير وقال ابو العباس المبرد رداء الخط زمانة الادب وقال عبد الحميد البيان في اللسان والخط في البيان وانشدني بعض اهل العلم لاحد شعراء البصرة

- * اعذر اخطاك على نزالة خطه * واغفر نزالتك لجودة ضبطه *
 * فاذا ابان عن المعاني لم يكن * تحسينه الا زيادة سطره *

* واعلم بان الخط ليس يراد من * تركيبه، الاتيين سمطه *
 ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على
 الكلام المفهوم من فصاحة الالفاظ وصحة الاعراب ولذلك قالت العرب حسن الخط
 احد الفصاحتين وكما انه لا يعذر من اراد التقدم في الكلام ان يطرح الفصاحة
 والاعراب وان فهم وافهم كذلك لا يعذر من اراد التقدم في الخط ان يطرح
 تصحيح الحروف وتحسين الصورة وان فهم وافهم وربما تقدم بالخط من كان الخط
 من جل فضائله * واشرف خصائله * حتى صار عالما مشهورا * وسيدا مذكورا *
 غير ان العلماء اطرحوا صرف الهممة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم
 ويقطعهم عن التوفر عليه، ولذلك تجدد خطوط العلماء في الاغلب رديئة لا يخط
 الا من اسعده الغنى وقد قال الفضل بن سهل من سعادة المرء ان يكون رديء الخط
 لان الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هي
 السعادة وانما السعادة ان لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن
 ان يتشغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيبا
 وان لم تكن رداءة الخط سعادة واذا كان ذلك فقد يعرض للخط اسباب
 تمتع من قراءته ومعرفة، كما يعرض للكلام اسباب تمتع من فهمه وصحته
 والاسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمنه، قد تكون من ثمانية اوجه
 ❖ احدها ❖ اسقاطه الفاظ من اثناء الكلام يصير الباقي بها مبتورا لا يعرف
 استخراجها ولا يفهم معناه وهذا يكون اما من سهو الكاتب او من فساد نقله
 وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشي الكلام
 وما سلم منه على ما سقط او فسد لاسيما اذا قل لان الكلمة تستدعي ما يليها ومعرفة
 المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فاما من كان قليل الارتياض بذلك النوع
 فانه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما اذا كان كثيرا لانه يحتاج في فهم
 المعاني الى الفكرة والروية فيما قد استخراجها بالكتابة فاذا هو لم يعرف تمام
 الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن ادراكه وضل فكره عن استنباطه
 ❖ والوجه الثاني ❖ زيادة الفاظ في اثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح
 غير الزائد من معرفة السليم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا

الان يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل في اثنائه ما يمنع من فهمه، فيصير ذلك رمزا يعرف بالمواضعة فاما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره ﴿ والوجه الثالث ﴾ اسقاط حروف من اثناء الكلمة يمنع من استخراجها على السهولة وقد يكون هذا تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كـ القول في الوجه الاول ﴿ والوجه الرابع ﴾ زيادة حروف في اثناء الكلمة بشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل فلا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب اخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول في الوجه الثاني ﴿ والوجه الخامس ﴾ وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك الى الاشكال لان الكلمة يذب عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فان كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجها وان كان ذلك من قلة معرفة بالخط او مشقا تشبق به اليد كثيرا فصعب استخراجها الا على المرتاض به ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر الكتابة الشبق كما ان شر القراءة الهدرمة وان كان لتعمية والرمز لم يعرف الا بالمواضعة ﴿ والوجه السادس ﴾ تغيير الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل ازاء وهذا يكون في رموز التراجم ولا يوقف عليه الا بالمواضعة الا لمن قد زاد فيه الذكاء فقد رعى استخراج المعنى ﴿ والوجه السابع ﴾ ضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة واثباتها على الاوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن اغيارها حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحاء وهذا يكون من رداء الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل المعاناة وشدة التأمل وربما اضجر قاريه * واوهى معانيه * ولذلك قيل ان الخط الحسن يريد الحق وضوحا ﴿ والوجه الثامن ﴾ اغفال النقط والاشكال التي تتميز بها الحروف المشبهة وهذا ابسر امر او اخف حالا لان من كان ميمرا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم يخف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنته مع اغفال النقط والاشكال بل استقبح الكتاب ذلك في المكاتبات ورأوه من تقصير

الكتاب اوسوء ظنه بفهم الكتاب وان كان استقباحهم له في مكتبة الرؤساء
 اكثر حتى قدامة بن جعفر ان بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكى
 العامل منه الى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصدده دعواه *
 ووضوح شكواه * فوقع فيها عبيد الله بن سليمان هذا هذا فاخذها العامل
 وقرأها فظن ان عبيد الله اراد بهذا هذا اثباتا لصدده دعواه وصدق قوله كما
 يقال في اثبات الشيء هو هو فحمل الرقعة الى كاتب الدواوين واره خط
 عبيد الله وقال له ان عبيد الله قد صدق قولي وصحح ما ذكرت فحنى على
 الكاتب ذلك واطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله
 ورد اليه ليسأل عن مراده به فشد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله
 المستعان استعظما منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج الى ابانة بالشكل
 فهذه حال الكتاب في استقباحهم اعجام المكتبات بالقط والاشكال فاما غير المكتبات
 من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسونه لاسيما في كتب الادب التي يقصد بها
 معرفة صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر الغريب
 فان الحاجة الى ضبطها بالشكل والاعجام اكثر * وهي فيما سواه من العلوم ايسر *
 وقد قال النوري الخطوط المعجم * كالبرود المعلم * وقال بعض البلغاء اعجام
 الخط يمنع من استجمامه وشكك، يؤمن من اشكاله وقال بعض الادباء رب علم لم
 تجم فصوله * فاستجم محموله * وكما استقم الكتاب الشكل والاعجام في
 المكتبات وان كان في كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط في
 المكتبات وان كان في كتب العلوم مستقبحا وسبب ذلك انهم لفرط ادلالهم في
 الصنعة وتقدمهم في الكتابة يكتبون بالاشارة و يقتصرون على التلويح
 ويرون الحاجة الى استيفاء شروط الابانة تقصيرا ولفضل ما يعتقدونه من
 التقدم بهذا الحال رأوا ما نبه عليه من سواد المداد اثرا جيلا * وعلى الفضل
 والتخصيص دليلا * حتى ان عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه اثر صفرة
 فاخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال المداء بنا احسن من الزعفران و انشد
 * انما الزعفران عطر العذارى * ومداد الدوى عطر الرجال *
 فهذه جملة كافية في الابانة على الاسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة

معانيه لفظيا كان او خطأ والله ولي التوفيق فينبغي لطالب العلم ان يكشف عن الاسباب المانعة عن فهم المعنى ليسهل عليه الوصول اليه ثم يكون من بعد ذلك سائسا لنفسه مدبرا له في حال تعلمه فان بالنفس نفورا يفضى الى تقصير ووفورا يؤول الى سرف وقيادها عسرو لها احوال ثلاث فحال عدل وانصاف * و حال غلو و اسراف * و حال تقصير و اجحاف * فاما حال العدل و الانصاف فهي ان تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين طاعة مسعدة و شفقة كافة فطاعتها تمتع التقصير * و شفقتها ترد عن السرف و التبذير * و هذه احدى الاحوال لان ما منع من التقصير مما و ما صدع عن السرف مستديم و النمو اذا استدام فاخلق به ان يستكمل و قال بعض الحكماء اياك و مفارقة الاعتدال فان السرف مثل المقصر في الخروج عن الحد و اما حال الغلو و الاسراف فهي ان تختص النفس بقوى الطاعة و تقدم قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة على ا فراغ الجهد و يفضى ا فراغ الجهد الى عجز الكلال فيؤدى عجز الكلال * الى الترك و الاهمال * فتصير الزيادة نقصانا * و الربح خسرانا * و قد قالت الحكماء طالب العلم و عامل البر كاكل الطعام ان اخذ منه قوتا عجمه * و ان اسرف فيه ابشمه * و ربما كان فيه منيته كاخذ الادوية التي فيها شفاء و مجاوزة القصد فيها السم المميت * و اما حال التقصير و الاجحاف فهي ان تختص النفس بقوى الشفقة و تعدم قوى الطاعة فيدعوها الشفاق الى المعصية و تمنعها المعصية من الاجابة فلا تطلب شاردا * و لا تقبل عاندا * و لا تحفظ مستودعا و من لم يطلب الشارد * و يقبل الصائد * و يحفظ المستودع فقد الموجود * و لم يجد المفقود * و من فقد ما وجد فهو مصاب محزون * و من لم يجد ما فقد فهو خائب مغبون * و قد قال بعض الحكماء العجز مع الواني * و القوت مع التواني * و قد يكون للنفس مع الاحوال الثلاث حالتان مشتركتان بغلبة احدى القوتين فيكون للنفس طاعة و اشفاق و احدهما اغلب من الآخر فان كانت الطاعة اغلب كانت الى الوفور اميل و ان كان الشفاق اغلب كانت الى التقصير اقرب فاذا عرف من

نفسه قدر طاعتها وخبر منها كنه اشفاقها راض نفسه لتثبت على اجد حالاتها
وقد اشار الى ما وصفنا من حال النفس الفرزدق في قوله

* لكل امرء نفسان نفس كريمة * واخرى يعاصيها الفتى ويطيعها *
* ونفسك من نفسك تشفع للندى * اذا قل من احرازهن شفيها *
* وان اهل سياستها * فاعقل رياضتها * ورام ان يأخذها بالعنف * ويقهرها
بالعسف * استشاطت نافرة ولحت معاندة فلم تنقد الى طاعة ولم تنكف عن معصية
وقال سابق البربرى

* اذا زجرت لجواز زده علتنا * ولجت النفس منه في تماديهما *
* فعد عليه اذا ما نفسه جنحت * بالمين منك فان اللين ينسها *
فاذا استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها * ومعاناة رياضتها *
تركها ترك راحه * ثم طودها بعد الاستراحة * فان اجابتها تسرع * وطاعتها
ترجع * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلب يموت ويحيى ولو
بعد حين وقال ابن مسعود للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار فأتوها من قبل
شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها وقال الشاعر

* وما سمى الانسان الا لانسه * ولا القلب الا انه يتقلب *
فاما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب * وينتهي معها كمال الراجب *
مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة تسعة شروط ❖ احدها ❖
العقل الذي يدرك به حقائق الامور ❖ والثاني ❖ الفطنة التي يتصور بها
غوامض العلوم ❖ والثالث ❖ الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم
ما علمه ❖ والرابع ❖ الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل
❖ والخامس ❖ الاكتفاء بمادة تنمية عن كلف الطلب ❖ والسادس ❖
الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار ❖ والسابع ❖ عدم
القواطع المذهلة من هموم وامراض ❖ والثامن ❖ طول العمر واتساع
المدة ليتهى بالاستكثار الى مراتب الكمال ❖ والتاسع ❖ النضج بعالم سمح
بعلمه متأن في تعليه فاذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو اسعد طالب وانجح
متعلم وقد قال الاسكندر يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة وقرينة

وشهوة وتماها في الخامسة معلم ناصح ﴿ فصل ﴾ وساذكر طرفا مما يتأدب به التعلّم ويكّون عليه العالم اعلم ان المتعلّم تلقا وتذلا فان استعملها غنم * وان تركها حرم * لان التلق للعالَم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وباطهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكثار وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من اخلاق المؤمن التلق الا في طلب العلم وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ذلك طالبا فعزرت مطلوبا وقال بعض الحكماء من لم يحتمل ذل التعلّم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا وقال بعض حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير حيث تحب قعدت وانت كبير حيث لا تحب ثم يعرف له فضل علمه وليشكر له جيل فعله فقدرت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرء عالما فقد قرء ربه وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه لا يعرف فضل اهل العلم الا اهل الفضل وقال بعض الشعراء

- * ان المعلم والطيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما *
- * فاصبر لدائك ان اهنت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما *
- ولا يمنعه علو منزلته ان كانت له وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد
- * لا تحقرن عالما وان خلقت * اثوابه في عيون راقمه *
- * وانظر اليه بعين ذى ادب * مهذب الرأى في طرائقه *
- * فالسك بيننا تراه ممتنها * بفهر عطاره وساحته *
- * حتى تراه في عارضى ملك * وموضع التاج من مفارقه *

وليكن مقديا بهم في اخلاقهم متشبهيا بهم في جميع افعالهم ليصير لها ألفا وعليها ناشئا ولما خالفها مجانبا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خيار شبانكم المشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المشبهون بشبانكم وروى ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تشبه بقوم فهو منهم وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد

* العالم العاقل ابن نفسه * اغناه جنس علمه عن جنسه *
 * كن ابن من شئت وكن مؤدبا * فأنما المرء بفضل كيسه *
 * وليس من تكبره لغيره * مثل الذي تكبره لنفسه *
 وليحذر المتعلم البسط على من يعلمه وان أنسه والادلال عليه وان تقدمت صحبته
 قيل لبعض الحكماء من اذل الناس فقال عالم يجري عليه حكم جاهل وكنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبي فقال لها من انت فقالت
 بنت الرجل الجوان حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارحموا عزيز قوم
 ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين الجهال ولا يظهر له
 الاستكفاء منه والاستغناء عنه فان في ذلك كفرا لنعمته واستخفافا بحقه وربما
 وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدة خاطره فقصده من يعلمه
 بالاعتنا له والاعتراض عليه ازراء به وتبكيئاله فيكون كمن تقدم فيه المثل
 السائر لابي البطحاء

* اعلمه الزمالة كل يوم * فلما استد ساعده رمانى *
 وهذه من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان يصيروا عند من يعلموه
 مستجيبين * وعند من قدموه مستذلين * وقال صالح بن عبد التموس
 * وان غناء ان تعلم جاهلا * فيحسب جهلا انه منك اعلم *
 * متى يبلغ البنيان يوما تامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم *
 * متى ينهض عن سبى من اتى به * اذا لم يكن منه عليه تندم *
 وقد رجح كثير من الحكماء حق العالم على حق الوالد حتى قال بعضهم
 * يا فخر السلفاء بالسلف * وتاركا للعلاء والشرف *
 * آباء اجسادناهم سبب * لان جعلنا عرائض التلغف *
 * من علم الناس كان خيرا * ذاك ابو الروح لا ابو التلغف *
 ولا ينبغي ان يهتدى معرفة الحق له على قبول الشبهة منه ولا يدعوه ترك الاعتنا
 له على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غلبا بعض الاتباع في علمهم حتى يروا ان
 قوله دليل وان لم يستدل وان اعتقانه حجة وان لم يحجج فيفضى بهم الامر الى
 التسليم له فيما اخذ منه فلا يبعد ان تبطل تلك المقالة ان انفردت او يخرج اهلها

من عداد العلماء فيما شاركت لانه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم ما كانوا يرونه
 لمن اخذوا عنه فيطالبهم بما قصروا فيه، فيضعفوا عن ابائهم ويعجزوا عن
 نصرته فيذهبوا ضائعين ويصيروا عجزه مضعوفين واتعد رأيت من هذه
 الطبقة رجلا يناظر في مجلس حفل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان
 جوابه عنها ان قال ان هذه دلالة فاسدة وجه فسادها ان شيخى لم يذكرها وما
 لم يذكره الشيخ لا خير فيه فامسك عنه المستدل تعجبا ولان شيخه كان محتشما
 وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل ثم اقبل المستدل على
 وقال لى والله لقد اخطى بجهله وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة ما بين
 مستهزئ و متعجب * ومستعبد بالله من جهل مغرب * فهل رأيت كذلك عالما
 او غل في الجهل * وادل على قلة العقل * واذا كان المتعلم معتدل الرأى فيمن
 يأخذ عنه * بتوسط الاعتقاد ممن يتعلم منه * حتى لا يحمله الاعنات على
 اعراض المبكتين * ولا يعنه النلو على تسليم المقلدين * برئ المتعلم من
 المذمتين * وسلم العالم من الجهتين * و ليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتا ولا
 قبول ما صح في النفس تقليدا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 العلم خزان ومفتاحه السؤال فاسألوا رحكم الله فانما يؤجر في العلم ثلاثة القائل
 والمستمع والآخذ وقال عليه الصلاة والسلام هلا سألوها اذا لم يعلموا فانما شفاء
 العى السؤال فامر بالسؤال وحث عليه ونهى آخرين عن السؤال وزجر عنه
 فقال صلى الله عليه وسلم انها كم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
 المال وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وكثرة السؤال فانما هلك من قبلكم
 بكثرة السؤال وليس هذا مخالفا للاول وانما امر بالسؤال من قصده
 علم ما جهل ونهى عنه من قصده اعنات ما سمع واذا كان السؤال في
 موضعه ازال الشكوك ونفى الشبهة وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما بم
 نلت هذا العلم قال بلسان سؤال و قلب عقول وروى نافع عن ابن عمر رضى الله
 عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن السؤال نصف العلم و انشد
 المبرد عن ابي سليمان الفتوى

* فـل الفقيه تكن فـقـهـا مثـله * لا خـير في عـلم بغير تدبـر *

واذا

* واذا تعسرت الامور فأرجها * وعليك بالامر الذي لم يعسر *
ولياخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت
وحسن الذكر يتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان
يستوى النفعان فيكون الاخذ عن اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانتساب
اليه اجل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

* اذا انت لم يشهرك عليك لم تجد * لملك مخلوقا من الناس يقبله *
* وان صانك العلم الذي قد حلت * اتاك له من يختنيه ويحمه *
واذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا سهل من وجهه فلا تطلب ما صعب
واذا جدت من خبرته فلا تطلب من لم تختبره فان العدول عن التريب الى البعد
عناء * وترك الاسهل بالاصعب بلاء * والانتقال من المخبور الى غيره خطر وقد
قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه عقبى الاخرق مضره * والمتعسف لا تدوم
له مسره * وقال بعض الحكماء التصد اسهل من التعسف * والكف اودع
من التكلف * وربما تتبع نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه
وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل الى من لم يخبره ملال من خبره
فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها العالم كالكعبة
ياؤها البعداء * ويزهد فيها القرباء * وانشدني بعض شيوخنا اسبح بن حاتم
* لا ترى علما يحل يقوم * فيحلوه غير دار الهوان *
* قل ما توجد السلامة والصحة بمجموعتين في انسان *
* فاذا حلتما كانا سمحيا * فهما في النفوس معشوقتان *
* هذه مكة المنيرة بيت الله يسعى لوجهها الثقلان *
* ويرى ازهد البرية في الحج لها اهلها لقب المكان *

❁ فصل ❁ فاما ما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق التي بهم اليق
ولهم الزم فالتواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر وهو
بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون وكثيرا ما يداخلهم
الاعجاب لتوحدتهم بفضيلة العلم ولو انهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب
العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم اخرى لان العجب نقص

ينافى الفضل لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فلا يبق ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب وقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله عز وجل وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برأيه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون ولتواضع لكم من تعاونوه ولا تكونوا من جابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به ومن تواضع بعلمه رفعه به وعلته اعجابهم انصرف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال وانصرف نظرهم عن فوقهم من العلماء فانه ليس متاه في العلم الا وسجد من هو اعلم منه اذ العلم اكثر من ان يحيط به بشر قال الله تعالى نرفع درجات من نشاء يعنى في العلم وفوق كل ندى علم عليم قال اهل التأويل فوق كل ندى علم من هو اعلم منه حتى ينهى ذلك الى الله تعالى وقيل لبعض الحكماء من يعرف كل العلم قال كل الناس وقال الشعبي ما رأيت مثلى وما اشاء ان التى رجلا اعلم منى الا لقيته لم يذكر الشعبي هذا القول تفضيلا لنفسه فيستبجح منه واما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغي لمن علم ان ينظر الى نفسه بتقصير ما قصر فيه ليسلم من عجب ما ادرك منه وقد قيل في مشور الحكم اذا عملت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وانشدت لابن العميد

* من شاء عيشا هنيئا يستفيد به * في دينه ثم في دنياه اقبالا *
 * فلينظرن الى من فوقه اديا * ولينظرن الى من دونه مالا *
 * وقل ما تجد بالعلم مجبا * وبما ادرك مقفرا * الامن كان فيه مقلا ومقصرا *
 * لانه قد يجهل قدره * ويحسب انه نال بالدخول فيه اكثره * فاما من كان فيه *
 * متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته * والعجز عن ادراك نهايته *
 * ما يصدده عن العجب به وقد قال الشعبي العلم ثلاثة اشبار فمن نال منه شبرا *
 * شخ بانده وظن انه ناله * ومن نال الشبر الثاني صغرت اليه نفسه وعلم انه لم ينله واما *
 * الشبر الثالث فهيهات لا يناله احد ابدا وبما اندرك به من حالى اننى صنف فى

• البيوع كتابا جعت فيه ما استطعت من كتب الناس واجهدت فيه نفسي
 وكددت فيه خاطري حتى اذا تهنبت واستكمل وكنت اعجب به وتصورت
 اننى اشد الناس اضطلاما بعلمه حضرني وانا في مجلسي اعرايان فسالاني عن
 بيع عقده في البداية على شروط تضمنت اربع مسائل لم اعرف لواحدة منهن
 جوابا فاطرقت مفكرا * وبجالي وحالهما معتبرا * فقالا ما عندك فيما سألناك
 جواب وانت زعيم هذه الجماعة قلت لا فقالا واهالك وانصرفا ثم اتيا من
 يتقدمه في العلم كثير من اصحابي فسألاه فاجابهما مسرعا بما اقعنهما وانصرفا
 عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه فبتيت مرتبكا وبجالهما وخالى معتبرا واني
 لعلى ما كنت عليه من المسائل الى وقتي فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة
 تذل بها قياد النفس وانخفض لها جناح العجب توفيقا فتحته ورشدا
 اوتيته وحق على من ترك العجب بما يحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن
 قديما نهى الناس عنهما * واستعاذوا بالله منهما * ومن اوضح ذلك بيانا
 استعاذة الجاحظ في كتاب البيان حيث يقول اللهم انا نعوذ بك من فنة القول
 كما نعوذ بك من فنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا يحسن * كما نعوذ بك
 من العجب بما يحسن * ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر * كما نعوذ بك
 من شر العي والحصر * ونحن نستعيذ بالله تعالى مثل ما استعاذ فليس لمن تكلف
 ما لا يحسن غاية ينتهي اليها ولا حد يقف عنده ومن كان تكلفه غير محدود
 فالخلق به ان يضل ويضل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
 سئل فافتي بغير علم فقد ضل واصل وقال بعض الحكماء من العلم ان لا تتكلم فيما
 لا تعلم بكلام من يعلم خسيك جهلا من عثلك ان تنطق بما لا تفهم ولقد احسن
 زرارة بن زيد حيث يقول

* اذا ما انتهى علمي تاهيت عنده * اطال فاملني او تاهى فاقصر
 * ويخبرني عن غائب المرء فعلمه * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا
 فاذا لم يكن الى الاطاعة بالعلم سبيل فلا عار ان يجهل بمضه واذا لم يكن في
 جهل بعضه عار لم يقع به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم وروى ان رجلا قال

يارسول الله اى البقاع خير و اى البقاع شر فقال لا ادرى حتى اسأل جبريل وقال
 على بن ابي طالب رضى الله عنه وما ابردها على التلب اذا سئل احدكم فيما لا يعلم
 ان يقول الله اعلم وان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم قليل وقال عبد الله بن
 عباس رضى الله عنهما اذا ترك العالم قول لا ادرى اصيبت مقاتله وقال بعض
 العلماء هلك من ترك لا ادرى وقال بعض الحكماء ليس لى من فضيلة العلم الا على
 بانى لست اعلم وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم فدرى ومن اتعمل ما لا يدرى
 اهل فهوى ولا يذنبى للرجل وان صار فى طابفة العلماء الافضل ان يستنكف
 من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف وقد قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه
 السلام يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت وقال على
 ابن ابي طالب رضى الله عنه خمس خذوهن عنى فلوركنتم الفلك ما
 وجدتموهن الا عندى الا لا يرجون احد الا ربه * ولا يخافن الاذنبه *
 ولا يستنكف العالم ان يتعلم لما ليس عنده واذا سئل احدكم عما لا يعلم فليقل
 لا اعلم ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال عبد الله بن
 عباس رضى الله عنهما لو كان احدكم يكتب من العلم لاكتفى منه موسى على
 نبينا وعليه السلام لما قال هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقيل للخليل
 ابن احمد ادرى كت هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته
 وقال يزرجه من العلم ان لا تحقر شيئا من العلم ومن العلم تفضيل جميع العلم
 وقال المنصور لشريك انى لك هذا العلم قال لم ارجب عن قليل استفيد * ولم
 اخل بكثير افيد * على ان العلم يقتضى ما بقى منه ويستدعى ما تأخر عنه
 وليس للراغب فيه قناعة ببعضه وروى عون بن عبد الله عن ابن مسعود رضى
 الله عنه انه قال منه ومان لا يشبعان طالب علم وطالب ديننا اما طالب العلم فانه
 يزداد للرحن رضى ثم قرأ اتم يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه
 يزداد طغيانا ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولكن مستقلا للفضيلة
 منه ليرداد منها ومستكبرا للنقيصة فيه لينتهى عنها ولا يقنع من العلم بما ادرك لان
 القناعة فيه زهد وللزهد فيه ترك والتك له جهل وقد قال بعض الحكماء عليك
 بالعلم والاكثر منه فان قليله اشبهه شىء بقليل الخير وكثيره اشبهه شىء بكثيره ولن

يعيب الخير الا القلة فاما اكثرته فاذنها امنية وقال بعض البلغاء من فضل علمك استقلالك لملك ومن كمال عقلك استظهارك على علمك ولا ينبغي ان يجهد من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بها قدر حقها ولان يكون بها مقصرا فيدعن بالانقياد * اولى من ان يكون بها مجاوزا فيكف عن الازدياد * لان من جهل حال نفسه كان لغيرها اجهل وقد قات عائشة رضی الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وقد قسم الخليل بن احد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام متقابلة لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة رجل يدرى ويدرى انه يدرى فذلك عالم فاسأله * ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك ناس فذكروه * ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فارشدوه * ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه * وانشد ابو القاسم الآمدي

* اذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى * يسائل من يدرى فكيف اذا تدرى *
 * جهات ولم تعلم بانك جاهل * فن لي بان تدرى بانك لا تدرى *
 * اذا كنت من كل الامور معيا * فكن هكذا ارضا يطأك الذى يدرى *
 * ومن اعجب الاشياء انك لا تدرى * وانك لا تدرى بانك لا تدرى *
 وليكن من شيمته العمل بعلمه وحث النفس على ان تأتمر بما يأمر به ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل اسفارا فقد قال قتادة في قوله تعالى وانه لذو علم لما علمناه يعنى انه عامل بما علم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للجماع التمول ويل للمصريين يريد الذين يستمعون القول ولا يعملون به وروى عبد الله بن وهب عن سفيان ان الحضرمي علي بنينا وعليه السلام قال لموسى عليه السلام يا ابن عمران تعلم العلم تعمل به ولا تتعلمه لتحديث به فيكون عليك بوره * ولنغيرك نوره * وقال علي بن ابي طالب انما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم وقال ابو الدرداء اخوف ما اخاف اذا وقفت بين يدي الله ان يقول قد علمت فاذا علمت اذ علمت وكان يقال خير من القول فاعله * وخير من الصواب قائله * وخير من العلم حامله * وقيل في منشور الحكم لم يتفجع بعلمه من ترك العمل به وقال

بعض العلماء ثمره العلم ان يعمل به وثمره العمل ان يؤجر عليه وقال بعض
الصلحاء العلم يهتف بالعمل * فان اجابه اقام و الا ارتحل * وقال بعض العلماء خير
العلم ما نفع * وخير التمول ما ردع * وقال بعض الانبياء ثمره العلوم * العمل
بالعلوم * وقال بعض البلغاء من تمام العلم استعماله * ومن تمام العمل استقلاله *
فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد * ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد *
وقال حاتم الطائي

* ولم يحمدا من علم غير عامل * خلافا ولا من عامل غير عالم *
* رأوا طرقا للمجد عوجا قطيعة * واقطع عجز عندهم عجز حازم *
لانه لما كان علمه حجة على من اخذ عنه واقبسه منه حتى يلزمه العمل به والمصير
اليه كان عليه احج وله الزم لان مرتبة العلم قبل مرتبة القول كما ان مرتبة العلم
قبل مرتبة العمل وقد قال ابو العتاهية رحمه الله

* اسمع الى الاحكام تحملها الرواة اليك عنكا *
* واعلم هديت باذنها * حجج تكون عليك منكا *
ثم ليتحجب ان يقول ما لا يفعل وان يأمر بما لا يأمر به وان يسر غير ما يظهر ولا
يجعل قول الشاعر هذا

* اعمل بقولي وان قصرت في عملي * ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري *
عذرا له في تقصير يضره وان لم يضر غيره فان اصرار النفس بغيرها ويحسن
لها مساويها فان من قال ما لا يفعل فتد مكر ومن امر بما لا يأمر فقد خدع
ومن اسر غير ما يظهر فتد نافق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال المكر والخديعة وصاحباهما في النار على ان امره بما لا يأمر مطرح *
وانكاره ما لا ينكره من نفسه مستحجج * بل ربما كان ذلك سببا لاغراء الامور
بترك ما امره به عنادا * وارتكاب ما نهى عنه كيانا * وحكى ان اعرابيا اتى
ابن ابي ذئب فسأله عن مسألة طلاق فافتاها بطلاق امرأته فقال انظر حسنا قال
نظرت وقد بانت فولى الاعرابي وهو يقول

* اتيت ابن ذئب ابغى الفقه عنده * فطلق حيي البت بدت انامله *
* اطلق في فتوى ابن ذئب حليلتي * وعند ابن ذئب اهله وحلائله *

فظن بجهله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم الطلاق فما ظنك بقول يجب فيه اشتراك الأمر والمأمور كيف يكون مقبولاً منه وهو غير عامل به ولا قابل له كلا وقال احد بن يوسف

- * وعامل بالفجور يأمر بالسير كهماد يخوض في الظلم *
- * او كطبيب قد شفه سقم * وهو يداوى من ذلك السقم *
- * يا واعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر او لافلا تلم *

❁ وقال آخر ❁

- * عود لسانك قبه اللفظ * واحفظ كلامك ايما حفظ *
- * اياك ان تعظ الرجال وقد * اصبحت محتاجاً الى الوعظ *

واما الانقطاع عن العلم الى العمل و الانقطاع عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم فقد حكي عن الزهري فيه ما يغني عن تكلف غيره وهو انه قال العلم افضل من العمل لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم واما فضل ما بين العلم والعبادة اذا لم يخجل بواجب ولم يقصر في فرض فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اتئد حتى تشفع للناس ومن آداب العلماء ان لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون * ولا يمتنعوا من افادة ما يعلمون * فان البخل به لوم وظلم * والنع منه حسد واثم * وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جوداً من غير بخل * واوتوه عفواً من غير بذل * ام كيف يجوز لهم الشح بما ان بذلوه زاد ونمي * وان كتموه تناقص ووهى * ولو استن ذلك من تقدمهم لما وصل العلم اليهم ولا تفرض عنهم بانقرضهم و لصاروا على مرور الايام جهالاً * و بتلقب الاحوال وتناقصها اردالا * وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمتعوا العلم اهلها فان في ذلك فساد دينكم والنباس بصائركم ثم قرأ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعدما بينا للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علماً يحسنه اجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وروى عن علي بن ابي طالب

كرم الله وجهه انه قال ما اخذ الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على العهد اهل العلم ان يعلموا وقال بعض الحكماء اذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فاحرى ان يكون من قواعدها بذل ما يزيد البذل وقال بعض العلماء كما ان الاستفادة نافلة للمتعلم كذلك الافادة فريضة على المعلم وقد قيل في مشور الحكم من كتم علما فكأنه جاهل وقال خالد بن صفوان اني لافرح بافادتي المتعلم اكثر من فرحي باستغاثتي من المعلم ثم له بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة فقال تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده * ورأى يسدده * وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا وعلوا فان اجر العالم والمتعلم سواء قيل وما اجرهما قال مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة والنفع الثاني زيادة العلم واتقان الحفظ فقد قال الخليل بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل منظره المتعلم تنبيها على ما ليس عندك وقال ابن المعتز في مشور الحكم النار لا ينقصها ما اخذ منها ولكن يخمدها ان لا تجد حطبها كذلك العلم لا يقينيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه فايك والبخل بما تعلم وقال بعض العلماء علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا علمت ما جهلت وحفظت ما علمت فاعلم ان المتعلمين ضربان مستدع وطالب فاما المستدعي الى العلم فهو من استدعا العالم الى التعليم لما ظهر له من جودة ذكائه وبان له من قوة خاطره فاذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك النجباء * وظفر السعداء * لان العالم باستدعائه متوفر * والمتعلم بشهوته مستكثر * واما طالب العلم لداع يدعوه * وبعث يحدوه * فان كان الداعي دينيا * وكان المتعلم فطنا ذكيا * وجب على العالم ان يكرن عليه متبلا وعلى تعليمه متوفر الا يخفى عليه مكنونا * ولا يلحوى عنه مخزونا * وان كان بليدا بعيد الفطنة فينبغي ان لا يمنع من اليسير فيحرم * ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم * ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه فان الشهوة باعثة والصبر مؤثر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمعوا العلم امله فتظلموا * ولا تضعوه في غير اهله فأنتموا * وقال بعض الحكماء لا تتمعوا العلم احدا فان العلم اضع لجانبه فاما ان لم يكن الداعي دينيا نظر فيه فان كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهة

فطلب الرئاسة فالقول فيه يقارب القول الاول في تعليم من قبل لان العلم يعطفه الى الدين في ثانی حال وان لم يكن مبتدأ به في اول حال وقد حكى عن سفیان الثوري انه قال تعلموا العلم لغير الله تعالى فابي ان يكون الا لله وقال عبد الله ابن المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وان كان الداعي محظورا كرجل دعاه الى طلب العلم شر كامن ومكرباطن يريد ان يستعملهما في شبه دينية وحيل فقهية لا تجتهد اهل السلامة منها مخلصا ولا عنها مدفعا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اهلك امتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل يارسول الله اى الناس اشر قال العلماء اذا فسدوا فينبغي للعالم اذا رأى من هذه حاله ان يمنع عن طلبته * ويصرفه عن بعثته * فلا يعينه على امضاء مكره * واعمال شره * فقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم في غير اهله كقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام لا تلقوا الجوهر للخنزير فالعلم افضل من اللؤلؤ ومن لا يستحقه شر من الخنزير وحكى ان تلميذا سأل عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له لم متعه فقال لكل تربة غرس * ولكل بناء اس * وقال بعض البلقاء لكل ثوب لابس * ولكل علم قابس * وقال بعض الادباء ارث لروضة توسطها خنزير * وابك لعلم حواه شيرير * وينبغي ان يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدرا استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه او يضعف عنه ببلادته فانه ارواح للعالم وانجح للمتعلم وقد روى ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا انالم اعلم ما لم ار فلا علمت ما رأيت وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومي

* المحي يرى باول رأى * آخر الامر من وراء المغيب *
 * لودعى له فؤاد ذكى * ما له في ذكائه من ضريب *
 * لا يروى ولا يقلب طرفا * واكف الرجال في تقلب *
 واذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة وكان بقدر استحقاقهم خيرا

لم يضع له عشاء ولم ينجب على يديه صاحب وان لم يتوسمهم وخفيت عليه
 احوالهم ومبلغ استحقاقهم وكانوا واياهم في عناء مكدهم وتعب غير محمد لانه
 لا يعدم ان يكون فيهم ذكي محتاج الى الزيادة وبليد يكتفي بالقليل فيضجر
 الذكي منه ويجز البليد عنه ومن يردد اصحابه بين عجز وضجر ملوه
 وملهم وقد حكى عبد الله بن وهب ان سفيان بن عبد الله قال قال الخضر
 لموسى عليهما السلام يا طالب العلم ان القائل اقل ملالة من المستمع فلا تمل
 جلساءك اذا حدثهم يا موسى واعلم ان قلبك وعاء فانظر ما تحشو
 في وعالك وقال بعض الحكماء خير العلماء من لا يقل ولا يمل وقال بعض العلماء
 كل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عمى وانما ينفع سمع
 الاذان * اذا قوى فهم القلوب في الابدان * وربما كان لبعض السلاطين
 رغبة في العلم لفضيلة نفسه وكرم طابعه فلا يجعل ذلك ذريعة في الانسباط عنده
 والادلال عليه بل يهطى ما يستحقه بسلطانه وعلو يده فان للسلطان حق الطاعة
 والاعظام * وللعلم حق القبول والاکرام * ثم لا ينبغي ان يتدنه الا بعد
 الاستدعاء ولا يزيد على قدر الاكتفاء فرما احب بعض العلماء اظهار علمه للسلطان
 فاكثره فصار ذلك ذريعة الى ملاء ومفضيا الى بعده فان السلطان متقسم الافكار
 مستوعب الزمان فليس له في العلم فراغ المتقطعين اليه ولا صبر المنفردين به وقد
 حكى الاصمعي رحمه الله قال قال لي الرشيد يا عبد الملك انت اعلم منا ونحن
 لعقل منك لا تعلمنا في ملاء * ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء * واركنا حتى
 نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حد الاستحقاق فلا تزد الا ان
 يستدعي ذلك منك وانظر الى ما هو الطوف في التأديب وانصف في التعليم *
 وبلغ بلوجز لفظ غاية التقوم * ويخرج تعليمه مخرج للذاكرة والمحاضرة لا يخرج
 التعليم والافادة لان لتأخير العلم تجلة تقصير يحمل السلطان عنها فان ظهر منه
 خطأ او زلل في قول او عمل لم يجاهره بلورد وعرض باستدراك زله * واصلاح
 خله * وحكى ان عبد الملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك قال الفين قال لحت
 قال لما ترك امير المؤمنين الاعراب كرهته ان اعرب كلامي عليه ثم ليحذر
 اتباعه فميتا بجانب الدين ويضاد الحق موافقة رأيه ومتابعة لهواه فرما زلت

اقدام العلماء في ذلك رغبة او رهبة فضلوا واضلوا مع سوء العاقبة وفتح الأكار
وقد روى الحسن البصري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمارقواها امرأها ولم يرك
صلحواؤها فجارها ولم يمار اخيارها اشرارها * فإذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم
سلط عليهم جبارتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقير وملا قلوبهم
رعبا ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب * والقناعة باليسور عن كد
المطالب * فان شبهة المكاسب أثم وكذا الطلب ذل والاجر اجدر به من الأثم
والغزاليق به من الذل وانشدني بعض اهل الادب لعلي بن عبد العزيز القاضي
رحمه الله تعالى

* يقولون لي فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل احجما *
* أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمه عزه النفس اكرما *
* ولم افض حق العلم ان كان كليا * بدا طمع صيرته لي سلبا *
* وما كل برق لاح لي يستفزني * ولا كل من لاقيت ارضاه منعا *
* اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى * ولكن نفس الحر يحتمل الظما *
* انتهتها عن بعض ما لا يشينها * مخافة أقوال العدا فيم اولما *
* ولم ابتذل في خدمة العلم مكجتي * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما *
* المشقى به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباغ الجهل قد كان احزما *
* ولو ان اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما *
* واكن اهائوه فهان ودنسوا * محياء بالاطماع حتى تجهما *
على ان العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق التية فيه
لم يكن له همة فيما يجد بدا منه وقال بعض البلغاء من تفرد بالعلم لم توخشه
خلوه * ومن نسلى بالكتب لم تقه سلوه * ومن آتسه قراءة القرآن * لم
توخشه مفارقة الاخوان * وقال بعض العلماء لا سمير كالعلم * ولا ظهير كالعلم *
ومن آدابهم ان يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من
ارشوا من غير ان يعاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا قال الله تعالى
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال ابو العالية لا تأخذوا عليه اجرا وهو مكتوب عندهم

في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجر العلم كاجر الصائم القائم وحسب من هذا اجره ان يلتبس عليه اجرا ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم وبذل الجهود في رفقهم ومعونتهم فان ذلك اعظم لاجرهم واسنى لذكورهم وانشروا لعلومهم وارسخوا لعلومهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي كرم الله وجهه يا علي لان يهدي الله بك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس ومن آدابهم ان لا يعنفوا متعلما ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدئا فان ذلك ادعى اليهم واعطف عليهم واحث على الرغبة فيما لديهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علوا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقروا من تعلمون منه ووقروا من تعلمونه ومن آدابهم ان لا يمتنعوا طالبا ولا يؤيسوا متعلما في ذلك من قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفض الى اتقراض العلم باقراضهم فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا انبئكم بالفقير ككل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤيسهم من روح الله ولا يدع القرآن رغبة الى ما سواه ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر فهذه جملة كافية والله ولي التوفيق

باب ادب الدين

اعلم ان الله سبحانه وتعالى انما كلف الخلق متعبداته * و الزمهم مفترضاته * وبعث اليهم رسوله وشرع لهم دينه لغير حاجة دعت الى تكليفهم ولا من ضرورة قادته الى تعبدهم وانما قصد نفعهم تفضلا منه عليهم كما تفضل بما لا يحصى عدا من نعمه بل النعمة فيما تعبدهم به اعظم لان نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدينا العاجلة ونفع المتعبدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة وما جمع نفع الدنيا والآخرة كان اعظم نعمة وأكثر تفضلا وجعل ما تعبدهم به مأخوذا من عقل متبوع * وشرع مسموع * فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع والشرع

مسموع فيما لا يمنع منه العقل لان الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والعقل لا يتبع
 فيما يمنع منه الشرع فلذلك توجه التكليف الى من كمل عقله فأرسل رسوله
 بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فبلغهم رسالته
 وآزهم حجته وبين لهم شريعته وتلا عليهم كتابه فيما احله وحرمه واباحه
 وحظره واستحبه وكرهه وامر به ونهى عنه وما وعده من الثواب لمن اطاعه
 واوعده من العقاب لمن عصاه فكان وعده ترغيبا * ووعيده تهيبا *
 لان الرغبة تبعث على الطاعة والرغبة تكف عن المعصية والتكليف يجمع امرا
 بطاعة ونهيا عن معصية ولذلك كان التكليف مقرونا بالرغبة والرغبة وكان
 ما تحلل كتابه من قصص الانبياء السالفة واخبار القرون الخالية عظة
 واعتبارا تقوى معهما الرغبة * وتزداد بهما الرهبة * وكان ذلك من لطفه بنا
 وتفضله علينا فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى وشكره لا يؤدي ثم جعل الى رسوله
 صلى الله عليه وسلم بيان ما كان مجملا وتفسير ما كان مشكلا وتحقيق ما كان محتملا
 ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض اليه قال
 الله تعالى وايزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون ثم
 جعل الى العلماء استنباط ما به على معانيه واشار الى اصوله بالاجتهاد فيه الى
 علم المراد فيمتازوا بذلك عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله تعالى
 يرفع الله الذين آمنوا منكم او الذين اتوا العلم درجات وقال الله تعالى وما يعلم
 تأويله الا الله والراسخون في العلم فصار الكتاب اصلا والسنة فرعا واستنباط
 العلماء ايضا وكشفا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن اصل
 علم الشريعة نصه ودليله والحكمة بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة
 المجتمع حجة على من شذ عنها وكان من رأفته بخلقه وتفضله على عباده ان اقدرهم
 على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما قد اعده لهم
 ناهضين بفعل الطاعات ومجانبة المعاصي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا
 الا وسعها وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل ما كلفهم
 ثلاثة اقسام قسما امرهم باعتقاده وقسما امرهم بفعله وقسما امرهم
 بالكف عنه ليكون اختلاف جهات التكليف ابعث على قبوله واعون على فعله

حكمة منه ولطفاً وجعل ما امرهم باعتقاده قسمين قسمًا اثباتاً وقسمًا نفياً
 فاما الاثبات فاثبات توحيدهِ وصفاته واثبات بعثته رسله وتصديق محمد صلى الله
 عليه وسلم فيما جاء به واما النفي فنفي الصاحبة والولد والحاجة والقبائح اجمع
 وهذان القسمان اول ما كلفه العاقل وجعل ما امرهم بفعله ثلاثة اقسام قسمًا
 على ابدانهم كالصلاة والصيام وقسمًا في اموالهم كالزكاة والكفارة وقسمًا
 على اموالهم وابدانهم كالحج والجهاد ليسهل عليهم فعله ويخف عنهم اداؤه نظرا
 منه تعالى لهم وتفضلا منه عليهم وجعل ما امرهم بالكف عنه ثلاثة
 اقسام قسمًا لاحياء نفوسهم وصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل واكل
 الخبائث والسموم وشرب الخمر المؤدية الى فساد العقل وزواله وقسمًا لاثلافهم
 واصلاح ذات بينهم كنهيه عن الغضب والغلبة والظلم والسرف المفضي الى
 القطيعة والبغضاء وقسمًا لحفظ انسابهم وتعظيم محارمهم كنهيه عن الزنا ونكاح
 ذوات المحارم فكانت نعمته فيما حضره علينا كنعمة فيما اباحه لنا وتفضله
 فيما كفنا عنه كفضله فيما امرنا به فهل يجد العاقل في رويته مساعداً
 ان يقصر فيما امر به وهو نعمة عليه او يرى فسحة في ارتكاب ما نهى
 عنه وهو تفضل منه عليه وهل يكون من انعم عليه بنعمة فاهملها مع شدة
 فاقته اليها الامدوم ما في العقل مع ما جاء من وعيد الشرع ثم من لطفه بخلمته
 وتفضله على عباده ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلاً وجعل لها من الثواب
 قسطاً وندبهم اليه ندباً وجعل لهم بالحسنة عشرة ليضاعف ثواب فاعله
 ويضع العقاب عن تاركه ومن لطيف حكمته ان جعل لكل عبادة حالتين حالة
 كال وحالة جواز رقفاً منه بخلمته لما سبق في عمله ان فيهم العجل المبادر والبطيء
 المتثاقل ومن لا صبر له على اداء الاكل ليكون ما اخل به من هيئات عبادته
 غير قادح في فرض ولا مانع من اجر فكان ذلك من نعمه علينا وحسن نظره الينا
 وكان اول ما فرض بعد تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم عبادات الابدان وقد
 قدمها على ما يتعلق بالاموال لان النفوس على الاموال اشح * وما يتعلق بالابدان
 اسح * وذلك الصلاة والصيام فقدم الصلاة على الصيام لان الصلاة اسهل
 فعلاً وايسر عملاً وجعلها مشتملة على خضوع له وابتهاال اليه فالتخضوع

له رهبة منه والابتهاال اليه رغبة فيه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى صلاته فانما يناجي ربه فلينظر بما يناجيه و روى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه انه كان كلما دخل عليه وقت صلاة اصفر لونه مرة واحمر اخرى فقبل له في ذلك فقال اتنى الامانة التي عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشقن منها وجلتها انا فلا ادرى اوسى فيها ام احسن ثم جعل لها شروطا لازمة من رفع حدث وازالة نجس ليستديم النظافة للقاء ربه والطهارة لآداء فرضه ثم ضمنها تلاوة كتابه المنزل ليتدبر ما فيه * من اوامره ونواهيه * ويعتبر اعجاز الفاظه ومعانيه * ثم علقها باوقات راتبة وازمان متردفة ليكون ترادف ازمانها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له والابتهاال اليه فلا تقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه و اذا لم تقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاؤها على الكمال اوالتقصير فيها حال الجواز وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مكبال فمن وفى له ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هانت عليه صلاته كانت على الله تعالى عز وجل اهون وانشدت لبعض الفصحاء فى ذلك

* اقبل على صلواتك الخمس * كم مضج وعساه لا يمسي *
 * واستقبل اليوم الجديد بتوبة * تحو ذنوب صبيحة الامس *
 * فليعلمن بوجهك الفض البلى * فعل الظلام بصورة الشمس *
 ثم فرض الله تعالى الصيام وقدمه على زكاة الاموال لتعلق الصيام بالابدان وكان فى ايجابه حثا على رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعاتهم لما عابونه من شدة المجاعة فى صومهم وقد قيل ليوסף على نبينا و عليه السلام ايجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع ثم لما فى الصوم من قهر النفس واذلالها وكسر الشهوة المستولية عليها واشعار النفس ما هى عليه من الحاجة الى يسير الطعام والشراب والمحتاج الى الشئ دليل به وبهذا اجمع الله تعالى على من اتخذ عيسى على نبينا و عليه السلام و امه الاهيم

من دونه فقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله ازل من قبله انزل و امه صديقة كانا يأكلان الطعام فجعل احتياجهما الى الطعام نقصا فيهما عن ان يكونا الاهين وقد وصف الحسن البصرى ربه الله تعالى نقص الانسان بالطعام والشراب فقال مسكين ابن آدم محتوم الاجل * مكتوم الامل * مستور العلل * يتكلم بالحلم * وينظر بشحم * و يسمع بعظم * اسير جوعه صريع شبعه تؤذيه البتة * وتنته العرق * وتقتله الشرفة * لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فانظر الى لطفه بنا * فيما اوجبه من الصيام علينا كيف ايقظ العقول له و قد كانت عنه غافلة او متغافلة و نفع النفوس به و لم تكن منتفعة و لا نافعة ثم فرض زكوات الاموال و قدمها على فرض الحج لان في الحج مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى الحج فكان في ايجابها مواساة للفقراء و معونة لذوى الحاجات تكفهم عن البغضاء و تمنعهم من التقاطع و تبعثهم على التواصل لان الآمل و وصول و الراجى هائب و اذا زال الآمل و انقطع الزجا و اشتدت الحاجة وقعت البغضاء و اشتد الحسد فحدث التقاطع بين ارباب الاموال و الفقراء * و وقعت العداوة بين ذوى الحاجات و الاغنياء * حتى تفضى الى التعالب على الاموال و التفرير بالنفوس هذا مع ما في اداء الزكاة من ترمين النفس على السماحة المحمودة و مجانبة الشح المذموم لان السماحة تبعث على اداء الحقوق و الشح يصد عنها و ما يبعث على اداء الحقوق فاجدر به جدا و ما صد عنها فاخلق به ذما و قد روى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شر ما اعطى العبد شح هالع * وجبن خالع * فسبحان من دبرنا بلطيف حكمته * و اخفى عن فطنتنا جزيل نعمته * حتى استوجب من الشكر باخفائها اعظم مما استوجبه بابدائها ثم فرض الحج فكان آخر فروضه لانه يجمع عملا على بدن و حقا في مال فجعل فرضه بعد استقرار فروض الابدان و فروض الاموال ليكون استثناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل ما جمع بين النوعين فكان في ايجابه تذكير ليوم الحشر بمفارقة المال و الاهل و خضوع العزيز و الذليل في الوقوف بين يديه و اجتماع المطيع و العاصي في الرهبة منه و الرغبة اليه و اقلاع اهل

المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما اسلفوه قبل من حج الا
واحدث توبة من ذنب واقلاعا من معصية ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
من علامة الحجة البرورة ان يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها وهذا صحيح
لان الندم على الذنوب مانع من الاقدام عليها والتوبة مكفرة لما سلف منها
فذا كف عما كان يقدم عليه انبأ عن صحة توبته وصحة التوبة تقتضى
قبول مجته ثم نبه بما يعانى فيه من مشاق السفر المؤدى اليه على موضع النعمة
برفاهة الإقامة وانسة الاوطان ليخنوا على من سلب هذه النعمة من ابناء السبيل
ثم اعلم بمشاهدة حرمة الذى انشأ منه دينه وبعث فيه رسوله ثم بمشاهدة دار
الهمجرة التى اعز الله بها اهل طاعته واذل بنصرة نبيه محمد عليه الصلاة
والسلام اهل معصيته حتى خضع له عظماء المجبرين * وتذلل له زعماء
المكبرين * انه لم ينشر عن ذلك المكان المتقطع ولا قوى بعد الضعف البين
حتى طبق الارض شرقا وغربا الا همجرة ظاهرة ونصر عزيز فاعتبر الهيك
الله الشكر ووفقك للتقوى انعامه عليك فيما كلفك واحسانه اليك فيما تعبدك
فقد وكلتك الى فطنتك واحلتك على بصيرتك بعد ان كنت لك رائدا صدوقا *
وناصحا شفوفا * هل تحسن نهوضا بشكره اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك
كلا انه لا يوليك نعمة توجب الشكر الا وصلها قبل شكر ما سلف بنعمة توجب
الشكر فى المؤتلف وقال الحسن بن على نعم الله أكثر من ان تشكر الا ما اعان عليه
وذنوب ابن آدم أكثر من ان تغفر الا ما عفى عنه وانشدت لمنصور بن اسمعيل
الفقيه المصرى رحمه الله تعالى

* شكر الاله نعمة * موجبة لشكره *

* فكيف شكرى بره * وشكره من بره *

و اذا كنت عن شكر نعمه عاجزا فكيف بك اذا قصرت فيما امرك او فرطت فيما
كلفك ونفعه اعود عليك لو فعلته هل تكون لسوانح نعمه الا كفورا * وبداية
العقول الامزجورا * وقد قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال
مجاهد اى يعرفون ما عده الله عليهم من نعمه وينكرونها بقولهم
انهم ورثوها عن آباائهم و اكتسبوها بافعالهم و روى عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال يقول الله يا ابن آدم ما انصفتني أتحب اليك بالنعمة وتمتت الى بالمعاصي خيري اليك نازل وشرك الى صاعد كم من ملك كريم يصعد الى منك بهمل قبيح وقال بعض صلحاء السلف قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصى * مع كثرة ما نعصيه * فلاندرى ايهما نشكر * أجيل ما ينشر * ام قبيح ما يستر * فحق على من عرف موضع النعمة ان يقبلها بمثلا لما كلف منها وقبولها يكون بأدائها * ثم يشكر الله تعالى على ما انعم من اسدائها * فان بنا من الحاجة الى نعمه أكثر مما كلفنا من شكر نعمه فان نحن ادينا حق النعمة في التكليف تفضل باسداء النعمة من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ومن لزمته النعمتان فقد اوتي حظ الدنيا والآخرة وهذا هو السعيد بالاطلاق وان قصرنا في أداء ما كلفنا من شكره قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه ففرت النعمتان ومن فرت عنه النعمتان فقد سلب حظ الدنيا والآخرة فلم يكن له في الحياة حظ ولا في الموت راحة وهذا هو الشقي بالاستحقاق وليس يختار الشقوة على السعادة ذولب صحيح ولا عقل سليم وقد قال الله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وروى الاعمش عن سليم قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله ما اشد هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال يا ابا بكر ان المصيبة في الدنيا جزاء واختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى سنعذبهم مرتين فقال بعضهم احد العذابين الفضيحة في الدنيا والثاني عذاب القبر وقال عبدالرحمن بن يزيد احد العذابين مصائبهم في الدنيا في اموالهم واولادهم والثاني عذاب الآخرة في النار وليس وان نال اهل المعاصي لذة من عيش او ادركوا امنية من دنيا كانت عليهم نعمة بل قد يكون ذلك استدراجا ونقمة وروى ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاؤون على معاصيهم اياه فلما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به قحطنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فلما المحرمات التي يمنع الشرع منها واستقر التكليف عقلا او شرعا بالذهي عنها فتقسم قسمين منها ما تكون النفوس داعية اليها والشهوات باعثة عليها كالسفاح وشرب الخمر فقد زجر الله عنها

لقوة الباعث عليها وشدة الميل اليها بنوعين من الزجر احدهما حد عاجل يرتدع به الجريء والساني وعيد آجل يزدجر به التقى ومنها ما تكون النفوس نافرة منها والشهوات مصروفة عنها كاكل الحباث والمستقذرات وشرب السموم الملتفات فقتصر الله في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحد لان النفوس مسعدة في الزجر عنها ومصروفة عن ركوب المحظور منها ثم اكد الله زواجه بانكار المنكرين لها فوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون الامر بالمعروف تأكيداً لاوامره والنهي عن المنكر تأييداً لواجبه لان النفوس الاشارة قد الهتها الضبوة عن اتباع الاوامر * واذهلتها الشهوة عن تذكر الزواجر * وكان انكار المجانسين ازجر لها وتوبخ المخاطبين ابلغ فيها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اقر قوم المنكرين اظهرهم الا عههم الله بعذاب محتضر واذا كان ذلك فلا يخلو حال فاعلى المنكر من احد الامرين احدهما ان يكونوا آحاداً متفرقين * وافراداً متبددين * لم يمحزبوا فيه ولم يتظافروا عليه وهم رعية مقهورون * واشداً مستضعفون * فلا خلاف بين الناس ان امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعليه * او سمعه من قائله * وانما اختلفوا في وجوب ذلك على منكريه هل وجب عليهم بالعقل او بالشرع فذهب بعض المتكلمين الى وجوب ذلك بالعقل لانه لما وجب بالعقل وجب ان يمتنع من القبيح ووجب ايضا بالعقل ان يمتنع غيره منه لان ذلك ادعى الى مجانبته * وابلغ في مفارقتة * وقد روى عبدالله بن المبارك رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما ركبو اسفينة فاقسموا فاخذ كل واحد منهم موضعاً ففر رجل منهم موضعاً، بفاس فقالوا ما تضع فقال هو مكاني اضع فيه ما شئت فلم يأخذوا على يديه فهلكوا وهلكوا وذهب آخرون الى وجوب ذلك بالشرع دون العقل لان العقل لو اوجب النهي عن المنكر ومنع غيره من القبيح لوجب مثله على الله تعالى ولما جاز ورود الشرع باقرار اهل الذمة على الكفر وترك النكير عليهم لان واجبات العقول لا يجوز ابطالها بالشرع وفي ورود الشرع بذلك دليل على ان العقل غير موجب لانكاره فاما اذا كان في ترك انكاره مضرة لاحقة بمنكره

وجب انكاره بالعقل على القولين معا واما ان لحق المنكر مضرة من انكاره ولم تلحقه من كفه واقراءه لم يجب عليه الانكار بالعقل ولا بالشرع اما العقل فلائمه يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازئها نفع واما الشرع فقد روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكر المنكر يدك فان لم تستطع فلسانك فان لم تستطع فبمهلك وذلك اضعف الايمان فان اراد الاقدام على الانكار مع حقوق المضرة به نظر فان لم يكن اظهار التكبر مما يتعلق باعزاز دين الله ولا اظهار كلمة الحق لم يجب عليه التكبر اذا خشى بغالب الظن تلفا او ضررا ولم يخش منه التكبر ايضا وان كان في اظهار التكبر اعزاز دين الله تعالى و اظهار كلمة الحق حسن منه التكبر مع خشية الاضرار والتلف وان لم يجب عليه اذا كان الغرض قد يحصل له بالتكبر وان انتصروا قتل وعلى هذا الوجه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من افضل الاعمال كلمة حق عند سلطان جائر فاما اذا كان يقتل قبل حصول الغرض فبيع في العقل ان يتعرض لانكاره وكذلك لو كان الانكار يزيد المنهى اغراء بفعل المنكر ولجا في الاكثار منه فبيع في العقل انكاره ❖ والحال الثانية ❖ ان يكون فعل المنكر من جماعة قد تظافروا عليه وعصبة قد تحزبت ودعت اليه وقد اختلف الناس في وجوب انكاره على مذاهب شتى فقالت طائفة من اصحاب الحديث واهل الآثار لا يجب انكاره والاولى بالانسان ان يكون كافا ممسكا وملازما لبيته وادعا غير منكر ولا مستفر وقالت طائفة اخرى ممن يقول بظهور المنتظر لا يجب انكاره ولا التعرض لازالته الا ان يظهر المضتر فيتولى انكاره بنفسه ويكونوا اعوانه وقالت طائفة اخرى منهم الاصم لا يجوز للناس انكاره الا ان يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم الانكار معه وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب والدفع عنه لازم على شروطه في وجود اعوان يصلحون له فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان الكف لان الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض وذلك فبيع في العقل ان يتعرض له فهذا ما اكد الله تعالى به او امره و ايدبه زواجه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يختلف من احوال الامرين به و الناهين عنه ثم ليس يخلو حال الناس فيما امروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من اربعة احوال

فمنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي وهذا اكل احوال اهل الدين و افضل صفات المتقين فهذا يستحق جزاء العاملين و ثواب المطيعين روى محمد بن عبد الملك المدائني عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذنب لا ينسى و البر لا يبلى و الدين لا يموت فكن كما شئت و كما تدين تدان و قد قيل كل يحصد ما يزرع * و يجزى بما يصنع * بل قالوا زرع يومك حصاد غدك و منهم من يمتنع من فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصي و هي اثبات احوال المكلفين فهذا يستحق عذاب اللاهي عن فعل ما امر به من طاعته و عذاب المجترى على ما اقدم عليه من معاصيه و قد قال ابن شبرمة عجبت لمن يحتمى من الطيباب مخافة الداء كيف لا يحتمى من المعاصي مخافة النار فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال

* جسمك قد افنته بالحمى * دهرًا من البارد و اثار *
 * وكان اولى بك ان يحتمى * من المعاصي حذر النار *
 و قال ابن صباوة انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى اهون من الصبر على عذاب الله تعالى و قال آخر اصبروا عباد الله على عمل لا غنى بكم عن ثوابه * و اصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه * و قيل للفضيل بن عياض رضى الله عنه رضى الله عنك فقال كيف يرضى عنى و لم ارضه و منهم من يستجيب الى فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصي فهذا يستحق عذاب المجترى لانه تورط بغلبة الشهوة على الاقدام على المعصية و ان سلم من التقصير في فعل الطاعة و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقلعوا عن المعاصي قيل ان يأخذكم الله هتات الهت الكسر و البت القطع و لذلك قال بعض العلماء افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه * و لم تترك الشبهة يقينه * و قال حماد بن زيد عجبت لمن يحتمى من الاطعمة لمضراتها * كيف لا يحتمى من الذنوب لمعراتها * و قال بعض الصالحاء اهل الذنوب * مرضى القلوب * و قيل للفضيل بن عياض رحمه الله ما اعجب الاشياء فقال قلب عرف الله عز و جل ثم عصاه و قال بعض الالباء يدل بالطاعة العاصي و ينسى عظيم المعاصي و قال رجل لابن عباس رضى الله عنه ايما احب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير

الذنوب كثير العمل فقال ابن عباس رضي الله عنه لا اعدل بالسلامة شيئا
وقيل لبعض الزهاد ما تقول في صلاة الليل فقال خف الله بالنهار ونم بالليل
وسمع بعض الزهاد رجلا يقول لتقوم اهلككم النوم فقال بل اهلكتكم اليقظة
وقيل لابي هريرة رضي الله عنه ما التقوى فقال اجزت في ارض فيها شوك
فقال نعم فقال كيف كنت تصنع فقال كنت اتوقى قال فتوق الخياطيا وقال
عبدالله بن المبارك

* أبيضن لي فتى ترك المعاصي * وارهنه الكفالة بالخلاص *
* اطاع الله قوم واستراحوا * ولم يتجرعوا غصص المعاصي *
ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي فهذا يستحق
عذاب الالهى عن بيته المنذر بقلة يقينه وروى ابو ادريس الخولاني عن ابي
ذر الغفارى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت صحف
موسى على نبينا وعليه السلام كلها عبدا عجبت لمن ايقن بالنار ثم يضحك
وعجبت لمن ايقن بالقدر ثم يتعب وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم
ثم يطمئن اليها وعجبت لمن ايقن بالموت ثم يفرح وعجبت لمن ايقن بالحساب
غدا ثم لا يعمل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتهدوا في العمل
فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي وهذا واضح المعنى لان
الكف عن المعاصي ترك وهو اسهل * وعمل الطاعات فعل وهو اثقل *
ولذلك لم يسخ الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر ولا بغير عذر لانه ترك و الترك
لا يعجز المعذور عنه و انما اباح ترك الاعمال بالاعذار لان العمل قد يعجز المعذور
عنه وقال بكر بن عبدالله رحم الله امرءا كان قويا فاعل قوته في طاعة الله تعالى
او كان ضعيفا فكف عن معصية الله تعالى وقال عبد الاعلى بن عبدالله الشامي
رحم الله تعالى

* العمر ينقص و الذنوب تزيد * و تقال عثرات الفتى فيعود *
* هل يستطيع بجحود ذنب واحد * رجل جوارحه عليه شهود *
* والمرء يسأل عن سنه فيستهي * تقلبها وعن الممات يحيد *
واعلم ان لاعمال الطاعات ومجانبة المعاصي آفتين احدهما تكسب الوزر والاخرى

توهن الاجر فاما المكسبة للوزر فاعجاب بما سلف من عمله و قدم من طاعته لان
 الاعجاب به يفضي الى حالتين مذمومتين احدهما ان المعجب بعمله يمتن به والمتمن
 على الله تعالى جاحد لعمه قال ابن عباس رضي الله عنهما اوحى الله تعالى الى نبي من
 انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد استجبت به الراحة واما ان تطاعك الى فهو عز لك
 فهذان لك و بقيت انا و الثانية ان المعجب بعمله مدل به و المدل بعمله مجترى
 و المجترى على الله عاص و قال مورق العجلي خير من العجب بالطاعة ان لا يأتي
 بطاعة و قال بعض السلف ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدذ على ربه و باك
 نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه و اما الموهنة للاجر فالثقة بما
 اسلف و الركون الى قدم لان الثقة تؤول الى امرين شينين احدهما يحدث
 اتكالا على ما مضى و تقصيرا فيما يستقبل و من قصر و اتكل لم يرج اجرا و لم يؤد
 شكرا و الثاني ان الواثق آمن و الآمن من الله تعالى غير خائف و من لم يخف الله
 تعالى هانت عليه او امره و سهلت عليه زواجه و قال الفضيل بن عياض رهبة
 المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى و قال مورق العجلي لان ايت نأتما
 و اصبح نادما احب الى من ان ايت قائما و اصبح ناعما و قال الحكماء ما بينك
 وبين ان لا يكون فيك خير الا ان ترى ان فيك خيرا و قيل لاربعة العديوية رحهما
 الله هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شيء فخوفى ان يرد على
 عملي و قال ابن السماك رحمة الله عليه انا لله فيما مضى ما اعظم فيه الخطر * و اما
 الله فيما بقي ما اقل منه الخذر * و حكى ان بعض الزهاد وقف على جمع فتادى
 باعلى صوته يا معشر الاغنياء لكم اقول استكثروا من الحسنات فان ذنوبكم كثيرة
 و يا معشر الفقراء لكم اقول اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليلة فينبغي احسن
 الله اليك بالتوفيق ان لا تضع صحة جسمك و فراغ وقتك بالتقصير في طاعة
 ربك و الثقة بالسالف عملا فاجعل الاجتهاد غنيمتكم و العمل فرصة فراغك
 فليس كل ازمان مستسعد و لا اوقات مستدرك و للفراغ زيغ او ندم و للخلوة ميل
 او اسف و قال عمر بن الخطاب الراحة للرجال غفلة و للنساء غفلة و قال
 بزرجهر ان يكن الشغل مجهدا فالفراغ مفسدة و قال بعض الحكماء اياكم
 و الخلوات فانها تفسد العتول و تعقد المحلول و قال بعض البلغاء لا تمضى

يومك في غير منفعة ولا تضع مالك في غير صنعة فالعمر اقصر من ان ينفد في غير المنافع * والمال اقل من ان يصرف في غير الصنائع * والعاقل اجل من ان يفتى ايامه فيما لا يعود عليه نفع، وخيره * وينفق امواله فيما لا يحصل له ثوابه واجره * وابلغ من ذلك قول عيسى بن مريم على نبينا، وعليه السلام البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت فمن كان منطته في غير ذكر فقد لنا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها واعلم ان للانسان فيما كلف من عباداته ثلاث احوال احداها ان يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها والثانية ان يقصر فيها والثالثة ان يزيد عليها فاما الحال الاولى فهي ان يأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا زيادة تطوع على راتبها فهي اوسط الاحوال واعديلها لانه لم يكن منه تقصير فيذم ولا تكثير فيعجز وقد روى سعيد بن ابي سعيد رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سدوا قاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة وقال الشاعر

* عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا *
 واما الحال الثانية وهو ان يقصر فيها فلا يخلو حال تقصيره من اربعة احوال احدها ان يكون لعذر يعجزه عنه، او مرض اضعفه عن اداء ما كلف به فهذا يخرج عن حكم المقصرين ويلحق باحوال العاملين لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عامل كان يعمل عملا فيقطع عنه مرض الا وكل الله تعالى به من يكتب له ثواب عمله والحال الثانية ان يكون تقصيره فيه اغترارا بالسامحة فيه ورجاء العفو عنه فهذا مخدوع العقل مغرور بالجهل فقد جعل الظن ذخرا والرجاء عدة فهو كمن قطع سفرا بغير زاد ظنا بانه سيجد في المفاوز الجديبة فيفضي به الظن الى الهلكة وهلا كان الحذر اغلب عليه وقد ندب الله تعالى اليه وحكى ان اسراييل بن محمد القاضي قال لقيني مجنون كان في الخرابات فقال يا اسراييل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف وفر الى الله ولا تفر منه وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تبكي فقال تلك حلبة الآمنين

وحكى ان ابا حازم الاعرج اخبر سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين فقال
 سليمان اين رحمة الله قال قريب من المحسنين وقال عبد الله بن عباس رضى الله
 عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب
 كتبه الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اما بعد فان الانسان ليسه درك
 ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما تلته من دنياك
 فرحا * ولا لما فاتك منها ترحا * ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل * ويؤخر
 التوبة بطول الامل * فكأن قد والسلام وقال محمود الوراق رحمه الله
 * اخف على المحسن التقي * وارجو لذى الهفوات المسى *
 * فذلك خوفي على محسن * فكيف على الظالم المعتدى *
 * على ان ذا الزينغ قد يستفيق * ويستأنف الزينغ قلب التقي *
 والحال الثالثة ان يكون تقصيره فيه ليستوفى ما اخل به من بعد فيبدأ بالسبئية في
 التقصير قبل الحسننة في الاستيقاء اغترارا بالامل في امهاله * ورجاء لتلافى ما
 اسلف من تقصيره واخلاقه * فلا ينتهى به الامل الى غايه * ولا يفضى به الى
 نهايه * لان الامل هو في ثاني حال * كهو في اول حال * فقد روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال من يؤمل ان يعيش غدا * فانه يؤمل ان يعيش ابدا *
 ولعمري ان هذا صحيح لان لكل يوم غد فاذا يفضى به الامل الى الفوت من
 غير درك ويؤديه ازجاء الى الاهمال من غير تلاف فيصير الامل خيبة والرجاء
 اياسا وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال اول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وفسادها بالبخل والامل وقال
 الحسن البصرى رحمه الله ما اطال عبد الامل * الا اساء العمل * وقال رجل
 لبعض الزهاد بالبصرة ألك حاجة ببغداد قال ما احب ان ابسط املى الى ان
 تذهب الى بغداد وتجيء وقال بعض الحكماء الجاهل يعتمد على امله * والعامل
 يعتمد على عمله * وقال بعض البلغاء الامل كالسراب غر من رآه * وخاب من
 رجاه * وقال محمد بن يزدان دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره فرأيت قائما
 ويده رقعة فقال يا محمد أقرأت ما فيها فقلت هي في يد امير المؤمنين فرمى بها
 الى فاذا فيها مكتوب

- * الك في دار لها منة * يقبل فيها عمل العامل *
 * أما ترى الموت محيطا بها * يقنع فيها امل الآمل *
 * تعجل بالذنب لما تشتهي * وتأمل التوبة من قابل *
 * والموت يأتي بعد ذابقتة * ماذك فعل الحازم العاقل *

فلما قرأتها قال المأمون رحمه الله تعالى هذا من احكامكم شعر قرأته وقال ابو حازم الاعرج نحن لا نريد ان نموت حتى نتوب ونحسن لا نتوب حتى نموت وقال بعض البلغاء زائد الاهمال * رائد الامهال * والحال الرابعة ان يكون تقصيره فيه استشفالا للاستيقاء وزهدا في التمام واقتصارا على ما سنع وقلة أكثرات فيما بقي فهذا على ثلاثة اضرب * احدها * ان يكون ما اخل به وقصر فيه غير قادح في فرض ولا مانع من عبادة كمن اقتصر في العبادة على فعل واجباتها وعمل مفترضاتها و اخل بمسنوناتها وهياتها فهذا مسمى فيما ترك اسائة من لا يستحق وعيدا ولا يستوجب عتابا لان اداء الواجب يسقط عنه العقاب * واخلاه بالمسنون يمنع من اكالم الثواب * وقد قال بعض الحكماء من تهاون بالدين هان * ومن غالب الحق لان * وقال الشاعر

- * ويصون توبته ويترك غير ذلك لا يصونه *
 * واحق ما صان الفتي * ورعا امانته ودينه *
 * والضرب الثاني * ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته لكن لا يقدر ترك ما بقي فيما مضى كمن اكمل عبادات واخل بغيرها فهذا اسوأ حالا ممن تقدمه لما استحقه من الوعيد واستوجبه من العتاب * والضرب الثالث * ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته وهو قادح، فيما عمل منها كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض فيكون المقصر في بعضها تاركا لجمعها فلا يحتسب له ما عمل لاخلاه بما بقي فهذا اسوأ احوال المقصرين وحاله لاحقة باحوال التاركين بل قد تكلف ما لا يسقط فرضا ولا يؤدي حقا فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد وزاد عليهم في تكلف ما لا يفيد فصار من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لغله لا يفظن لشانه * ولا يشعر بخسرانه * وقد خسر الدنيا والآخرة و يفظن لليسير من ماله ان وهى واختل وانشدني بعض اهل العلم

* أبى أن من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع البصير *
 * فطن بكل مصيبة في ماله * واذا يصاب يدينه لم يشعر *
 * واما الحال الثالثة * وهوان يزيد فيما كلف فهذا على ثلاثة اقسام احدها
 ان تكون الزيادة رياء للناظرين وتصنعاً للمخدوقين حتى يستعطف به القلوب
 النافرة ويخدع به العقول الواهية فيتبهرج بالصالحاء وليس منهم ويتدلس في
 الاخيار وهو ضدهم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرائي بعلمه
 مثلاً فقال المشيع بما لا يملك كلابس ثوب زور يريد بالتشيع بما لا يملك المترين
 بما ليس فيه وقوله كلابس ثوب زور وهو الذي يلبس ثياب الصالحاء فهو
 بريائه محروم الاجر مذموم الذكر لانه لم يقصد وجهه الله تعالى فيؤجر عليه ولا يخفى
 رباؤه على الناس فيحمد به قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
 صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً قال جميع اهل التأويل معنى قوله ولا يشرك
 بعبادة ربه احداً اى لا يرائى بعمله احداً فجعل الرياء شركاً لانه جعل ما يقصده
 وجهه الله تعالى مقصوداً به غير الله تعالى وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى
 في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال لا تجهر بها رياء *
 ولا تخافت بها حياء * وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يتأول قوله
 تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر والبغى ان العدل استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى
 والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر ان تكون
 علانيته احسن من سريرته وكان غيره يقول العدل شهادة ان لا اله الا الله
 والاحسان الصبر على امره و نهيه وطاعة الله في سره و جهره و ابتداء
 ذى القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء يعنى الزنا والمنكر القبايح والبغى
 الكبر والظلم وليس يخرج الرياء بالاعمال من هذا التأويل ايضا لانه من جملة
 القبايح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف على
 امتى الرياء الظاهر والشهوة الخفية و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال اشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى ان فيه خيراً ولا خير فيه وقال
 علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا تعمل شيئاً من الخير رياء ولا تركه

حياء و قال بعض العلماء كل حسنة لم يرد بها وجه الله تعالى فعلتها قبح الرياء *
 وثمرتها سوء الجزاء وقد يفضى الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به كما حكى ان
 طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله
 قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال يا ابا عبد الله
 سألتك عن مسألة فاجبت عن مسألتين وحكى الاصمعي رحمه الله ان اعرايا صلي
 فاطال و الى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صائم
 * صلي فأعجبني وصام فرايتني * نحي القلوص من المصلي الصائم *
 فانظر الى هذا الرياء مع قبحه ما ادله على سخف عقل صاحبه وربما ساعد الناس
 مع ظهور ريائه على الاستهزاء بنفسه كالذي حكى ان زاهدا نظر الى رجل في وجهه
 سجادة كبيرة واقفا على باب السلطان فقال مثل هذا الدرهم بين عينيك وانت
 واقف ههنا فقال انه ضرب على غير السكة وهذا من اجوبة الخلاعة التي يدفع
 بها تهجين المذمة وتمد استحسن الناس من الاشعث بن قيس قوله وقد خفف
 صلاته مرة فقال بعض اهل المسجد خفت صلاتك جدا فقال انه لم يخاطبها
 رياء فتخلص من تقيصهم بنى الرياء عن نفسه ورفع التصنع في صلاته وقد كان
 الانكار لولا ذلك متوجها عليه واللوم لاحتماله و مر ابو امامة ببعض المساجد
 فاذا رجل يصلي وهو يبكي فقال له انت لو كان هذا في بيتك فلم يرد ذلك
 منه حسنا لانه اتهمه بالرياء و لعله كان بريثا منه فكيف بمن صار الرياء اغلب
 صفاته * واشهر سماته * مع انه آثم فيما عمل * انم من هبوب النسيم بما حل *
 ولذلك قال عبد الله بن المبارك افضل الزهد اخفاء الزهد وربما احس ذو الفضل
 من نفسه ميلا الى المرائاة فبعثه الفضل على هتك ما نازعته النفس من المرائاة
 فكان ذلك ابلغ في فضله كالذي حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه
 احس على المنبر بريح خرجت منه فقال ايها الناس اني قد مثلت بين ان اخافكم
 في الله تعالى وبين ان اخاف الله فيكم فكان ان اخاف الله فيكم احب الى آل واني
 قد فسوت وها انا نازل اعيد الوضوء فكان ذلك منه زجرا لنفسه لتكف
 عن نزاعها الى مثله وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي عظمي
 فقال لا ارضى نفسي لك واعظا لاني اجلس بين الغني والفقير فاميل على الفقير

واوسع للغنى ولان طاعة الله تعالى في العمل لوجهه لا لغيره وحكى ان قوما ارادوا سفرا فخذوا عن الطريق فانتهوا الى راهب فقالوا قد ضلنا فكيف الطريق فقال ههنا واوماً بيده الى السماء ❖ والتسم الثالث ❖ ان يفعل الزيادة اقتداء بغيره وهذا قد تفره مجالسة الاخيار الافاضل ❖ وتحديثه مكثرة الاتقياء الاماثل ❖ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخال فاذا كثرتهم المجالس ❖ وطاولهم المؤانس ❖ احب ان يقتدى بهم في افعالهم ❖ ويتأسى بهم في اعمالهم ❖ ولا يرضى لنفسه ان يقصر عنهم ولا ان يكون في الخير دونهم فتبعته المنافسة على مساواتهم ورجادته الحمية الى الزيادة عليهم والمكثرة لهم فيصبروا سبيل السعاده ❖ وبعثا على استزادته ❖ والعرب تقول لولا اللوام ❖ هلك الانام ❖ اى لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم في الخير لهلكوا ولذلك قال بعض البلغاء من خير الاختيار ❖ صحبة الاخيار ❖ ومن شر الاختيار مودة الاشرار ❖ وهذا صحيح لان للمصاحبة تأثيرا في اكتساب الاخلاق فتصلح اخلاق المرء بمصاحبة اهل الصلاح وتفسد بمصاحبة اهل الفساد ولذلك قال الشاعر

* رأيت صلاح المرء يصلح اهله ❖ وبعديهم عند الفساد اذا فسد ❖
 * يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ❖ ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد ❖
 وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي

* لا تصعب الكسلان في حالته ❖ كم صالح بفساد آخر يفسد ❖
 * عدوى البليد الى البليد سريعة ❖ والجرم يوضح في الرماد فيجمد ❖
 ❖ والقسم الثالث ❖ ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا لثوابها ورغبة في الزلفه بها فهذا من نتائج النفس الزاكية ❖ ودواعي الرغبة الوافيه ❖ الدالين على خلوص الدين ❖ وصحة اليقين ❖ وذلك افضل احوال العاملين ❖ واغلى منازل العابدين ❖ وقد قيل الناس في الخير اربعة منهم من يفعله ابتداء ❖ ومنهم من يفعله اقتداء ❖ ومنهم من يتركه استحسانا ❖ ومنهم من يتركه حرمانا ❖ فمن فعله ابتداء فهو كريم ❖ ومن فعله اقتداء فهو حكيم ❖ ومن تركه استحسانا فهو ردى ❖ ومن تركه حرمانا فهو شقي ❖ ثم لما

يفعله من الزيادة حالتان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مقصدا فيها وقادرا على الدوام عليها فهي افضل الحالتين * واعلى المزلتين * عليها انقضى اختيار السلف * وتبعهم فيها فضلاء الخلف * وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اعملوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يميل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه والعرب تقول القصد والدوام وانت السابق الجواد ولان من كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا في طاعته وقال عبد الله بن المبارك قلت لراهب متى عيدكم قال كل يوم لا اعصى الله فيه فهو يوم عيد انظر الى هذا القول منه و ان لم يكن من مقاصد الطاعة ما ابلغه في حب الطاعة * واحده على بذل الاستطاعة * و خرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيئة رثة فقيل لم تخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس مرتينون فقال ما يترين لله تعالى بمثل طاعته ﴿ والحالة الثانية ﴾ ان يستكثر منها استكثار من لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها فهذا ربما كان بالمقصود اشبه لان الاستكثار من الزيادة اما ان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدثت نقصا وبقتل منع فرضا واما ان يعجز عن استدامة الزيادة وينع من ملازمة الاستكثار من غير اخلال بلازم ولا تقصير في فرض فهي اذا قصيرة المدى قليلة الالبث ولقليل العمل في طويل الزمان افضل عند الله عز وجل من كثير العمل في قصير الزمان لان المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك زمانا وربما صار في زمان تركه لاهيا او ساهيا والمقلل في الزمان الطويل مستيقظ الافكار * مستديم التذكار * وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاسلام شرة وللشرة فترة فمن سدد وقارب فارجوه * ومن اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه * فجعل الاسلام شرة وهي انثقال في الاكثار * وجعل للشرة فترة وهي الاهمال بعد الاستكثار * فلم يخل بما اثبت من ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا خير في واحد منهما ﴿ واعلم ﴾ جعل الله العلم حاكما لك وعليك * والحق قائدا لك واليك * ان الدنيا اذا وصلت

قبيعات موبقة * واذا فارقت فقيعات محرقة * وليس لوصولها دوام
 ولا من فراقها بد فرض نفسك على قطيعتها لتسلم من تبعاتها * وعلى فراقها
 لتأمن بجمعاتها * فقد قيل المرء مقترض * من عمره المقرض * مع ان العمر وان طال
 قصير * والفراغ وان تم يسير * وانشدت لعلي بن محمد رجه الله تعالى
 * اذا كملت للمرء ستون حجة * فلم يحظ من ستين الابدسها *
 * ألم تر ان النصف بالليل حاصل * وتذهب اوقات المقييل بحمسها *
 * فتأخذ اوقات الزحوم بحصة * واوقات اوجاع تمت بحسها *
 * فخالص ما يبقى له سدس عمره * اذا صدقته النفس عن علم حدسها *
 ورياضة نفسك لذلك تترتب على احوال ثلاث وكل حالة منها تشعب وهي
 لتسهيل ما يليها سبب ❖ والحالة الاولى ❖ ان تصرف حب الدنيا عن قلبك فانها
 تلهيك عن آخرتك ولا تجعل سعيك لها فتمنع حظك منها وتوق الركون اليها
 ولا تكون آمنا لها فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرب قلبه
 حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يفرغ عنه * وامل لا يبلغ متها *
 وحرص لا يدرك مداه * وقال عيسى بن مريم علي نبينا وعليه السلام الدنيا
 لابليس مزرعة واهلها له حراث وقال علي بن ابي طالب مثل الدنيا مثل الحية
 لين مسها قاتل سمها فاعرض عما اعجبك منها لقله ما يحبك منها وضع عنك
 همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ما تكون لها وانت آنس ما تكون بها
 فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه عنها مكروه وان سكن منها
 الى ايناس ازاله عنها ايحاش وقال بعض البلغاء الدنيا لاتصفو لشارب * ولا تبقى
 لصاحب * ولا تخلو من قنء * ولا تخلو من محذ * فاعرض عنها قبل
 ان تعرض عنك واستبدل بها قبل ان تستبدل بك فان نعيمها يتقل * واحوالها
 تتبدل * ولذاتها تفتى * وتبعاتها تبقى * وقال بعض الحكماء انظر الى الدنيا
 نظر الزاهد المفارق لها ولا تأملها تأمل العاشق الرواق بها وقال بعض الشعراء
 * ألا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم *
 * تأمل اذا ما نلت بالامس لذة * فافيتها هل انت الاكحالم *
 * فكم غافل عنه وليس بغافل * وكم نائم عنه وليس بنائم *

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله الا
 يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروى سفيان ان الخضر قال
 لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وانبذها وراءك فانها ليست
 لك بدار * ولا فيها محل قرار * وانما جعلت الدنيا للعباد * ليتزودوا منها
 للمعاد * وقال عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
 وقال على كرم الله وجهه يصف الدنيا اولها عناء * وآخرها فناء *
 حلالها حساب * وحرامها عقاب * من صح فيها امن ومن مرض فيها
 ندم ومن استغنى فيها فتن * ومن افتقر فيها حزن * ومن ساعاها فاتته *
 ومن قعد عنها اتته * ومن نظر اليها اعته * ومن نظر بها بصرته *
 وقال بعض البلغاء ان الدنيا تقبل اقبال الطالب * وتدبر ادبار الهارب *
 وتصل وصال الملول * وتفارق فراق العجول * فخيرها يسير * وعيشها
 قصير * واقبالها خديعة * وادبارها فجيع * ولذاتها فانية * وتبعاتها
 باقية * فاغتم غفوة الزمان * وانتهز فرصة الامكان * وخذ من نفسك
 لنفسك وتزود من يومك لنفسك وقال وهب بن منبه مثل الدنيا والآخرة
 مثل ضربتين ان ارضيت احدهما اسخطت الاخرى وقال عبد المجيد الدنيا
 منازل * فراخل ونازل * وقال بعض الحكماء الدنيا اما نعمة نازله * واما
 نعمة زائله * وقيل في منشور الحكماء من الدنيا على الدنيا دليل وقال الشاعر

* تمتع من الايام ان كنت حازما * فانك منها بين ناه و امر *
 * اذا ابقت الدنيا على المرء دية * فافاته منها فليس بضائر *
 * فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة * ولا وزن ذر من جناح لطائر *
 * فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن * ولا رضى الدنيا جزاء لكافر *

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم
 هم وكلاهما زائل عنك فدعوا ما يزول واتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول
 وقال عيسى بن مريم عليه السلام لا تنازعوا اهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم
 في دينكم فلا دنياهم اصبتكم ولا دينكم ابقيتكم وقال علي بن ابي طالب
 لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين * ويعمل فيها عمل الراغبين * فان اعطى

منها لم يشبع * وان منع منها لم يقنع * يعجز عن شكر ما اوتي و يتنحى ازياة
 فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي و يأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا
 يعمل بعملهم ويبغض الظالمين وهو منهم و قال الحسن البصرى الدنيا
 كلها غم فا كان منها من سرور فهو ربح و قال بعض العلماء ان الدنيا كثيرة
 التغيير * سريعة التنكير * شديدة المكر * دائمة القدر * فاقطع اسباب الهوى
 عن قلبك واجعل ابعدا لك بقية يومك و كن كأنك ترى ثواب اعمالك
 و قال بعض الحكماء الدنيا امام صبية موجهة * و امام نية مفعجة * و قال
 الشاعر

* خل دنياك انما * يعقب الخير شرها *
 * هي ام تعق من * نسلها من يبرها *
 * كل نفس فانها * تبتغي ما يسرها *
 * و المنايا تسوقها * و الاماني تفرها *
 * فاذا استحللت الجنى * اعقب الخلو مرها *
 * يستوى في ضربيه * عبد ارض و حرها *

فاذا رضت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها بثلاث خلال
 ❖ احداهن ❖ ان تكفى اشفاق الحب و حذر الوامق فليس لمشفق ثقة ولا
 لحاذر راحة ❖ و الثانية ❖ ان تأمن الاغترار بملاهيمها فتسلم من عادية
 دواهيها فان اللاهي بها مغرور * و المغرور فيها مذعور * ❖ و الثالثة ❖
 ان تستريح من تعب السعي لها و وصب الكد فيها فان من احب شيئا طلبه و من
 طلب شيئا كده و بالكدود فيها شقى ان ظفر و محروم ان خاب و روى عن النبي
 صلى الله عليه و سلم انه قال لكعب يا كعب الناس غايدان فغاد بنفسه فغتها *
 و موبق نفسه فوثقها * و قال عيسى بن مريم عليهما السلام تعلمون للدنيا و انتم
 ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة و انتم لا ترزقون فيها الا بعمل و قال
 بعض البلغاء من نكد الدنيا ان لا تبقى على حاله * و لا تخلو من استحاله *
 تصلح جانباً بافساد جانب * و تسر صاحباً بمساءة صاحب * فالركون اليها
 خطر * و الثقة بها غرر * و قال بعض الحكماء الدنيا مرجحة الهبة و الدهر

حسود لا يأتي على شيء الا غيره ولمن عاش حاجة لا تقضى ولما بلغ مردك
 من الدنيا افضل ما سمت اليه، نفسه نبذها وقال هذا سرور * لولا انه غرور *
 ونعيم * لولا انه عديم * وملاك * لولا انه هلك * وغناء * لولا انه فناء *
 وجسيم * لولا انه ذميم * ومحمود * لولا انه مفقود * وغنى * لولا انه منى *
 وارتفاع * لولا انه اتضاع * وعلاء * لولا انه بلاء * وحسن * لولا انه
 حزن * وهو يوم او وثق له بغداد وقال بعض الحكماء: قد ملك الدنيا غير واحد *
 من راغب وزاهد * فلا راغب فيها استبقت * ولا عن الزاهد فيها كفت *
 وقال ابو العتاهية

* هي الدار دار الازي والقدى * ودار الفناء ودار الغير *
 * فلو نلتها بهذا فيرها * لم ولم تقض منها الوطر *
 * أيا من يؤمل طول الخلو * دو طول الخلود عليه ضرر *
 * اذا ما كبرت وبن الشبا * ب فلا خريف العيش بعد الكبر *
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع *
 ونفس لا تشبع * وقلب لا يخشع * وعين لا تدمع * هل يتوقع احدكم الاغنى
 مطعيا * او قرا منسبا * او مرضا مفسدا * او هراما متبدا * والسدجال
 فهو شر غائب يظنر * او الساعة والساعة ادهى وامر * وحكى ان الله تعالى
 اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام ان هب لى من قلبك الخشوع * ومن بدتك
 الخضوع * ومن عينك الدموع * فأتى قريب * وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى
 الله الى الدنيا من خدمنى فأخدميه * ومن خدمك فاستخدميه * وقال بعض البلغاء
 زد من طول املك * فى قصر عمك * فان الدنيا ظل الغمام * وحلم النيام * فن عرفها
 ثم طلبها فقد اخطأ الطريق * وحرم التوفيق * وقال بعض الحكماء لا يؤمنك
 اقبال الدنيا عليك من ادبارها عنك * ولا من دولة لك من ادالة منك * وقال
 آخر ما مضى من الدنيا كما لم يكن وما بقى منها كما قد مضى وقيل زاهد قد خلعت
 الدنيا فكيف سحت نفسك عنها فقال ليقتت انى اخرج منها كارهها فرأيت ان
 اخرج منها طائفا وقيل لحرقة بنت النعمان مالك تبكين فقالت رأيت لاهلى
 غضارة ولن تمتلى دار فرجا * الا امتلأت ترحا * وقال ابن السهك من

جرعته الدنيا حلاوتها بجملة اليها جرعته الآخرة مرارتها تجافيه عنها وقال صاحب كفاية ودمنة طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الايات

* نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والاسى لك لازم *
 * تسر بما يقنى وتفرح بالنى * كما سر بالذات فى النوم حالم *
 * وشغلك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تفتش اليهائم *
 وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكروها فقال كالك دعوت على صاحبك بالموت ان صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد ان يرى مكروها وقال ابو العتاهية

* ان الزمان ولولين لاهله لمخاشن *
 * خطواته المحركا * ت كأنهن سواكن *

﴿ والحال الثانية ﴾ من احوال رياضتك لها ان تصدق نفسك فيما فتحك من رغائبها * وانالتك من غرائبها * فتعلم ان العطية فيها مرتجعة والمنحة فيها مستردة بعد ان تبقى عليك ما احتشمت من اوزار وصولها اليك وخسران خروجها عنك فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث شبابه فيما ابلاه وعمره فيما افناه وماله من اين اكتسبه وفيم انفته وروى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال فى المال ثلاث خصال قالوا وما هن يا روح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يضيعه فى غير حقه قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله عن عبادة ربه ودخل ابو حازم على بشر بن مروان فقال يا ابا حازم ما المخرج مما نحن فيه قال تنظر ما عندك فلا تضعه الا فى حقه وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم قال من اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين وعيرت اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال من الفنى دهيتم ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا يقعدون عليه فقال لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها اثنا وقيل لبعض الزهاد ألا توصى قال بماذا اوصى والله ما لنا شي ولا لنا عند احد شي ولا لاحد عندنا شي انظر الى هذه الراحة كيف تجلبها والى السلامة كيف

صار اليها ولذلك قيل الفقر ملك ليس فيه محاسبة وقيل لعيسى بن مريم
عليها السلام ألا تزوج فقال إنما نحب التكاثر في دار البقاء وقيل لو دعوت الله
تعالى ان يرزقك حارا فقال انا اكرم على الله من ان يجعلني خادما جار
وقيل لابي حازم رضى الله عنه ما مالك قال شيثان الرضى عن الله والغنى عن
الناس وقيل له انك لمسكين فقال كيف اكون مسكينا ومولاي له ما فى السموات
وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وقال بعض الحكماء رب مغبوط بسرة
هى داؤه * ومرحوم من ستم هو شفاؤه * وقال بعض الادياء الناس اشتات ولكل
جمع شتات وقال بعض البلغاء الزهد بحة اليقين * وصحة اليقين نور الدين *
فن صح يقينه زهد فى الثراء * ومن قوى دينه ايقن بالجزاء * فلا تفرك
صحة نفسك * وسلامة امسك * فذة العمر قليله * وصحة النفس مستحيله *
وقال بعض الشعراء

* رب مفروس يعاش به * عدمته عين مغترسه *
* وكذلك الدهر مآتمه * اقرب الاشياء من عرسه *
فاذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال
* احداهن * نصح نفسك وقد استسلمت اليك * والنظر لها وقد اعتمدت
عليك * فان غاش نفسه مغبون * والمخرف عنها مأفون * * والثانية *
الزهد فيما ليس لك لتكفى تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه * * والثالثة *
انتهاز الفرصة فى مالك ان تضعه فى حقه * وان تؤتبه لمستحقه * ليكون لك
ذخرا * ولا يكون عليك وزرا * فقد روى ان رجلا قال يا رسول الله انى
اكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب المؤمن عند
ماله وقالت عائشة رضى الله عنها ذبحنا شاة فتصدقنا بها فقلت يا رسول الله
ما بقى الا كتفها قال كلها بقى الا كتفها وحكى ان عبد الله بن عبيد الله
ابن عتبة بن مسعود باع دارا بثمانين الف درهم فقيل له اتخذ لولدك من هذا
المال ذخرا فقال انا اجعل هذا المال ذخرا لى عند الله عز وجل واجعل الله
ذخرا لولدى وتصدق بها وعوتب سهل بن عبد الله الروزى فى كثرة
الصدقة فقال لو ان رجلا اراد ان ينتقل من دار الى دار كان يبق فى الاولى

شيئا وقال سليمان بن عبد الملك لابي حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخبرتم
 آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب وقيل لعبد الله
 ابن عمر ترك زيد بن خارجه مائة الف درهم فقال لكنهما لا تتركة وقال الحسن
 البصرى رحمه الله ما انعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعه الاسلام بن
 داود عليه السلام فان الله تعالى قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
 وقال ابو حازم ان عوفينا من شر ما اعطينا لم يضرنا فقد ما زوى عنا وقال بعض
 السلف قدموا كالا ليكون لكم ولا تخلفوا كالا فيكون عنكم وقال ابراهيم نعم
 القوم السؤال يدقون ابوابكم يقولون ا توجهون للآخرة شيئا وقال سعيد بن
 المسيب مر بي صله بن اشيم فالتكث ان نهضت اليه فقلت يا ابا الصهباء
 ادع لي فقال رغبتك الله فيما بيني وزهدك فيما بيني ووهب لك اليقين
 الذى لا تسكن النفس الا اليه * ولا يعول في الدين الا عليه * ولما ثقل
 عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى يده ثوبا فقال وددت اني كنت غسالا
 لا اعيش الا بما آكسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذى
 جعلهم يمتنون عند الموت ما نحن فيه ولا تمنى فمن عنده ما هم فيه وروى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم
 من مالك الا ما اكلت فافيت * او لبست فابليت * او اعطيت فامضيت * وقال
 خالد بن صفوان بت ليلتى اتنى فكسبت البحر الاخضر والذهب الاحمر فاذا
 يكفينى من ذلك رغيفان وكوزان وطمران وقال موريق العجلي يا ابن آدم تؤتى
 كل يوم برزقك وانت تحزن ويتقص عمرك وانت لا تحزن تطلب ما يطفئك
 وعندك ما يكفيك وقال ابو حازم انما بيننا وبين الملوك يوم واحد اما امس فقدمضى
 فلا يجدون لذته وانا وهم من غد على وجل وانما هو اليوم فاعسى ان يكون
 وقال بعض السلف تعز عن الشيء اذا منعه لقله ما يصحك اذا اعطيه وقال بعض
 الحكماء من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة وقال آخر ترك التلبس
 بالدنيا قبل التشيئ بها هون من رفضها بعد ملابتها وقال آخر ليكن
 طلبك للدنيا اضطرارا * وتذكرك في الامور اعتبارا * وسعيك لمعاذك
 ابتدارا * وقال آخر الزاهد لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال آخر من آمن

بالآخرة لم يحرص على الدنيا ومن ايقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى وقال آخر من
حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر وقال ابو العاتية

- * اربى الدنيا لمن هي في يديه * عذابا كلما كثرت لديه *
- * تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه *
- * اذا استغيت عن شئ فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه *

وحكى الاصمعي رحمة الله قال دخلت على الرشيد رحمة الله عليه يوما وهو ينظر
في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما ابصرني قال رأيت ما كان مني قلت نعم
يا امير المؤمنين فقال اما انه لو كان لامر الدنيا ما كان هذا ثم رمى الى بالترطاس
فاذا فيه شعر ابي العاتية رحمة الله تعالى

- * هل انت معتبر بمن خربت * منه غداة قضى دساكره *
- * وبمن اذن الدهر مصرعه * فتبرأت منه عساكره *
- * وبمن خلت منه اسرته * وتعطلت منه منابره *
- * اين الملوك و اين عزهم * صاروا مصيرا انت صاره *
- * يا مؤثر الدنيا للذته * والمستعد لمن يفاخره *
- * نل ما بدالك ان تنال من الدنيا فان الموت آخره *

فقال الرشيد رحمة الله عليه والله لكأني اخاطب بهذا الشعر دون الناس
فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى مات رحمة الله ثم الحالة الثالثة من احوال رياضتك
لها ان تكشف لنفسك حال اجلاك * وتصرفها عن غرور املك * حتى لا يطيل
لك الامل اجلا قصيرا * ولا ينسبك موتا ولا نشورا * وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى والاعمار
تفنى والابدان تبلى وان الليل والنهار يترآكضان كثيرا كض البريد * يقربان كل
بعيد * ويخلفان كل جديد * وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات *
ورغب في الباقيات الصالحات * وقال مسعر كم من مستبيل يوما وليس يستكمله
ومتنظر غدا وليس من اجله ولو رآتهم الاجل ومسيره * لا يفضنم الامل
وغروره * وقال رجل من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس
قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف

الدنيا وكرامة الآخرة وقال عيسى بن مريم عليه السلام كما تنامون كذلك تموتون * وكما تستيقظون كذلك تبعثون * وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلم سمع وان اضمرتم علم وباندروا الموت الذي ان هربتم ادر ككمم * وان اقمم اخذكم * وقال العلاء بن المسيب ليس قبل الموت شيء الا والموت اشد منه وليس بعد الموت شيء الا الموت ايسر منه وقال بعض الحكماء ان للباقي بالماضي معتبرا * وللآخر بالاول مزجرا * والسعيد لا يركن الى الخدع * ولا يفتخر بالجمع * وقال بعض الصالحين ان بقاءك الى فناء * وفناءك الى بقاء * فخذ من فناءك الذي لا يبقى * لبئائك الذي لا يبقى * وقال بعض العلاء اي عيش يطيب * وليس للموت طيب * وقال بعض البلغاء كل امرئ يجرى من عمره الى غاية تنتهي اليها مدة اجله * وتتلوى عليها صحيفة عمله * فخذ من نفسك لنفسك * وقس يومك باسمك * وكف عن سيئاتك * وزد في حسناتك * قبل ان تستوفي مدة الاجل * وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل * وقيل في منشور الحكم من لم يتعرض للنواب تعرضت له وقال ابو العتاهبة

- * ما للمبار لا تحبب اذا دعاهن الكئيب
- * حفر مسقفة عليهن الجنادل والكئيب
- * فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب
- * كم من حبيب لم تكن * نفسى بفرقة تطيب
- * غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب
- * وسلوت عنه، واتما * عهدي برؤيته قريب

ووعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال اقل من الدنيا تعش حرا واقل من الذنوب يهن عليك الموت وانظر حيث تضع ولدك فان العرق دساس وقال الرشيد لابن السماك رحهما الله تعالى عنى واوجز فقال اعلم انك اول خليفة يموت وعزى اعرابي رجلا عن ابن صغير له فقال الحمد لله الذي نجاه مما ههنا من الكدر * وخلصه مما بين يديه من الخطر * وقال بعض السلف من عمل للآخرة احرزها والدنيا ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة وقال بعض الصالحين

استغنم تنفس الاجل * وامكان العمل * واقطع ذكر المعاذير والعلل * فانك
في اجل محدود * ونفس معدود * وعمر غير ممدود * وقال بعض الحكماء
الطيب معدور * اذا لم يقدر على دفع المخدور * وقال بعض البلغاء اعمل
عمل المرتحل فان حادى الموت يحدوك * ليوم ليس يعدوك * وروى عن على
ابن ابي طالب رضى الله عنه انه قال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

* غرّ جهولا امه * يموت من جا اجله *
* ومن دنا من حتفه * لم تغن عنه حيله *
* وما بقاء آخر * قد غاب عنه اوله *
* والمرء لا يصحبه * في القبر الا عمله *

﴿ وقال ابو العاتية ﴾

* لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس * وان تمنعت بالحجاب والحرس *
* واعلم بان سهام الموت قاصدة * اكل مدرع منها ومترس *
* ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليس *
فاذا رضت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال
﴿ احداهن ﴾ ان تكني تسويق امل يردك * وتسويل محال يؤذك * فان
تسويق الامل غرار * وتسويل المحال ضرار * ﴿ والثانية ﴾ ان تستيقظ
لعمل آخرتك وتغنم بقية اجلك بخير عملك فان من قصر امه * واستقل اجله *
حسن عمله * ﴿ والثالثة ﴾ ان يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ويسهل
عليك حلول ما ليس الى دعه سبيل فان من تحقق امر اوطأ لخلوله * فهان
عليه عند نزوله * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر نبه
بالتفكر قلبك * وجاف عن النوم جنبك * واتق الله ربك * وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لابي ذر رضى الله عنه عظمي فقال ارض بالقوت وخف من
القوت * واجعل صومك الدنيا وفترك الموت * وقال عمر بن عبدالعزيز
رضي الله عنه ما رأيت يقينا لاشك فيه * اشبه بشك لا يقين فيه * من يقين
نحن فيه * فلئن كنا مقرين انا للحق ولئن كنا جاحدين انا لهلكي وقال الحسن
البصرى رحمة الله عليه نهارك ضيفك فاحسن اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل

بحمدك وان اشدت اليه ارتحل بدمك وكذلك ليلك وقال الجاحظ في كتاب البيان
 وجد مكتوبا في حجر يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من اجلك * لزهدت في طويل
 ما ترجو من املاك * ولرغبته في الزيادة من عمالك * ولقصرت من حرصك
 وحيلك * وانما يبتسك غداندك * لو قد زلت بك قدمك * واسلك اهلك
 وحشمك * وتبرا منك القريب * وانصرف عنك الحبيب * ولما حضر بشر
 ابن منصور الموت فرح فقيلا له أنفرح بالموت فقال أتجعلون قدومي على خالق
 ارجوه كقسامي مع مخلوق اخافه وقيل لابي بكر الصديق رضى الله عنه في
 مرضه الذي مات فيه لو ارسلت الى الطبيب فقال قد رآني قالوا فما قال لك
 قال قال اني فعال لما اريد وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل ندعوك بالطبيب
 قال قد اردت ذلك فذكرت عادا وعمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا
 وعلمت انه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعا وسئل اتو شروان متى يكون
 عيش الدنيا ألد قال اذا كان الذي ينبغي ان يعمل في حياته معمولا وقال بعض
 الحكماء من ذكر المنية نسي الامنية وقال بعض الادباء عن الموت تسل *
 وهو كريشة تسل * وقال بعض البلغاء الامل * حجاب الاجل * وانشد بعض
 اهل الادب ما ذكر انه لعلى رضى الله عنه

* ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي *
 * ولكننا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذا عن كل شي *

❖ وقال بعض الشعراء ❖

* ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا *
 * وراح ولا يدري على ما قدومه * ألا كل ما قدمت تلقى موفرا *
 وروى سعيد بن مسعود رضى الله عنه ان ابا الدرداء رضى الله عنه قال
 يا رسول الله اوصني فقال صلى الله عليه وسلم اكسب طيبا واعمل صالحا
 واسأل الله تعالى رزق يوم يوم واعدد نفسك من الموتى وكتب الربيع بن
 خيثم الى اخ له قدم جهازك وافرغ من زادك وكن وصي نفسك والسلام وقال
 بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها واصابت الدنيا من امنها ومر محمد بن
 واسع رحمة الله عليه بقوم فقيل هؤلاء زهاد فقال ما قدر الدنيا حتى يحمد

من زهد فيها وقال بعض الحكماء السعيد من اعتبر بامسه * واستظهر لنفسه *
والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه * وقال بعض البلغاء لا تبت عن غير
وصية وان كنت من جسمك في صحة * ومن عمرك في فسحة * فان الذهر
نائب * وكل ما هو كائن كائن * وقال بعض الشعراء

* من كان يعلم ان الموت مدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه *
* وانه بين جنات سنبجه * يوم القيامة او نار سننجه *
* فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما اقام عليه منه اسجه *
* ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدرك ان المنايا سوف تزججه *
وروى جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان لكم نهاية فاتهاوا الى نهايتكم
وان لكم معالم فاتهاوا الى معالمكم وان المؤمن بين مخافتين اجل قد مضى
لا يدري ما الله صانع فيه واجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليترود
العبد من نفسه لنفسه ومن ذنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا
خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب
ولا بعد الدنيا داز * الا الجنة او النار * وقال الحسن البصرى رحمة الله
عليه امس اجل * واليوم عمل * وغدا امل * فاخذ ابو العاتية هذا المعنى
فنظمه شعرا

* ليس فيما مضى ولا في الذي يا * تيك من لذة لمستحليها *
* انما انت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي انت فيها *
* علل النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكتفيها *

وقيل لزاهد مالك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض فقال اني اعلم اني
مسافر وانها دار بلغة وان العصا من آلة السفر فاخذه بعض الشعراء فقال
* حلت العصا لا الضعف اوجب حملها * على ولا اني تخيت من كبير *
* ولاكني اذمت نفسي حملها * لاعلمها اني مقيم على سفر *
وقال بعض المتصوفة الدنيا ساعة * فاجعلها طاعة * وقال ذو القرنين
عليه السلام رعتنا في الدنيا جاهلين * وعشنا فيها غافلين * واخرجنا منها

كارهين * وقال عبد الحميد المرء اسير عمر يسير وقيل في بعض المواضع عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل وقال بعض الحكماء انسى ميت وان كان في دار الحياة والمحسن حي وان كان في دار الاموات وكل بالاثر يومه او غده وقال بعض السلف الله المستعان على السنة تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف وقال آخر الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال آخر اعلموا لاخرتكم في هذه الايام التي تسير * كأنها تطير * وقال آخر الموت قصارك * فخذ من دنياك لاخرتك * وقال آخر عباد الله الحذر الحذر * فوالله لقد ستر * حتى كأنه قد غفر * ولقد اهل * حتى كأنه قد اهل * وقال آخر الايام صحائف اعمالكم * فيخلدوها اجل افعالكم * وقيل في منشور الحكم اقبل نصيح المشيب وان تجل وقيل ما طلعت شمس * الا وعظت بامس * وقال محمد بن بشير رحمه الله

* مضى امسك الاذنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد *
 * فان تك بالامس اقترفت اساءة * فتن باحسان وانت جيد *
 * ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتي وانت فقيد *

وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رأيت مثل الجنة نام طالباها * وما رأيت مثل النار نام هارباها * وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ألا ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها * والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها * فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما علوا انه سيرتكمهم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره فانه ربما ادرك الذى يظلمه منها فهلك بما اصاب منها وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيت طالبا يطلب الآخرة فنافسه فيها ودخل ابو الدرداء رضى الله عنه الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبون ما لا تسكنون * وتجمعون ما لا تأكلون * ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا * واملوا بعيدا * وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا * وجمعهم تورا * ومساكنهم قبورا * وقال ابو حازم ان الدنيا غرت اقواما فعملوا

فيها بغير الحق فعاجلهم الموت فحلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا لمن لا يعذرهم وقد خاتمنا بعدهم فينبغي ان ننظر للذي كرهناه منهم فحجتبه والذي غبطناهم به فنستعمله ومر بعض الزهاد بباب ملك فقال باب جديد * وموت عتيد * وسفر بعيد * ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقال ما هذا قالوا مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فاعطاه جبة فقال صدق الله ان سعيكم لشتى وقال بعض الحكماء ما انصف من نفسه من ايقن بالحشر والحساب * وزهد في الاجر والثواب * وقال آخر بطول الامل تقسو القلوب * وباخلاص النية تقل الذنوب * وقال آخر اياك والمني فانها من بضائع النوى وتبطل عن الآخرة والاولى وقال آخر قصر املاك فان العمر قصير * واحسن سيرتك فالبر يسير * وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله

* نسير الى الآجال في كل ساعة * وايماننا تطوى وهن رواحل *
 * ولم نر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل *
 * وما اقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس نازل *
 * ترحل عن الدنيا بزاد من التقي * فعمرك ايام تعسد قلائل *
 وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين

* فاعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك ايها الانسان *
 * فكان ما قد كان لم يك اذ مضى * وكان ما هو كائن قد كان *
 ونظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فقال انا الملك الشاب فقالت له جارية له
 * انت نعم المتاع لو كنت تبق * غير ان لا بقاء للانسان *
 * ليس فيما بدا لنا منك عيب * كان في الناس غير انا فاني *

وروى عبد العزيز بن عبد الصمد عن ابان عن انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجداء فقال ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشع من الاموات سفر عما قليل اليسار اجعون نبوتهم اجداثهم وتأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيب غيره وانفق من مال كسبه من غير معصية ورحم اهل الدين والمسكنة

وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ادب نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته
طوبى لمن عمل بعلم وانفق من فضل وامسك من قوله ووسعته السنة ولم يعدها
الى بدعة ورى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زوروا القبور تذكروا بها
الآخرة وغسلوا الموتى فانها معالجة الاجساد الخاوية وموعظة بليغة وحضر
الربيع بن خيثم في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قسوة جاء فاضطجع في القبر
فكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على
نفسه فيقول قد ارجعتك فجدى فكث كذلك ما شاء الله وقال ابو محرز الطفاوى
كففتك القبور مواعظ الامم السالفة وقيل لبعض الزهاد ما ابغ العظمت قال
النظر الى محلة الاموات فاخذ ابو العتاهية فقال

- * وعظمتك اجداث صمت * ونعتك ازمنة خفت *
- * وتكلمت عن اوجه * تبلى وعن صور سبت *
- * وارثك قبرك فى الحيا * ة وانت حتى لم تمت *
- * يا شامتا بمنيتى * ان الميتة لم تفت *
- * فترجما انقلب الثما * ت فخل بالقوم الشمت *

ووجد على قبر مكوتيا قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة وعلى آخر من
امل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغرور وقيل فى منشور الحكم ما اكثر من
يعرف الحق ولا يطيعه وقال بعض الحكماء من لم يميت لم يفوت وقال بعض الصالحاء
لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بما له وقال بعض العلماء من لم يتعظ بموت ولد
لم يتعظ بقول احد وقال بعض البلغاء ما نقصت ساعة من امسك الا تبضعه من
نفسك فاخذ ابو العتاهية فقال

- * ان مع الدهر فاعلمن غدا * فانظر بما يتقضى مجئ غده *
- * ما ارتد طرف امرئى بلذته * الا وشئ يموت من جسده *
- ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم
او عظ منه امس فاخذ ابو العتاهية هذا المعنى فقال

- * كفا حزنا بدفك ثم انى * نفضت تراب قبرك عن يديا *
- * وكانت فى حياتك لى عظات * وانبت اليوم او عظ منك حيا *

وقال بعض الحكماء لو كان للخطايا ريح لافضح الناس ولم يجبالسوا فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال

* احسن الله بنا * ان الخطايا لا تفوح *

* فاذا المستور منها * بين ثوبه فضوح *

وهذا جيهه مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشتم ما تدافتم وكتب رجل الى ابي العتاهية رحمه الله

* يا ابا اسحاق اني * واثق منك بودك *

* فاعنى بابي از * ت على عيبي برشدك *

﴿ فاجابه بقوله ﴾

* اطبع الله بجهديك * راغبا او دون جهديك *

* اعطت مولاك الذي * تطلب من طاعة عبيدك *

وقال بعض الحكماء من سره بنوه ساءته نفسه فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال

* ابن ذى الابن كلما زاد منه * مشرع زاد في فناء ابيه *

* ما بقاء الاب الملح عليه * بديب اليبلا شباب بنه *

وفي معناه ما حكى عن ذر بن حبيش انه عاش مائة وعشرين سنة فلما حضرته

الوفاة انشد يقول

* اذا الرجال ولدت اولادها * وارتعشت من كبر اجسادها *

* وجعلت اسقامها تعنادها * تلك زروع قد دنا حصادها *

﴿ وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس ﴾

* الموت باب وكل الناس داخله * فليت شعري بعد الباب ما الدار *

﴿ فاجابه بقوله ﴾

* الدار جنات عدن ان علمت بما * يرضى الاله وان خالفت فالنار *

* هما محلان ما للناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا انت مختار *

﴿ باب ادب الدنيا ﴾

اعلم ان الله تعالى لنا فذ قدرته * وبالغ حكمته * خلق الخلق بتدبيره * وفطرهم

بتقديره

بتقديره * فكان من لطيف ما دبره * وبديع ما قدره * انه خلقهم محتاجين * وفطرهم عاجزين * ليكون بالنعى منفردا وبالقدرة مختصا حتى يشعروا بقدرته انه خالق * وعلما بغناه انه رازق * فنذعن بطاعته رغبة ورهبة وهجر بنقائصنا عجزا وحاجة ثم جعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جلسه واستعانه صفة لازمة لطبقة وخلقة قائمة في جوهره ولذلك قال الله سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا يعنى عن الصبر عما هو اليه مفقر واحتمال ما هو عنه عاجز ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان كان اظهر عجزا لان الحاجة الى الشئ افتقار اليه والمقتر الى الشئ عاجز به وقال بعض الحكماء المتقدمين استغناؤك عن الشئ خير من استغناؤك به وانما خص الله تعالى الانسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه ولطفا به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان النغى وبغى القدرة لان الظغيان مركز في طبعه اذا استغنى والبغى مستول عليه اذا قدر وقد انبأ الله تعالى بذلك عنه فقال كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم ليكون اقوى الامور شاهدا على نفسه واوضحها دليلا على عجزه وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومي رحمه الله

* أعبرتني بالنقص والنقص شامل * ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل *
 * واشهدنى ناقص غير انى * اذا قيس بى قوم كثير تقالوا *
 * تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا * فبى ايما هذين انت مفضل *
 * ولو منح الله الكمال ابن آدم * لخلده والله ما شاء يفعل *
 ولما خلق الله الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلة دله عليها بالعقل وارشده اليها بالفطنة قال الله تعالى والذى قدر فهدى قال مجاهد قدر احوال خلقه فهدى الى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود فى قوله تعالى وهديناه للتجدين يعنى العريقين طريق الخير وطريق الشر ثم لما كان العقل دالا على اسباب ما تدعو اليه الحاجة جعل الله تعالى الادراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدر كيلا يعتمدوا فى الارزاق على عقولهم وفى العجز على فطنهم لتدوم له الرغبة والرهبة ويظهر منه النغى والقدرة وربما عزب

هذا المعنى على من ساء ظنه بخالقه حتى صار سببا لضلاله كما قال الشاعر
 * سبحان من انزل الايام منزلها * وصير الناس مرفوضا ومرموقا *
 * فعاقل فظن اعيت مذهب * وجاهل خرق تلقاه مرزوقا *
 * هذا الذي ترك الالباب حائرة * وصير العاقل التحرير زنديقا *
 ولو حسن ظن العاقل في صحة نظره لعلم من علل المصالح ما صار به صديقا
 لا زنديقا لان من علل المصالح ما هو ظاهر ومنها ما هو غامض ومنها ما هو
 مغيب حكمة استأثر بها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حسن الظن بالله
 من عبادة الله ثم ان الله تعالى جعل اسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي
 جعلها دار تكليف وعمل كما جعل الآخرة دار قزار وجزاء فنزم لذلك ان يصرف
 الانسان الى دنياه حظا من عناية، لانه لا غنى به عن التزود منها لآخرته ولا له
 بد من سد الخلة فيها عند حاجته وليس في هذا القول نقض لما ذكرنا قبل من ترك
 فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها بل الراجح فيها ملوم * وطالب
 فضولها مذموم * والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة والفضول انما
 ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية وقد قال الله تعالى لئيبه صلى الله عليه وسلم
 فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال اهل التأويل فاذا فرغت من امور
 دنياك فانصب في عبادة ربك وائس هذا القول منه ترغيبا لئيبه صلى الله عليه وسلم
 فيها ولكن نديه الى اخذ البلغة منها وعلى هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم
 ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه
 وهذه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها
 تبلغكم الآخرة وذم رجل الدنيا عند علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال رضى
 الله عنه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن
 تزود منها وحكي مقاتل ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال
 يارب حتى متى اتردد في طلب الدنيا فقبل له امسك عن هذا فليس طلب المعاش
 من طلب الدنيا وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه مكتوب في التوراة اذا كان
 في البيت بر فتعبد واذا لم يكن فاطلب يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك
 وقال بعض الحكماء ليس من الرغبة اكتساب ما يصون العرض فيها وقال بعض

الادباء ليس من الخرص اجتلاب ما يقوت البدن وقال محمود الوراق
 * لا تتبع الدنيا وایامها * ذما وان دارت بك الدائرہ
 * من شرف الدنيا ومن فضلها * ان بها تستدرك الآخرة
 فاذا قدرتم بما بيناه النظر في امور الدنيا فواجب ستر احوالها والكشف عن
 جهة انتظامها واختلالها لتعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها
 وخرابها لتنتفي عن اهلها شبه الخيره * وتجتلي لهم اسباب الخيره * فيقصدوا
 الامور من ابوانها * ويعتمدوا صلاح قواعدها واسبابها * واعلم ان صلاح
 الدنيا معتبر من وجهين اولهما ما ينظم به امور جلتها والثاني ما يصلح
 به حال كل واحد من اهلها فهما شيان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه لان
 من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها لن يعدم ان يتعدى اليه
 فسادها * ويقدم فيه اختلالها * لان منها ما يستمد * ولها يستعد * ومن
 فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها
 اثرا لان الانسان دنياه نفسه فليس يزي الصلاح الا اذا صلحت له ولا يجد الفساد
 الا اذا فسدت عليه لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره الى ما يخصه
 مصروفا * وفكره على ما يمسه موقوفا * واعلم ان الدنيا لم تكن
 قط لجمع اهلها مسعده ولا عن كفاية ذويها معرضة لان اعراضها
 عن جميعهم عطب واسعادها لكافتهم فساد لاتلافهم بالاختلاف
 والتباين * واتفاقهم بالساعده والتعاون * فاذا تساوى جميعهم لم يجد
 احدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا
 فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا واذا تباينوا واختلّفوا صاروا مؤتلفين
 بالمعونة متواصلين بالحاجة لان ذا الحاجة وصول * والمحتاج اليه موصول *
 وقد قال الله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال
 الحسن مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير ولذلك خلقهم يعني للاختلاف
 بالفقر والفقير وقال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق غير ان
 الدنيا اذا صلحت كان اسعادها موفورا * واعراضها ميسورا * الا انها اذا
 منحت هنت واودعت * واذا استردت رقت وابقت * واذا فسدت الدنيا كان

اسعادها مكرًا * واعراضها غدرا * لانها اذا منحت كدت واتعبت * واذا اشتدت استأصلت واجتفت * ومع هذا فصلاح الدنيا يصلح لسائر اهلها لوفور اماناتهم وظهور دياناتهم وفسادها مفسد لسائر اهلها لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم وقد وجد ذلك في مشاهد الحال تجربة وعرفا * كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا * فلا شئ انفع من صلاحها * كما لا شئ اضر من فسادها * لان ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر اماناتهم فلا شئ احق به نفعا كما ان ما به تضعف دياناتهم وتذهب اماناتهم فلا شئ اجدر به ضررا والشدت لابي بكر ابن دريد

- * الناس مثل زمانهم * قسدا الخداء على مثاله *
- * ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحاله *
- * وكذا اذا فسد الزمان * ن جرى الفساد على رجاله *

واذ قد بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدا بذكر ما يصلح الدنيا ثم نلوه بوصف ما يصلح به حال الانسان فيها اعلم ان ما به تصلح الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة * وامورها ملتمة * ستة اشياء هي قواعدها وان تفرعت وهي * دين متبع * و * سلطان قاهر * و * عدل شامل * و * امن عام * و * خضب دائم * و * امل فسيح * فاما * القاعدة الاولى * فهي الدين المتبع فلانه يصرف النفوس عن شهواتها * ويعطف القلوب عن اراداتها * حتى يصير قاهرا للسرائر * زاجرا للضمائر * رقيبا على النفوس في خلواتها * نصوحا لها في مباتها * وهذه الامور لا يوصل بغير الدين اليها * ولا يصلح الناس الا عليها * فكان الدين اقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها * واجدى الامور نفعا في انتظامها وسلامتها * ولذلك لم ينحل الله تعالى خلائه مذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعى واعتقاد دينى يتقادون للحكمه فلا تختلف بهم الآراء * ويستسلمون لامره فلا تتصرف بهم الاهواء * وانما اختلف العلماء رضى الله عنهم في العقل والشرع هل جاء اجميئا واحدا ام سبق العقل ثم تبعه الشرع فقالت طائفة جاء العقل والشرع معا مجيئا واحدا لم يسبق احدهما صاحبه وقالت طائفة اخرى سبق العقل ثم تبعه الشرع لان بكمال العقل يستدل

على صحة الشرع وقد قال الله تعالى أيمسب الانسان ان يترك سدى وذلك لا يوجد منه الا عند كمال عقله فثبت ان الدين من اقوى القواعد في صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا وقال بعض الحكماء الادب ادب ان ادب شريعة وادب سياسة فادب الشريعة ما ادى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع الى العدل الذى به سلامة السلطان * وعمارة البلدان * لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وقال سعيد ابن حميد ما صححة ابدأ بنافعة حتى يصح الدين والخلق واما القاعدة الثانية * فهى سلطان قاهر تتألف من رهبته الاهواء المختلفة وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الايدي المتغالبية وتمنع من خوفه النفوس العاصية لان في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بجانح قوى ورايع ملى وقد افصح المنبى بذلك فى قوله

* لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *
* والظلم من شيم النفوس فان تجرد * ذاعفة فلعلة لا ينظلم *

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من احد اربعة اشياء اما عقل زاجر او دين حاجر او سلطان رادع او عجز صاد فانما تأسلاهما لم تجرد خامسا يقترن بها ورهبة السلطان ابغها لان العقل والدين ربما كانا مضعوفين او بدواعى الهوى مغلوبين فتكون رهبة السلطان اشد زجرا واقوى ردعا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الله فى الارض ياوى اليه كل مظلوم وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرزع بالسلطان اكثر مما يرزع بالقرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حراسا فى السماء وحراسا فى الارض فحراسه فى السماء الملائكة وحراسه فى الارض الذين يقبضون ارزاقهم يذبون عن الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامام الجائر خير من الفتنه وكل لا خير فيه وفى بعض الشرخبر وقال ابوهريرة

رضى الله عنه سبت العجم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لا تسبوها فإنها عمرة بلاد الله تعالى فعاش فيها عباد الله تعالى وقال بعض البلغاء السلطان في نفسه امام متبوع * وفي سيرته دين مشروع * فان ظلم لم يعدل احد في حكم * وان عدل لم يحسر احد على ظلم * وقال بعض الاديباء ان اقرب الدعوات من الاجابة دعوة السلطان الصالح * واولى الحسنات بالاجر والثواب امره ونهيه في وجوه المصالح * فهذه آثار السلطان في احوال الدنيا وما ينظم به امورها ثم لما في السلطان من حراسة الدين والدنيا والذب عنهما ودفع الاهواء منه وحراسة التبديل فيه وزجر من شذ عنه بازتداد * او بغي فيه بعناد * اوسعى فيه بفساد * وهذه امور ان لم تحسم عن الدين بسلاطان قوى ورعاية وافية اسرع فيه تبديل ذوى الاهواء وتحريف ذوى الآراء فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه * وطهست اعلامه * وكان لكل زعيم فيه بدعة ولكل عصر فيه وهاية اثر كما ان السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى اهله الطاعة فيه فرضا والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان لبث ولا ليامه صفو وكان سلطان قهر * ومفسدة دهر * ومن هذين الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامة ليكون الدين محروسا بسلطانه والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه قال عبد الله بن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى واختلف الناس هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب بالعقل لانه معلوم من حال العقلاء على اختلافهم الفزع الى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم وذهب آخرون الى وجوبه بالشرع لان المقصود بالامام التيام بامور شرعية كاقامة الحدود واستيفاء الحقوق وقد كان يجوز الاستغناء عنها بان لا يراد التعبد بها فبان يجوز الاستغناء عما يراد الا لها اولى وعلى هذا اختلفوا في وجوب بعثة الانبياء فمن قال بوجوب ذلك بالعقل قال بوجوب بعثة الانبياء ومن قال بوجوب ذلك بالشرع منع من وجوب بعثة الانبياء لانه لما كان المقصود ببعثتهم تعريف المصالح الشرعية وكان يجوز من المكلفين ان لا تكون هذه الامور مصلحة لهم لم يجب بعثة الانبياء اليهم فاما اقامة امامين او ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز اجماعا فاما في بلدان شتى وامصار

متباعدة فقد ذهبت طائفة شاذة الى جواز ذلك لان الامام مندوب للمصالح
 واذا كان اثنين في بلدين او ناحيتين كان كل واحد منهما اقوم بما في يديه واضبط
 لما يليه ولاه لما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك الى ابطال النبوة كانت
 الامامة اولى ولا يؤدى ذلك الى ابطال الامامة وذهب الجمهور الى ان اقامة
 امامين في عصر واحد لا يجوز شرعا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال اذا بويع اميران فاقتلوا احدهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 اذا وليتم ابا بكر تجددوه قويا في دين الله عز وجل ضعيفا في بدنه واذا وليتم
 عمر تجددوه قويا في دين الله عز وجل قويا في بدنه وان وليتم عليا تجددوه هاديا
 مهديا فيبين بظاهر هذا الكلام ان اقامة جميعهم في عصر واحد لا يصح ولو
 صح لاشارة اليه ولتبعه عليه والذي يلزم سلطان الامة من امورها سبعة اشياء
 ﴿ احدها ﴾ حفظ الدين من تبديل فيه والحث على العمل به من غير اهمال
 له ﴿ والثاني ﴾ حراسة البيضة والذب عن الامة من عدو في الدين او باغى
 نفس او مال ﴿ والثالث ﴾ عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها
 ومسالكتها ﴿ والرابع ﴾ تقدير ما يتولاه من الاموال بسنن الدين من غير
 تحريف في اخذها واعطائها ﴿ والخامس ﴾ معانة المظالم والاحكام بالتسوية
 بين اهلها واعتماد النصفة في فصلها ﴿ والسادس ﴾ اقامة الحدود على
 مستحقها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها ﴿ والسابع ﴾ اختيار خلفائه
 في الامور ان يكونوا من اهل الكفاية فيها والامانة عليها فاذا فعل من اخفى
 اليه سلطان الامة ما ذكرنا من هذه الاشياء السبعة كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم
 مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم وان قصر عنها
 ولم يقم بحققها واجبها كان بها مؤاخذا ثم هو من الرعية على
 استبطان معصية ومقت يتربصون الفرص لاطهارها ويتوقعون الدوائر لاعلانها
 وقد قال الله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من
 تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا وفي قوله تعالى عذابا من فوقكم او من تحت
 ارجلكم تأويلان احدهما ان العذاب الذي هو من فوقهم امرء السوء والذي
 من تحت ارجلهم عبيد السوء وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثاني

ان العذاب الذي هو من فوقهم الرجم والذي من تحت ارجلهم الحسف وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير وفي قوله تعالى او يلبسكم شيئا تاويلان احدهما انه الاهواء المختلفة وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثاني انه الفتن والاختلاط وهذا قول مجاهد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير على عشرة الا وهو ينجى يوم القيامة مغاولة يدها الى عنقه حتى يكون عمله هو الذي يطلقه او يوثقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشر ائمتكم الذين يبعضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم وبلغونكم وهذا صحيح لانه اذا كان ذا خيرا احبهم واحبوه واذا كان ذا شرا ابغضهم وابغضوه وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه ان الله تعالى اذا احب عبدا حبه الى خلقه فاعرف منزلك من الله تعالى بمنزلك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما لله عندك فكان هذا موضعا لمعنى ما ذكرنا واصل هذا ان خشية الله تبعث على طاعته في خلقه وطاعته في خلقه تبعث على محبته فلذلك كانت محبتهم دليلا على خيره وخشيته وبغضهم دليلا على شره وقلة مراقبته وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض خلفائه اوصيك ان تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه انى اخاف الله فيما تقلدت فقال له لست اخاف عليك ان تخاف الله وانما اخاف عليك ان لا تخاف الله وهذا واضح لان الخائف من الله تعالى مأمون كالذي روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لابي مريم السلولى وكان الذى قتل اخاه زيدا والله انى لا احبك حتى تحب الارض الدم قال أفيمعنى ذلك حتما قال لا قال فلا ضير انما بأسى على الحب النساء وروى عبد الرحمن بن محمد قال اصدق طلحة بن عبد الله ام كلثوم بنت ابي بكر مائة الف درهم وهو اول من اصدق هذا القدر فر بالمال على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما هذا قالوا صدق ام كلثوم ابنة ابي بكر فقال ادخلوه بيت المال فاخبر بذلك طلحة وقيل له كلفه في ذلك فقال ما انا بفاسل لئن كان عمر يرى له فيه حقا لا يرده لكلامى وان كان لا يرى فيه حقا ليردنه قال فلما اصبح عمر امر بالمال فدفع الى ام كلثوم وحكى ان الرشيد حبس ابي الغضاهية

فكتب على حائط الحبس

* أما والله ان الظلم شوم * وما زال المنيء هو الظلوم *
 * الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم *
 * ستعلم في المعاد ان التقينا * غدا عند المليك من الظلوم *
 فاخبر الرشيد بذلك فبكي بكاء شديدا ودعى بابي العتاهية فاستحمله ووهب له
 الف دينار واطلقه واما * القاعدة الثالثة * فهي عدل شامل يدعو الى الالفة
 ويبعث على الطاعة وتعمم به البلاد وتنمي به الاموال ويكثر معه النسل ويأمن به
 السلطان فقد قال المرزبان لعمر حين رآه وقد نام متبدلا عدلت فامت فمت
 وليس شئ اسرع في خراب الارض ولا افسد لضمار الخلق من الجور لانه
 ليس يقف على حد ولا ينهي الى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى
 يستكمل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بنس الزاد الى المعاد *
 العدوان على العباد * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات
 فاما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى وخشية الله في السر والعلانية
 والقصد في الغناء والفقر واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وانجاب
 المرء بنفسه وحكى ان الاسكندر قال للحكماء الهنود وقد رأى قلة الشرائع بها
 لما صارت سنن بلادكم قليلة قالوا الاعطائنا الحق من انفسنا ولعدل ملوكنا فينا
 فقال لهم ايما افضل العدل او الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل اغنى عن الشجاعة
 وقال بعض الحكماء بالعدل والانصاف تكون مدة الأتلاف وقال بعض البلغاء
 ان العدل ميراث الله الذي وضعه للخلق * ونصبه للحق * فلا تخالفه في ميراثه *
 ولا تعارضه في سلطانه * واستعن على العدل بثلثين قلة الطمع وكثرة
 الورع فانما كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به
 ولا صلاح فيها الا معه * وجب ان تبدأ بعدل الانسان في نفسه ثم بعبده في غيره
 فاما عبده في نفسه فيكون بحملها على المصالح * وكفها عن القبائح *
 ثم بالوقوف في احوالها على اعدل الامر من تجاوز او تقصير فان تجاوز
 فيها جور والتقصير فيها ظلم ومن ظلم نفسه فهو لغيره اظلم ومن جار عليها فهو
 على غيره اجور وقد قال بعض الحكماء من توانى في نفسه ضاع واما عبده

في غيره فقد يتقسم حال الانسان مع غيره على ثلاثة اقسام • فالقسم الاول عدل الانسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته فعده فيهم يكون باربعة اشياء باتباع الميسور وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور فان اتباع الميسور ادوم * وحذف المعسور اسلم * وترك التسلط اعطف على المحبة وابتغاء الحق ابعث على النصره وهذه امور ان لم تسلم للرعيه المدير كان الفساد ينظره اكثر * والاختلاف بتدبيره اظهر * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في سلطانه بخارجي حكمه وقال بعض الحكماء الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم وقال بعض الادياء ليس للجائر جار * ولا تعمر له دار * وقال بعض البلغاء اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وقال بعض حكماء الملوك العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم ان عزه بطاعتهم وقال ازديشير ابن بابك اذا رغب الملك عن العدل رغب الرعيه عن طاعته وعوتب انوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال هم المرضى ونحن الاطباء فاذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم • والقسم الثاني عدل الانسان مع من فوقه كالرعيه مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة اشياء باخلاص الطاعة وبذل النصره وصدق الولاء فان اخلاص الطاعة اجمع للثمن وبذل النصره انفع للوهن وصدق الولاء اذني لسوء الظن وهذه امور ان لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر الى اتقاء من يتقى به كما قال البحري

* متى احوجت ذا كرم تحطأ * اليك ببعض اخلاق اللئام *

وفي استمرار هذا حل نظام جامع وفساد صلاح شامل وقال ابرويس اطع من فوقك يطعك من دونك وقال بعض الحكماء الظلم مسلبة النعم * والبغى مجلبة النقم * وقال بعض الحكماء ان الله تعالى لا يرضى عن خلقه الا بتأدية حقه وحقه وشكر النعمة * ونصح الامة * وحسن الصنيعه * ولزوم الشريعة • والقسم الثالث عدل الانسان مع اكفائه ويكون بثلاثة اشياء بترك الاستطالة ومجانبة الادلال وكف الاذني لان ترك الاستطالة آلف * ومجانبة الادلال اعطف * وكف الاذني انصف * وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء

اسرع فيهم تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا وقد روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ائبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من اكل وحده ومنع رفته وجلده عبده (وفي نسخة بدل هذا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره) ثم قال ألا ائبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس و يبغضونه وروى ان عيسى بن مريم عليهما السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تسكثوا ظلما فيطيل فضلكم يا بني اسرائيل الامور ثلاثة امر تين رشده فاتبعوه * وامر تين غيه فاجتنبوه * وامر اختلقتم فيه فردوه الى الله تعالى وهذا الحديث جامع لآداب العدل في الاخوال كلها وقال بعض الحكماء كل عقل لا يدارى به الكل فليس بعقل تام وقال بعض الشعراء

* ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فلما انت في دار المدارات *
 * من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات *
 وقد يتعلق بهذه الطبقات امور خاصة يكون عدلهم فيها بالتوسط في حالتى التقصير والسرف لان العدل مأخوذ من الاعتدال فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل وقد قالت الحكماء الفضائل هيأت متوسطة بين خلتين ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين ❖ فالحكمة ❖ واسطة بين الشر والجهالة ❖ والشجاعة ❖ واسطة بين التعمم والجن ❖ والعفة ❖ واسطة بين الشره وضعف الشهوة ❖ والسكينة ❖ واسطة بين السخط وضعف الغضب ❖ والغيرة ❖ واسطة بين الجسد وسوء العادة ❖ والظرف ❖ واسطة بين الخلاعة والعرامة ❖ والتواضع ❖ واسطة بين الكبر ودناءة النفس ❖ والسخاء ❖ واسطة بين التبذير والتقتير ❖ والجلم ❖ واسطة بين افراط الغضب وعدمه ❖ والمودة ❖ واسطة بين الخلابة وحسن الخلق ❖ والحياء ❖ واسطة بين القحة والحقد ❖ والوقار ❖ واسطة بين الهزء والسخافة واذا كان ما خرج عن الاعتدال الى ما ليس باعتدال خروجا عن العدل الى ما ليس بعدل فالاولى اجتنابه والوقوف مع الاوسط اقتداء

بالحديث وقال بعض البلغاء البلد السوء يجمع السفل ويورث الطل والولد السوء
 يشين السلف ويهدم الشرف والجار السوء يقشئ السرو ويهتك الستر فجعل هذه
 الاشياء بخروجها عن الاولى الى ما ليس باولى خروجا عن العدل الى ما ليس
 بعدل ولست نجد فسادا الا وسبب نتيجة الخروج فيه من حال العدل الى ما ليس
 بعدل من حالي الزيادة والنقصان فاذا لاشئ انفع من العدل كما لاشئ اضر
 مما ليس بعدل واما ﴿ القاعدة الرابعة ﴾ فهي امر عام تطمئن اليه
 النفوس وتنتشر فيه الهمم ويسكن اليه البرى ويأنس به الضعيف فليس
 لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة وقد قال بعض الحكماء الامن اهنا عيش *
 والعدل اقوى جيش * لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن
 تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التي بها قوام اودهم وانتظام جلتهم لان
 الامن من نتائج العدل والجور من نتائج ما ليس بعدل وقد يكون الجور تارة
 بمقاصد الاذميين الخارجة عن العدل وتارة تكون باسباب حادثة من غير
 مقاصد الاذميين فلا تكون خارجة عن حال العدل فمن اجل ذلك لم يكن ما سبق
 من حال العدل مقبعا عن ان يكون الامن في انتظام الدنيا قاعدة كالعادل
 فاذا كان ذلك كذلك فالامن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم فتدعه بان
 يكون تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال وعمومه ان يستوجب
 جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن
 وقد يختلف باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون بحسب اختلاف
 الرغبة فيما خيف عليه فمن اجل ذلك لم يجز ان يصف حال كل واحد
 من انواعه بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن لاسيما والخائف على الشئ
 مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره فهو يلحن اذ لا خوف له الا اياه * فيغفل
 عن قدر النعمة بالامن فيما سواه * فصار كالمرضى الذي هو بمرضه متشاغل *
 وعماسواه غافل * ولعل ما صرف عنه اعظم مما ابتلى به واما يوكل بالادنى
 وان جل ما يمضى وحي ان رجلا قل واعرابي حاضر ما اشد وجع الضرس
 فقال الاعرابي كل داء اشد داء وكذلك من عمه الامن كمن استولت عليه العافية

فهو لا يعرف قدر النعمة بأمته حتى يخاف كما لا يعرف المعاق قدر النعمة حتى يصاب وقال بعض الحكماء انما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها فاخذ ذلك ابو تمام الطائي فقال

* والحادثات وان اصابك بؤسها * فهو الذى انباك كيف نعيمها *
فالاولى بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وامنه وما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه فيستدل بالشكوى شكرا * وبالجزع صبيرا * فيكون فرحا مسرورا حكي ان يعقوب قال ليوسف عليهما السلام حين لقيه اى شئ كان خبرك بعدى قال لا تسأل عما فعله بي اخوتى سلنى عما صنع به ربي وقال الشاعر

* لا تنس في الصحة ايام السقم * فان عجبى تارك الحزم ندم *
واما * القاعدة الخامسة * فهي خصب دار تتسع النفوس به في الاحوال *
وتشترك فيه ذو الاكثار والاقلال * فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساة والتواصل وذلك من اقوى الدواعى لصلاح الدنيا وانتظام احوالها ولان الخصب يؤول الى الغنى والغنى يورث الامانة والسخاء وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابي موسى الاشعري لا تستقضين الا اذا حسب ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب في مال غيره وقال بعض السلف انى وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى وشر الدنيا والآخرة في الفجور والفقر وقال بعض الشعراء

* ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى * ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر *
ومحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطباؤه * واكثر الجواد وسخاؤه * كما قال دعبل

* لان كنت لا تولى ندى دون امرة * فليست بمول نائلا آخر الدهر *
* واى اناه لم يفض عند ملئه * واى بخيل لم ينل ساعة الوفى *
واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجذب يحدث من اسباب الفساد ما ضاها وكما ان صلاح الخصب عام فكذلك فساد الجذب عام وما عم به الصلاح ان وجد * وما عم به الفساد ان فقد * فاحرى ان يكون

من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب وخصب في المواد فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتائج الامن المقترن بها واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الهية وهو من نتائج العدل المقترن بها واما ❖ القاعدة السادسة ❖ فهي امل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه * ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة اربابه * ولولا ان الثاني يرتفق بما انشاءه الاول حتى يصير به مستغنيا لاقتراهل كل عصر الى انشاء ما يحتاجون اليه من منازل السكنى وارضى الحرث وفي ذلك من الاعواز وتمذر الامكان ما لا خفاء به فانك ما ارفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال الا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما ابقاه الاول من عمارتها ويرم الثالث ما احده الثاني من شعنها لتكون احوالها على الاعصار ملتئمة * وامورها على عمر الدهور منتظمة * ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى ضرورة وقته ولكانت تنتقل الى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة ولا يدرك منها حاجة ثم تنتقل الى من بعد باسوأ من ذلك حالا حتى لا يبني بها نبت ولا يمكن فيها لبث وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمة من الله لامتي ولولاه لما غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا

وقال الشاعر

* وللنفوس وان كانت على وجل * من المنية آمال تقويهها *
 * فالمرء يبسطها والدهر يقبضها * والنفس تنشرها والموت يطويهها *
 واما حال الامل في امر الآخرة فهو من اقوى الاسباب في الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها وقد افصح لبيد مع اعرابية بما تبين به حال الامل في الامرين فقال

* واكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل *
 * غير ان لا تكذبها بالتقى * واجزها بالبر لله الاجل *
 وفرق ما بين الآمال والآمانى ان الآمال ما تقيدت باسباب والآمانى ما تجردت عنها فهذه القواعد الست التي تصلح بها احوال الدنيا وتنظم امور جلتهها

فان كلت فيها كل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا * وان يكون صلاحها عاما شاملا * لانها موضوعة على التغيير والفاء * منشاء على التصرم والانتضاء * وسمع بعض الحكماء رجلا يقول قلب الله الدنيا قال فاذا تستوى لانها مقلوبة وقال بعض الشعراء

* ومن عادة الايام ان خطوبها * اذا سر منها جانب ساء جانب *
 * وما اعرف الايام الا ذميمة * ولا الدهر الا وهو للشار طالب *
 وبحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها * فصل * واما ما يصلح به حال الانسان فيها فثلاثة اشياء هي قواعد امره ونظام حاله وهي نفس مطيعة الى رشدها منتهية عن غيها والفة جامعة تعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها ومادة كافية تسكن نفس الانسان اليها ويستقيم اوده بها فاما القاعدة الاولى التي هي * نفس مطيعة * فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها اخرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولى وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره ونفسه تمتعة عليه وقد قال الشاعر

* انقطع ان يطيعك قلب سعدي * وتزعم ان قلبك قد عصاك *
 وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد فاما النصح فهو ان ينظر الى الامور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه ويرى الغي غيا ويستبجحه وهذا يكون من صدق النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك قيل من تفكر ابصر فاما الانقياد فهو ان تسرع الى الرشد اذا امرها * وتنتهي عن الغي اذا زجرها * وهذا يكون من قبول النفس اذا كفيت منازعة الشهوات قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وللنفس آداب هي تمام طاعتها وكمال مصلحتها وقد افردنا لها من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضع على ما قد اقتضاه الترتيب * واستدعاه التقريب * واما القاعدة الثانية وهي * الالفة الجامعة * فلان الانسان مقصود بالاذية محسود بالذمة فاذا لم يكن آلفا مانوفا تخطفته ايدى حاسديه * وتحكمت فيه اهواء اعاديه * فلم تسلم له

نعمة وام تصف له مدة فاذا كان ألفا مالوفا انتصر بالالفة على اعانيه * وامنع
 من حاسديه * فسلبت نعمته منهم * وصفت مدته عنهم * وان كان صفو
 الزمان عمرا * وسله خطرا * وقد روى ابن جريح عن عطاء رحبهما الله عن
 جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن ألف مألوف
 ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم للناس وروى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى
 لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وان
 تناهوا من وراء الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال
 وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة والعرب تقول من قل ذل
 وقل قيس بن عاصم

* ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق ويطش ايد *
 * عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالوهن والتكسير للمبتد *
 واذا كانت الالفة بما اثبت يجمع الشمل وتمنع الذل اقتضت الحال ذكر اسبابها واسباب
 الالفة خمسة وهي الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر فاما * الدين *
 وهو الاول من اسباب الالفة فلائنه يبعث على التناصر * ويمنع من التقاطع
 والتدابير * وبمثل ذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فروى سفيان
 عن الزهري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا
 ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه
 فوق ثلاث وهذا وان كان اجتماعهم في الدين يقتضيه فهو على وجه التحذير من
 تذكر تراث الجاهلية واحن الضلالة فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب
 اشد تقاطعا وتعاديا * واكثر اخلافا وتماديا * حتى ان بني الاب الواحد
 يتفرون احزابا فتثير بينهم بالهزب والافتراق احقاد الاعداء * واحن البعداء *
 وكانت الانصار اشددهم تقاطعا وتعاديا وكان بين الاوس والخزرج من الاختلاف
 والتباين اكثر من غيرهم الى ان اسلموا فذهبت احنهم واتقطعت عداوتهم
 وصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين * وبالفة الدين اعوانا متناصرين *
 قال الله تعالى واذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة

اخوانا يعني اعداء في الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاسلام وقال تعالى ان
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم اجرهن ودا يعني حبا وعلى حسب
 التألف على الدين تكون العداوة فيه اذا اختلف باهلها فلن الانسان قد
 يقطع في الدين من كان به برا وعليه مشفقا هذا ابو عبيدة بن الجراح وقد كانت
 له المنزلة العالية في الفضل والاثر المشهور في الاسلام قتل اباؤه يوم بدر وآتى
 برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل ورسوله حين بقي
 على ضلاله وانهمك في طغيانه فلم يعطفه عليه رجة ولا كفه عنه شفقة وهو
 من ابر الابناء تغليبا للدين على النسب وطاعة الله تعالى على طاعة الاب وفيه
 انزل الله لا تجحدوا قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
 ولو كانوا آباءهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم وقد يختلف اهل الدين
 على مذاهب شتى وآراء مختلفة فيحدث بين المختلفين فيه من العداوة والتباين مثل
 ما يحدث بين المختلفين في الاديان وعلته ذلك ان الدين والاجتماع على العقد
 الواحد فيه لما كان اقوى اسباب الالفة كان الاختلاف فيه اقوى اسباب الفرقة
 واذا تكافأ اهل الاديان المختلفة والمذاهب المتباينة ولم يكن احد الفريقين اعلى
 يدا * واكثر عددا * كانت العداوة بينهم اقوى والاحن فيهم اعظم لانه
 ينضم الى عداوة الاختلاف بمحاسد الكفاء * وتنافس النظراء * واما ❖ النسب ❖
 وهو الثاني من اسباب الالفة فلان تعاطف الارحام وحية القرابة يبطن على
 التناصر والالفة ويمتلئ من الخاذل والفرقة انفة من استعلاء الاباعد على
 الاقارب * وتوقيا من تسلط الغرباء الاجانب * وقد روي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قل ان الرحم اذا تماسست تعاطفت ولذلك حفظت العرب انسابها
 لما امتنعت عن سلبها يقهرها ويكف الاذى عنها لتكون به مظاهرة
 على من ناواها * متاصرة على من شاقها وعادها * حتى بلغت بالفة الانساب
 تناصرها على القوى الايد ومحكمت به تحكم التسلط المتشطط وقد اعذر نبي الله
 لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليه لو ان لي
 بكم قوة او آوى اى ركن شديد يعني عشيرة مانعة وروى ابو سلمة عن ابي
 هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل رحم الله لوطا لقد كان يأوى الى

ركن شديد يعنى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعده نبيا الا في ثروة من قومه وقال وهب لقد وردت الرسل على لوط وقالوا ان ركنك لشديد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون فيها قال الرياشي المفرج الذي لا ينتهي الى قبيلة يكون منها وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من كثر سواد قوم فهو منهم واذا كان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المتنافية لها فاذا قدر ان نصف حال الانساب * وما يفرض لها من الاسباب * فجملة الانساب انها تنقسم ثلاثة اقسام قسم والدون وقسم مولودون وقسم مناسيون ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرأ فيبعث على العقوق والقطيعة • فاما الوالدون فهم الآباء والامهات والاجداد والجدات وهم موسومون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم بالطبع والثاني حادث باكتساب فاما ما كان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الوالد مجتلة مجهولة مجبنة محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التي لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعا وحدوثها حتما وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بالك تكره الولد فقال ما لي وللولد ان عاش ككدي وان مات هديني وقيل لعيسى بن مريم عليهما السلام ألا تتزوج فقال انما يحب التكاثر في دار البقاء واما ما كان حادثا بالاكتساب فهي المحبة التي تنمي مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الولد انوط يعنى ان حبه يلتصق بنياط القلب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمره القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبعض منه ولكن لسوة حدثت من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي لا يزول عنه ولا يتقل منه فقد قال محمد بن علي رضى الله عنه ان الله تعالى رضى الآباء للابناء فحذرهم فثبتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للآباء

فاوصاهم

فاوصاهم بهم وان شر الابناء من دعاهم التقصير الى العقوق وشر الآباء من دعاهم البر الى الافراط والامهات اكثر اشفاقا واوفر حبا لما باشرن من الولادة وعابن من التربية فانهن ارق قلوبا وألين نفوسا وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف عليهن اوفر جزاء لفعالهن وكفاء لحقهن وان كان الله تعالى قد اشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصية فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقد روى ان رجلا أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اما انا مطيعها اقعدھا على ظهري ولا اصرف عنها وجهي وأرد اليها كسبي فهل جزئتها قال لا لا بزفرة واحدة قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها وقال الحسن البصري حق الوالد اعظم وبر الوالد الزم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انها كم عن عقوق الامهات وأد البنات ومنع وهات وروى خالد بن معدان عن المقدم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد والعرب تسمى ولد الولد الصقوة وهم مختصون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم والاخر منتقل فاما اللازم فهو الانفة للآباء من نهضم او نخول والانفة في الابناء في مقابلة الاشفاق في الآباء وقد لحظ ابو تمام الطائي هذا المعنى في شعره فقال

* فاصبحت تلقاني الزمان لاجله * باعظام مولود واشفاق والد *

فاما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال في الابناء في مقابلة المحبة في الآباء لان المحبة بالآباء اخص والادلال بالابناء اعم وقد روي عن عمر انه قال قلت يا رسول الله ما باننا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لاننا ولدناهم ولم يلدونا ثم الادلال في الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد امرين اما البر والاعظام واما الى الجفاء والعقوق فان كان الولد رشيدا او كان الاب برا عطوفا صار الادلال برا واعظاما وقد روى الزهري عن عامر بن شراحيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله ان حق الوالد على الولد ان يمشع له عند الغضب ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب فان المكافي ليس بالواصل ولكن

الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وان كان الولد غاويا او صكان الوالد جافيا صار الادلال قطيعة وعقوقا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءا امان ولده على بره وبشر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمولود فقال زيجانة اشمها ثم هو عن قريب ولد بار او عدو ضار وقد قيل في مشور الحكيم العقوق ثكل من لم يشكل وقال بعض الحكماء ابنك ربحانك سبعا وخانك سبعا ووزيك سبعا ثم هو صديق او عدو واما المناسيون فهم من عدا الآباء والابناء ممن يرجع بتعصيب او رحم والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصره وهى ادنى رتبة الالفه لان الالفه تمنع من التهضم والحمول معا والحمية تمنع من التهضم وليس لها في كراهة الحمول نصيب الا ان يقترن بها ما يبعث على الالفه وحمية المناسيين انما يدعو الى النصره على العدا والاجانب وهى معرضة لحسد الاداني والاقارب موحكولة الى منافسة الصاحب بالصاحب فان حرسه بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها واكثرن بحمية النسب مصانفا المودة وذلك اوكد اسباب الالفه وقد قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك قال اخى اذا كان صديقا وقال مسلمة بن عبد الملك العيش في ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل وقال بعض الحكماء البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته وان اهملت الحال بين المناسيين ثقة بلحمة النسب واعتمادا على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا وقال الكندي في بعض رسائله الاب رب والولد كبد والاخ فسخ والعم غم والحال وبال والاقارب عقارب وقال عبد الله بن المعتز

* لحومهم لحمى وهم يأكلونه * وما داهيات المرء الا اقاربه *

ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المفسرون هى الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم في قطعها ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم اشتقت لها من اسمي اسمنا فن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وروى عنه صلى

الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم مائة للعدد مثراة للمال محبة في الاهل منساة في الاجل وقال بعض الحكماء ابوا ارحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وقال بعض البلغاء سلموا ارحامكم فانها لا تبلى عليها اصولكم ولا تهضم عليها فروعكم وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك وقال بعض الفقهاء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن اجار جاره اعانه الله وجاره وقال محمد بن عبد الله الازدي

* وحسبك من ذل وسوء صنعة * مناولة ذى القربى وان قيل قاطع *
 * ولكن اواسيه وانسى ذنوبه * لترجمه يوما الى الرواجع *
 * ولا يستوى في الحكم عبدان واصل * وعبد لارحام القرابة قاطع *

واما المصاهرة وهى الثالث من اسباب اللفة فلانها استحداث مواصلة وقازج مناسبة صدرا عن رغبة واختيار انعقادا على خير وايثار فاجتمع فيها اسباب اللفة ومواد المظاهرة قال الله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعنى بالمودة المحبة وبالرحمة الخنو والشفقة وهما من اوكد اسباب اللفة وفيها تأويل آخر قاله الحسن البصرى رحمه الله ان المودة النكاح والرحمة الولد وقال تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اختلف المفسرون في الحفدة فقال عبد الله بن مسعود هما اختان الرجل على بناته وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما هم ولد الرجل وولد ولده وروى عنه انهم بنوا امرأة الرجل من غيره وسماوا حفدة لتحفدهم في الخدمة وسرعتهم في العمل ومنه قولهم في التثوت واليك نسعى ونحفد اى نسرع الى العمل بطاعتك وام تزل العرب تجتذب البعداء وتتألف الاصدقاء بالمصاهرة حتى يرجع المنافر مؤانسا وبصير العدو مواليا وقد بصير للصهر بين الاثنيين الفة بين القبيلتين وموالاة بين العشيرتين حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية انه قال كان ابغض خلق الله عز وجل الى آل الزبير حتى تزوجت منهم امرأة فصاروا احب خلق الله عز وجل الى وفيها يقول

* احب بنى العوام طرا لاجلها * ومن اجلها احببت اخوالها كلبا *

* فان تسلى نسلم وان تنصرى * يحط رجال بين اعينهم صلبا *

ولذلك قيل المرء على دين زوجته لما يستتره الميل اليها من المتابعة ويحبذبه
الحب لها من الموافقة فلا يحد الى المخالفة سبيلا ولا الى المباعدة والمشاقة
طريقا واذا كانت المصاهرة للنكاح بهذه المنزلة من الالفة فقد ينبغى لعندها
احد خمسة اوجه وهى المال والجمال والدين والالفة والتعفف وقدروى
سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المرأة
لاربعة للمال والجمال ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك فان كان
عقد النكاح لاجل المال وكان اقوى الدواعى اليه فلان اذا هو المتكوح فان
اقترن بذلك احد الاسباب الباعثة على الأتلاف جاز ان يلبث العقد وتدوم الالفة
فان تجرد عن غيره من الاسباب وعمرى عما سواه من المواد فاخلق بالعقد ان ينحل
وبالالفة ان تزول لاسيما اذا غلب الطمع وقل الوفاء لان المال ان وصل
اليه فقد يتقضى سبب الالفة به فقد قيل من ودك لشيء تولى مع انقضائه
وان اعوز الوصول اليه وتعذرت القدرة عليه اعقب ذلك استهانة الآيس
بعد شدة الامل فحدثت منه عداوة الحائب بعد استحكام الطمع
فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة وقد قيل من ودك طمعا فيك ابغضك اذا
ايس منك وقال عبد الحميد من عظيمك لا كشارك استقلك عند اقلالك فان
كان العقد رغبة في الجمال فذلك ادوم للالفة من المال لان الجمال
صفة لازمة والمال صفة زائلة ولذلك قيل حسن الصورة اول السعادة وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النساء بركة احسنهن
وجهها واقلهن مهرا فان سلمت الحال من الادلال المفضى الى اللال استدامت
الالفة واستحكمت الوصلة وقد كانوا يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث
عنه من شدة الادلال وقد قيل من بسطه الادلال قبضه الادلال واما لما يخاف
من محنة الرغبة وبلوى المنازعة وقد حكى ان رجلا شاور حكما في التزوج
فقال له افعل وابلك والجمال البارع فاه مرعى اتيق فقال الرجل وكيف ذلك قال
كما قال الاول

* ولن تصادف مرعى ممرما ابدا * الا وجدت به آثار منجم *

واما

واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفضة وقد قال بعض الحكماء اياك ومخالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ولفظها سم ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امرأه فقال يا صياد احذر ان تصاد وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه امش وراء الاسد ولا تمس وراء المرأة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأه تقول هذا البيت

* ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكنم يشتهى شم الرياحين *
 ﴿ فقال رضى الله عنه ﴾

* ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين *
 وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها الفة واجدها بدأ وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين انقاد له فاستقامت له حاله وامن زلله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطفر (لعزل هذه رواية اخرى فان التي تقدمت فعلبك) بذات الدين تربت يداك وفيه تأويلان احدهما تربت يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة تذكر للمبالغة ولا يراد بها سوء كقولهم ما اشجعهم قاتله الله وان كان العقد رغبة في اللفة فهذا يكون على احد وجهين اما ان يقصد به المكثرة باجتماع الفريقين والمظاهرة بتناصر الفتيين واما ان يقصد به تألف اعداء متسلطين استكفاء لعاديتهم ونسكيناً لوصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في الامائل واهل المنازل وداعى الوجه الاول هو الرغبة وداعى الوجه الثانى هو الرهبة وهما سببان في غير المتساحكين فان استدام السبب دامت اللفة وان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال اللفة الا ان ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها والمقربة لها وان كان العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقيقى المبتغى بعقد النكاح وما سوى ذلك فاسباب معلنة عليه ومضافة اليه وروى انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الرجل من التراب فهمه في التراب وولدت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وروى عطية بن بشر عن عكاف بن رفاعة الهلالي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف

ألك زوجة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان
النصارى فالحق بهم وان كنت من اهل سنتنا النكاح فكان هذا القول منه
حثا على ترك الفساد وبعثا على التكاثر بالاولاد ولهذا المعنى كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول للفقهاء من غزوههم اذا افضيتهم الى نساءكم فالكيس الكيس
يعنى في طلب الولد فلزم حينئذ في عقد التعفف تحكم الاختيار فيه والتماس
الادوم من دواعيه وهى نوعان نوع يمكن حصر شروطه ونوع لا يمكن لاختلاف
اسبابه وتغاير شروطه فاما الشروط المحصورة فيه فثلاثة شروط ﴿ احدها ﴾
الدين المفضى الى الستر والعفاف والمؤدى الى القناعة والكفوف قال ابو هريرة
رضي الله عنه لا يخلع مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها خلقا
وخطب رجل من عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بتيمة كانت عنده فقال
لا ارضاها لك قال ولم وفى دارك نشأت قال انها تشرف قال لا ابالي فقبال
الآن لا ارضاها لك وفى معنى هذا قول بعض العلماء من رضى بصحبة من لا خير
فيه لم يرض بصحبته من فيه خير ﴿ والشروط الثانية ﴾ العقل الباعث على حسن
التقدير الأمر بصواب التدبير فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
العقل حيث كان الوف ومألوف وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بالودود الولود ولا تنكحوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع
﴿ والشروط الثالثة ﴾ الأكفاء الذين يتفق بهم العار ويحصل بهم الاستكثار
فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تخيروا لنطفكم ولا تضعوها
الا فى الأكفاء وروى ان صفي بن اكرم قال لولده يا بني لا يحملنكم جمال النساء
عن صراحة النسب فان المناكح اللئيمة مدرجة للشرف وقال ابو الاسود الدبلى
لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت لينا
قبل ان نولد قال اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها وانشد الرياشي

* فاول احسانى اليكم تخيرى * لماجدة الاعراق بان عفافها *

وقد ننضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال النفس ما يلزم الحرز
منه لبعده الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كوامن الاخلاق بادية فى الصور
والاشكال ككذلك الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة

أتزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعفف مع عفتك ولا تزوج من النساء خمسا
 قال وما هن يا رسول الله قال لا تزوج شهيرة ولا لهيرة ولا نهيرة ولا هبيرة ولا
 لفوتا فقال يا رسول الله انى لا اعرف مما قلت شيئا قال اما الشهيرة فلزرقاء البديّة
 واما الهيرة فالعويلة المهزولة واما النهيرة فالبحوز المدبرة واما الهبيرة فالقصيرة
 الدمية واما اللفوت فذات الولد من غيرك وقال شيخ من بني سليم لابنه يا بني
 اياك والرقوب الغضوب القطوب الرقوب التي تراقبه ان يموت فتأخذ ماله واوصى
 بعض الاعراب ابنه في التزوج فقال اياك والحنانة والمنانة والانانة فالخسانة التي
 تحن لزوج كان لها والمنانة التي تمن على زوجها بما لها والانانة التي تن كسلا
 وتمارضا وقال اوفى بن دهم النساء اربع فتنهن مقمع لها سننها اجمع ومنهن بمنع
 تضر ولا تنفع ومنهن مصدع تفرق ولا يجمع ومنهن غيث وقع ببلد فامرغ وقال
 الشاعر

* ارى صاحب النسوان يحسب انها * سوء وبون بينهن بعيسد *
 * فتنهن جنسات يفتى ظلالها * ومنهن نيران لهن وقود *
 ❖ وانشد ابو العيناء عن ابي زيد ❖

* ان النساء كاشجار نبتن معا * منهن مر وبعض المر ما كول *
 * ان النساء ولو صورن من ذهب * فيهن من هفوات الجهل تخيل *
 * ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لا يسد مفسول *
 * وما وعدك من شر وفيه به * وما وعدك من خير فمطول *

فاما النوع الآخر فانه لا يمكن حصر شروطه لانه قد يختلف باختلاف الاحوال
 وينقل ينتقل الانساك والازمان فانه لا يستغنى به عن موافقة النفس ومتابعة
 الشهوة ليكون انوم لحال الالفة وامتد لاسباب الوصلة فان رأى العلول لا يبقى
 على حاله والميل المدخول لا يدوم على دخله فلا بد ان ينتقل الى احدى حالتين
 اما الى الزيادة والكمال واما الى النقصان والزوال حتى ان رجلا قال لعلى
 كرم الله وجهه انى احبك واحب معاوية فقال رضى الله عنه اما الآن فانت
 اعور فاما ان تبرأ واما ان تعمى فاذا كان كذلك فلا بد من كشف السبب
 الباعث على هذا النوع فانه لا يخلو من ثلاثة احوال ❖ احدها ❖ ان يكون

لطلب الولد والاحد فيه التماس الحدائمه والبركاره لانها اخص بالولاده وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحاما اي اكثر اولادا وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه عليكم بالابكار فانهن اكثر حبا واكل خنا وهذه الحال هي اولى الاحوال الثلاث لان النكاح موضوع لها والشرع وارد بها وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سوداء ولود خير من حسناء عافر والعرب تقول من لا يلد لا ولد وقد كانوا يختارون مثل هذه الحال انكاح البعداء الاجانب ويرون ان ذلك انجب للولد وابهى للخاتمة ويمتنعون انكاح الاهل والاقارب ويرونه مضرا بخلق الولد بعيدا من نجابته روى عن النبي صلى الله عليه انه قال اغربوا لاتضووا وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يا بني السائب قد اضويتهم فانكحوا في الغرائب وقال الشاعر

* تجاوزت بنت العم وهي حبية * مخافة ان يضوى على سليلي *
 وكانت حكما المتقدمين يرون ان انجب الاولاد خلقا وخلقا من كانت سن امه بين العشرين والثلاثين وسن ابيه ما بين الثلاثين والتمسين والعرب تقول ان ولد الغيري لا ينجب وان انجب النساء الفروك لان الرجل يظلمها على الشبه لزهدها في الرجال وقالوا ان الرجل اذا اكره المرأة وهي مذعورة ثم اذكرت انجبت * والحالة الثانية * ان يكون المقصود به القيام بما يتولاه النساء من تدبير المنازل فهذا وان كان مختصا بمعانة النساء فليس بالزم حالتى الزوجات لانه قد يجوز ان يعانیه غيرهن من النساء ولذلك قيل المرأة ربحانة وليست بقهرمانه وليس في هذا القصد تأثير في دين ولا قدح في مروءة والاحد في مثل هذا التماس ذوى الاسنان والحكمة فمن قد خبرن تدبير المنازل وعرفن عادات الرجال فانهم اقوم بهذه الحال * والحالة الثالثة * ان يكون المقصود به الاستمتاع وهي اذم الاحوال الثلاث واهنها للمروءة لانه يتباد فيه لاخلقه البهيمية ويتابع شهوته الذميمة وقد قال الحارث بن النضر الازدي شر النكاح نكاح الغلظة الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالاضعاف لها عند الغلبة او تسكين النفس عند المنازعة حتى لا تطمع له عين لربة ولا تنزاعه نفس الى فجور ولا

يلحقه في ذلك ذم ولا يناله وصرم وهو بالحمد اجدر وبالثناء احق ولو تنزه في مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر الى الاماء كان اكل لمروءته وابلغ في صيانتها وهذه الحال تقف على شهوات النفوس لا يمكن ان يرجح فيها اولى الامور وهي اخطر الاحوال بالنكوح لان للشهوات غايات متناهية يزول بزوالها ما كان متعلقا بها فتصير الشهوة في الابتداء كراهية في الانتهاء ولذلك كرهت العرب البنات ووأدتهن اشفاقا عليهم وحية لهن من ان يتبدلن اللثام بهذه الحال وكان من محبوب من قتل البنات لرقه ومحبة كان موتهن احب اليه وآثر عنده ولما خطب الى عقيل بن علقمة ابنة الحرياء قال اتى وان سبق الى المهر الف وعبدان وذود عشر احب اصهارى الى القبر وقال عبد الله بن طاهر

* لكل ابى بنت يراعى شؤونها * ثلاثة اصهار اذا جد انصهر *

* فبعل يراعيها وخدر يكنها * وقبر يواربها وفضلها القبر *

﴿ فصل ﴾ واما المواخاة بالمودة وهي الرابع من اسباب الالفة لانها تكسب بصادق الميل اخلاصا ومصافة ويحدث بخلوص المصافة وفاء ومحاماة وهذا اعلى مراتب الالفة ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه لتزيد الفهم ويقوى تظافرهم وتناصرهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باخوان الصفاء فانهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء وروى ابو الزبير عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ولاخير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقاء الاخوان جلاء الاحزان وقال خالد بن صفوان ان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقال بعض الادباء افضل الذخائر اخ وفي وقال بعض البلغاء صديق مساعد عضيد وساعد وقال بعض الشعراء

* هموم رجال في امور كثيرة * وهمى من الدنيا صديق مساعد *

* تكون كروح بين جسمين قسمت * بجسماهما جسمان والروح واحد *

وقيل انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وقال

ثعلب انما سمي الخليل خليلا لان محبته تخلل القلب فلا تدع فيه خلا الاملائه
وانشد الرياشي قول بشار

* قد تخللت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا *
والمواخاة في الناس قد تكون على وجهين احدهما اخوة مكتسبة بالاتفاق
الجارى مجرى الاضطرار والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة
بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تعقد عن اسباب تعود اليها والمكتسبة بالقصد
تعقد لهما اسباب تنقاد اليها وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث
بالقصد ونحن نبدأ بالوجه الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعبه بالوجه الثانى
المكتسب بالقصد اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب يتدى بها ثم ننقل في غاية
احواله المحدودة الى سبع مراتب ربما استكملتهن وربما وقفت على بعضهن ولكل
مرتبة من ذلك حكم خاص وسبب موجب قال الشاعر

* ما هوى الاله سبب * يتدى منه ويشعب *
فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان فيها ويأتلفان بها فان قوى التجانس
قوى الأتلاف به وان ضعف كان ضعيفا ما لم تحدث علة اخرى يقوى بها الأتلاف
واما كان ذلك كذلك لان الأتلاف بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم
التجانس من وجه اتفى التشاكل من وجه ومع انقضاء التشاكل يعدم الأتلاف
فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخاء وقاعدة الأتلاف وقد روى يحيى
ابن سعيد عن عمر عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الارواح جنود مجنونة فا تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
وهذا واضح وهى بالتجانس متعارفة وبفقدته متناكرة وقيل في مشور الحكم
الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفرق وقال بعض الحكماء بحسن تشاكل الاخوان
يلبث التواصل وبعضهم

* فلا تحقر نفسى وانت خليلها * فكل امرئ يصبو الى من يشاكل *
❖ وقال آخر ❖

* فقلت اخى قالوا اخ من قرابة * فقلت لهم ان الشكول اقارب *
* نسبي في رأى وعزى وهمى * وان فرقنا فى الاصول المناسب *

ثم يحدث بالتجانس المواصلية بين المتجانسين وهي المرتبة الثانية من مراتب الاخاء
وسبب المواصلية بينهما وجود الاتفاق منهما فصارت المواصلية نتيجة التجانس
والسبب فيه وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفر وقد قال الشاعر

* الناس ان وافقتهم عذبوا * او لا فان جناهم مر
* كم من رياض لا انيس بها * تركت لان طريقها وعر *

ثم يحدث عن المواصلية رتبة ثالثة وسببها الانبساط ثم يحدث عن المؤانسة رتبة
رابعة وهي المصافاة وسببها خلوص النية ورتبة خامسة وهي المودة وسببها الثقة
وهذه الرتبة هي اذنى الكمال في احوال الاخاء وما قبلها اسباب تعود اليها فان
اقترن بها المعاضدة فهي الصداقة ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة وهي المحبة
وسببها الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس حدثت رتبة سابعة
وهي الاعظام وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة وهي
العشق وسببه الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى

* اول العشق مزاح وولع * ثم يزداد اذا زاد الطمع
* كل من يهوى وان غالت به * رتبة الملك لمن يهوى تبع *

وهذه الرتبة آخر الرتب المحدودة وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ولا حالة محدودة
لانها قد تؤدي الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضى الى مخالطة
الارواح وان تفارقت اجسادها وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ولا الوقوف
عند نهايتها وقد قال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك ومثل هذا
القول المروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اقطع طلحة بن عبيدالله
ارضا وكتب له بها كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فاتي طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابي بكر رضي
الله عنه وقال والله ما ادري انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه انا واما
المكتسبة بالقصد فلا بد لها من داع يدعو اليها وياعث يبعث عليها وذلك
من وجهين رغبة وفاقية فاما الرغبة فهي ان يظهر من الانسان فضائل تبعث
على اخائه ويتوسم بمجمل يدعو الى اصطفاؤه وهذه الحالة اقوى من التي بعدها
لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها من

الاغترار بالتصنع لها فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تحلق بالحسنى كانت من طبعه والتكلف للشيء منساق له الا ان يدوم عليه مستحسنا له في العقل او متدينا به في الشرع فيصير متطبعا به لا مطبوعا عليه لانه قد تقدم من كلام الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في التطبع ثم تقول في المتعذر ان تكون اخلاق الفاضل كاملة بالطبع وانما الاغلب ان يكون بعض فضائله بالطبع وبعضها بالتطبع الحيارى بالعادة مجرى الطبع حتى يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان مطبوعا عليه اذ خالف العادة ولذلك قيل العادة طبع ثان وقال ابن الرومي رحمه الله

* واعلم بان الناس من طينة * يصدق في الثلب لها الثالب *
* لولا علاج الناس اخلاقهم * اذا لفاح الجمأ اللابز *

واما الفاقة فهي ان يقتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته الى اصطفاء من يأنس بمواخاته ويثق بنصرته وموالاته وقد قالت الحكماء من لم يرغب بثلاث بلى بست من لم يرغب في الاخوان بلى بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة بلى بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلى بالندامة والخسران ولعمري ان اخوان الصدق من انفس النخائر وافضل العدد لانهم سهماء النفوس واولياء النوايب وقد قالت الحكماء رب صديق اود من شقيق وقيل معاوية ايما احب اليك قال صديق يميني الى الناس وقال ابن المعتز القريب بعداوته بعيد والبعيد بمودته قريب وقال الشاعر

* لمودة ممن يحبك مخلصا * خير من الرحم القريب الكاشح *

﴿ وقال آخر ﴾

* يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفي لك عند العهد من لا تناسبه *
فاذا عزم على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم قبل اخائهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفائهم لما تقدم من قول الحكماء اسبر تخبر ولا تبعثه الوحدة على الاقدام قبل الخبرة ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق مصائد العقول والتفائق تدليس الفطن وهما سحابة المتصنع وليس فين يكون التفائق والملق بعض سحباياه خير يرحى ولا صلاح يؤمل ولاجل ذلك قالت الحكماء

اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه وقال
خالد بن صفوان انما اتفقت على اخواني لاني لم استعمل معهم النفاق ولا
قصرت بهم عن الاستحقاق وقال حاد بن مجرد

* كم من اخ لك ليس تنكره * ما دمت في دنياك في يسر *
* متصنع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر *
* فاذا عدا والدهر ذو غير * دهر عليك عدا مع الدهر *
* فارفض باجال مودة من * يقلى المقل ويعشق المثرى *
* وعليك من حاله واحدة * في العسرا ما كنت واليسر *

على ان الانسان موسوم بسيماء من قارب ومنسوب اليه افاعيل من صاحب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه الصاحب مناسب وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ما من
شيء ادل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال
بعض الحكماء اعرف اخاك باخيه قبلك وقال بعض الادباء يظن بالمرء ما يظن
بقريته وقال معدى بن زيد

* عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى *
* اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى *
فلزم من هذا الوجه ايضا ان يحرز من دخلاء السوء ويجانب اهل الرب
ليكون موفور العرض سليم العيب فلا يلام بلامه غيره وهذا قيل التثبت والارتياح
ومداومة الاختيار والابتلاء متعذر بل مفقود وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء
فمين حسن ظاهره وخبث باطنه فقال

* ألم تر ان الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء ابيض صافيا *
ونظر بعض الحكماء الى رجل سوء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما
الساكن فردى فاخذ جحظة هذا المعنى فقال

* رب ما ابين التباين فيه * منزل عامر وعقل خراب *

﴿ وانشد في بعض اهل العلم ﴾

* لا تركن الى ذى منظر حسن * قرب زانقة قد ساء مخبرها *

* ما كل اصفر دينار لصفرة * صفز العقارب ارداها وانكرها *
 ثم قد تقدم من قول الحكماء من لم يقدم الامتحان قبل الثقة و الثقة قبل الانس
 اتمرت مودته ندما وقال بعض البلغاء مصارمة قبل اختيار افضل من مواخاة على
 اغترار وقال بعض الادباء لا تثق بالصديق قبل الخبرة ولا تقع بالعدو قبل القدرة
 وقال بعض الشعراء

* لا تحمدن امرءا حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجرب *
 * فحمدك المرء ما لم تبله خطأ * وذمه بعد جد شر تكذيب *

و اذا قد لزم من هذين الوجهين سبر الاخوان قبل احائهم وخبرة اخلاقهم
 قبل اصطفتائهم فالخصال المعيرة في احائهم بعد المجانسة التي هي اصل
 الاتفاق اربع خصال ﴿ فالخصلة الاولى ﴾ عقل موفور يهدى الى مرشد
 الامور فان الحق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحق شؤم وقال بعض
 الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحق لان الاحق ربما ضر وهو
 يقدر ان ينفع و العاقل لا يتجاوز الحد في مضرة فضرته لها حد يقف عليه
 العقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا مما هو غير محدود
 وقال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العتلاء وقال بعض
 البلغاء من الجاهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال مجادلة ذوى المحال وقال بعض
 الادباء من اشار عليك باعطناع جاهل او عاجز لم يخجل ان يكون صديقا جاهلا
 او عدوا عاقلا لانه يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك وقال بعض الشعراء

* اذا ما كنت متخذنا خليلا * فلا تثقن بكل اخي اخاء *
 * فان خسرت بينهم فالصق * باهل العقل منهم والحياء *
 * فان العقل ليس له اذا ما * تفاضلت الفضائل من كفاء *

﴿ والخصلة الثانية ﴾ الدين للواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين
 عدو لنفسه فكيف يرجي منه مودة غيره وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان
 ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه رء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك

وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

- * اخلاء الرخاء هم كثير * ولكن في البلاء هم قليل
- * فلا يفررك خلة من تواخى * فمالك عند نائبة خليل
- * وكل اخ يقول انا وفي * ولكن ليس يفعل ما يقول
- * سوى خل له حسب ودين * فذاك لما يقول هو الفعول

﴿ وقال آخر ﴾

- * من لم يكن في الله خلة * فخاليه منه على خطر
- ﴿ والحصلة الثالثة ﴾ ان يكون محمود الاخلاق مرضى الافعال مؤثرا للخير
- آمر ابه كارها للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء وتفسد الاخلاق
- ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة فان التبوع تابع صاحبه وقال عبد الله
- ابن المعتز اخوان الشر كشجر النارنج يحرق بعضها بعضا وقال بعض الحكماء
- مخالطة الاشرار على خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذى من سلم
- منه يسدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه وقال بعض البلغاء صحة
- الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقال بعض البلغاء من خير الاختيار صحة
- الاخيار ومن شر الاختيار صحة الاشرار وقال بعض الشعراء .

- * بمجالسة السفيه سفاه رأى * ومن عقل بمجالسة الحكيم
- * فالك والقرين معا سواء * كما قيل الاديم من الاديم
- ﴿ والحصلة الرابعة ﴾ ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة
- في مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة واملد لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب
- اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب مودة ممنوع عليه ورغب الى
- زاهد فيه كان معنى خائبا كما قال البحرى

- * وطلبت منك مودة لم اعطها * ان المعنى طاب لا يظفر
- ﴿ وقال العباس بن الاحنف ﴾

- * فان كان لا يدينك الاشفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع
- * واقسم ما ترى عتابك عن قلى * ولكن لعلى انه غير نافع
- * وانى اذا لم ازم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

فاذا استكملت هذه الخصال في انسان وجب اخاؤه وتمين اصطفاؤه وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى من غلبة احدهما عليه يجعل مستعملا في الخلق الغالب عليه فان الاخوان على طبقت مختلفة وانحاء متشعبة ولكل واحد منهم حال يخص بها في المشاركة وثمة يسدها في الموازنة والمظاهرة وليس تنفق احوال جميعهم على حد واحد لان التباين في الناس غالب واختلافهم في الشيم ظاهر وقال بعض الحكماء الرجال كالشجر شرابه واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور بن اسماعيل فقال

- * بنو آدم كالبيت * ونبت الارض الوان *
- * فمنهم شجر الصندل والكافور والبان *
- * ومنهم شجر افضل ما يحمل قطران *

ومن رام اخوانا تنفق احوال جميعهم رام متعذرا بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلال في نظامه اذ ليس الواحد من الاخوان يمكن الاستعانة به في كل حال ولا المجبولون على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما بالاختلاف يكون الائتلاف وقد قال بعض الحكماء ليس بليب من لم يعاشر بالعرف من لم يجد من معشرته بدا وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احسانا وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابداء لعمرى ان الناس على ما وصفهم لا الاخوان منهم وليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون المودة استكفافا لشربهم وتحرزوا من مكاشفتهم فدخلوا في عداد الاخوان بالمظاهرة والساترة وفي الاعداء عند المكاشفة والمهاجرة قال بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليك كالخظلة الخضراء اوراقها القاتل من ارقها وقد قيل في منشور الحكم لا تغترن بمقاربة العدو فانه كالماء وان اطبل اسنخانه بالنار لم يمنع من اطفائها وقال يزيد ابن الحكم الثقفي

- * تكاشرنى ضحكا كأنك ناصح * وعينك تبدي ان صدرك لى دوى *
- * لسانك معسول ونفسك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى *
- * فليت كصفا كان خيرك كله * وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى *

فاذا خرج من كان كالداء من عداه الاخوان فالاخوان هم الصنفان الآخران اللذان من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان الغذاء اقوم للنفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحتها وافضلها من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم واذا تميز الاخوان وجب ان ينزل كل منهم حيث نزلت به احواله اليه واستقرت خصاله وخلاله عليه فن قويت اسبابه قويت الثقة به وبموجب الثقة به يكون الركون اليه والتعويل عليه وقال الشاعر

* ما انت بالسبب الضعيف وانما * نجح الامور بقوة الاسباب *
* فاليوم حاجتنا اليك وانما * يدعى الطبيب لشدة الاوصاب *

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الاخوان فمنهم من يرى ان الاستكثار منهم اولى ليكونوا اقوى منعة ويدا وافر تحببا وتوددا واكثر تصاونا وتفقدا وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان وقيل حلية المرء كثرة اخوانه ومنهم من يرى ان الاقلال منهم اولى لانه اخف اثقالا وكلفا وقل تنازعا وخلفا وقال الاسكندر المستكثر من الاخوان من غير اختيار كالمستوفر من الحجارة والمقل من الاخوان التخيير لهم كالذئب يتخير الجيهر وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلهما متاع وكثيرهما بوار ولقد احسن ابن الرومي في هذا المعنى ونبه على العلة حيث يقول

* عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب *
* فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب *
* ودع عنك الكثير فكم كثير * يعافوكم قليل مستطاب *
* فما اللجج السلاح بمرويات * وتلقى الرى في النطف العذاب *

وقال بعض البلغاء ليكن غرضك في اتخاذ الاخوان واصطناع النصحاء تكثير العدة لا تكثير العدة وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد يحصل به المراد خير من الف تكثر الاعداد واذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة واسباب المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب شكله وامثاله من ذوى العقل والفضل اقل من اضداده من ذوى الجحوق

والنقص لان الخيار في كل شيء هو الاقل فلذلك قل وفور العقل والفضل وقد قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فقل بهذا التعليل اخوان اهل الفضل لتلكهم وكثر اخوان ذوى النقص والجهل لكثرتهم وقد قال في ذلك الشاعر

- * لنكل امرئ شئ من الناس مثله * فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا *
- * وكل اناس آفون لشكلهم * فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا *
- * لان كثير العقل لست بواجده * له في طريق حين يسلكه مثلا *
- * وكل سفیه طائش ان فقدته * وجدت له في كل ناحية عدلا *

واذا كان الامر على ما وصفنا فقد تقسم احوال من دخل في عدد الاخوان اربعة اقسام منهم من يعين ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ومنهم من يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين فاما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ما له فهو القروض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء وهو مشكور في معونته ومعذور في استعانه فهذا اعدل الاخوان واما من لا يعين ولا يستعين فهو منازل قد منع خيره وقع شره فهو لا صدق يربح ولا عدو يخشى وقد قال المغيرة بن شعبة رضى الله عنه التارك للاخوان متروك واذا كان كذلك فهو كالصورة المثلثة يروقك حسنها ويخونك نفعها فلا هو مذموم لتمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره وان كان باللوم اجدر وقد قال الشاعر

- * واسوأ ايام الفتى يوم لا يرى * له احد يزرى عليه وينكر *
- غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبي

- * انا لى زمن ترك التبع به * من اكثر الناس احسان واجال *
- واما من يستعين ولا يعين فهو لثيم كل ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يربح ولا شره يؤمن وحسبك مهانة من رجل مستقل هند اقلاله ويستقل عند استقلاله فليس لثه في الاخاء حظ ولا في الوداد نصيب وهو ممن جعله المأمون من داء الاخوان لا من دوائهم ومن سمهم لا من غنائهم

وقال

وقال بعض الحكماء شر ما في الكرم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك شره وقال ابن الرومي

* عذرة النخل في ابداء شوك * يرد به الانامل عن جنباه *
 * فما للعوسج الملعون ابدا * لنا شوكا بلا ثمر نراه *
 واما من يعين ولا يستعين فهو كرم الطبع مشكور الصنع وقد حاز فضيلتي الابتداء
 والاكتفاء فلا يرى ثقيلًا في نأية ولا يقعد عن نهضة في معونة فهذا اشرف
 الاخوان نفسا واكرمهم طبعًا فينبغي لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له
 مثل لانه البر الكرم والدر اليتيم ان يفتي عليه خنصره وبعض عليه ناجده
 ويكون به اشد ضنا منه بنفسائس امواله وسني ذخائره لان نفع الاخوان عام ونفع
 المال خاص ومن كان اعم نفعًا فهو بالادخار احق وقال الفرزدق
 * يمضي اخوك فلا تلق له خلفا * والمال بعد ذهاب المال مكتسب *

﴿ وقال آخر ﴾

* لكل شيء عدهته عوض * وما لفقده الصديق من عوض *
 ثم لا ينبغي ان يهد فيه خلق او خلتين ينكرهما منه اذا رضى سائر اخلاقه
 وجد اكثر شيمه لان السير مغفور والكمال معوز وقد قال الكندي كيف تريد
 من صديقك خلقًا واحدا وهو ذو طبائع اربع مع ان نفس الانسان التي هي
 اخص النفوس به ومدبرة باختياره وارادته لا تعطيه قيادها في كل ما يريد ولا
 تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك
 من اخيك اكثره وقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه معاتبه الاخ خير من فقده
 ومن لك باخيك كله فاخذ الشعراء هذا المعنى فقال ابو العتاهية

* أخي من لك من بني الدنيا بكل اخيك من لك *
 * فاستبق بعضك لا يملك كل مسن اعطيت كك *

﴿ وقال ابو الطائي ﴾

* ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما باخيك كله *
 وقال بعض الحكماء طلب الانصاف من قلة الانصاف وقال بعض البلغاء لا يزهديك
 في رجل حدث سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله عيب يحبط

به كثرة فضائله او ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله فالك لن تجد ما بقيت مهذباً
لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب فاعتبر نفسك بعد ان لا تراها بعين الرضى
ولا تجرى فيها على حكم الهوى فان في اعتبارك واختيارك لها ما يؤيسك مما تطلب
ويعطفك على من يذنب وقد قال الشاعر

* ومن ذا الذى ترضى سبحانه كلها * كنى المرء نبلا ان تعد معايه *

❖ وقال النابغة الذبياني ❖

* ولست بمستبق اخالاته * على شعث اى الرجل المهذب *

وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره واختيار الخصال الاربع فيه لان
ما اعوز فيه معفو عنه وهذا لا ينبغي ان توحشك فترة تجدها منه ولا ان
تسى الظن في كجوبة تتكون منه ما لم تتحقق تغيره وتيقن تنكره وليصرف ذلك
الى فترات النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاة نفسه
التي هى اخص النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منها وقد قيل
في منشور الحكم لا يفسدك الظن على صديق قد اصلحك اليقين له وقال جعفر
ابن محمد لابنه يا بني من غضب من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءاً فاتخذ
لنفسك خلا وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان
والاغضاء عن تقصير ان كان وقد روى على رضى الله عنه في قوله تعالى فاصفح
الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقال ابن الرومي

* هم الناس والدنيا ولا بد من قذى * يلم بعين او يكدر مشربا *

* ومن قلة الانصاف انك تتبغى المهذب في الدنيا ولست المهذباً *

❖ وقال بعض الشعراء ❖

* تواصلنا على الايام باق * ولكن هجرنا مطر الربيع *

* يروعك صوبه اكن تراه * على علته داني النزوع *

* معاذ الله ان نلتقي غضاباً * سوى ذل المطاع على المطيع *

❖ وانشدني الازدي ❖

* لا يؤيسنك من صديق نبوة * يذبو الفتى وهو الجواد الخضرم *

* فاذا نبا فاستبقه وتأنه * حتى تنى به وطبعك اكرم *

واما

واما الملول وهو السريع التغير الوشيك التنكر فوداده خطر واخاؤه غرر لانه لا يبقى على حالة ولا يتخلو من استحالة وقد قال ابن الرومي

* اذا انت ماتت الملول فلما * تخط على صحف من الماء احرفا *
* وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعاً فصارت تكلفا *

وهم نوعان منهم من يكون مله استراحة ثم يعود الى المعهود من اخائه فهذا اسلم الملائن واقرب الرجلين يسامح في وقت استراحته وحين فترته ليرجع الى الحسنى ويؤوب الى الاخاء وان تقدم المثل بما نظمه الشاعر حيث قال

* وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما * عفت منه آثار وجفت مشارعه *
* فقلت الى ان يرجع الماء عائدا * ويعشب شطاه تموت ضفادعه *

لكن لا يطرح حقه بالتوهم ولا يسقط حرمة بالظنون وقال الشاعر

* اذا ما حال عهد اخيك يوما * وحاد عن الطريق المستقيم *
* فلا تجعل بلومك واستدمه * فان اخا الحفاظ المستديم *
* فان تك زلة منه والا * فلا تبعد عن الخلق الكريم *

ومنهم من يكون مله تركا واطراحا ولا يراجع اخا ولا ودا ولا يتذكر حفاظا ولا عهدا كما قال اشجع بن عمر السلمي

* انى رأيت لها مواصلة * كالسم تفرغه على الشهد *
* فاذا اخذت بعهد نمتها * لعب الصدود بذلك العهد *

وهذا اذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات وليس الاستدراك الحال معه بالاقلاع قبل المخالطة وحسن التاركة بعد الورطة

كما قال العباس بن الاحف

* تداركت نفسي فعريتها * وبفضتها فيك آمالها *
* وما طابت النفس عن سلوة * ولكن حلت عليها لها *

وما مثل من هذه حاله الا كما قد قال ابراهيم بن هرمة

* فلنك واطراحك وصل سلمى * لآحرى في مودتها نكوب *
* ككثاقبة حللى مستعار * لاذنيها فشانها الثقوب *
* فأدت حللى جارتها اليها * وقد بقيت باذنيها ندوب *

واذا وصفت له اخلاق من سببه وتهتدت لديه احوال من خبره واقدم على اصطفاؤه اخا وعلى اتخاذه خدنا لزمته حينئذ حقوقه ووجبت عليه حرمانه وقال عمر بن مسعده العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال بعض الحكماء من جاد لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه قائل حقوقه اعتقاد مودته ثم ايتاسسه بالانديساظ اليه في غير محرم ثم نصحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال عنه ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة او يناله من نكبة فان مر اقبتة في الظاهر نفاق وتركه في الشدة لئوم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير اصحابك المعين لك على دهرك وشهرهم من سعى لك بسوق (كذا في الاصل) يوم وقيل يا رسول الله اى الاصحاب خير قال الذى اذا ذكرت اعانك وواساك وخير منه من اذا نسيت ذكرك وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه خير اخوانك من واساك وخير منه من كافاك وكان ابو هريرة رضى الله عنه يقول اللهم انى اعوذ بك ممن لا يلبس خالص مودتى الا بمواقفة شهوتى وبمن ساعدنى على سرور ساعتى ولا يفكر فى حوادث غدنى وقال بعض البلغاء عقود الغادر محلولة وعهوده مدخولة وقال بعض البلغاء ما ودك من اهمل ودك ولا احبك من ابغض حبك وقال بعض الشعراء

- * وكل اخ عند الهوننا ملاطف * ولكنما الاخوان عند الشدائد *
- وقال صالح بن عبد القدوس شر الاخوان من كانت مودته مع الزمان اذا اقبل فاذا ادبر الزمان ادبر عنك فاخذ هذا المعنى الشاعر فقال
- * شر الاخلاء من كانت مودته * مع الزمان اذا ما خاف او رغبا *
- * اذا وترت امرءا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا *
- * ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوما فرصة وثبا *

وينبغى ان يتوقى الافراط فى محبته فان الافراط داع الى التقصير ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان تكون متناهية وقد روى ابن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وبأبغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر بن

الخطاب رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال ابو الاسود

الدبلي

- * وكان معنا الخبير واصفح عن الاذى * فانك راء ما علمت وسامع *
- * وأحب اذا احبت حبا مقاربا * فانك لا تدري متى انت نازع *
- * وأبغض اذا ابغضت غير مبان * فانك لا تدري متى انت راجع *

❖ وقال عدى بن زيد ❖

- * لا تأمنن من مبعض قرب داره * ولا من محب ان يميل فيبعدا *

وانما يلزم من حق الاخاء بذل المجهود في النصح والتأهي في رعاية ما بينهما من الحق فليس في ذلك افراط وان تاهى ولا مجاوزة حد وان كثر واوفى فمستوى حالتهما في الغيب والمشهد ولان يكون مغيبهما افضل من مشهدهما اولى فان فضل المشهد على الغيب لؤم وفضل المغيب على المشهد كرم واستواؤهما حفاظ

وقال بعض الشعراء

- * على لاخواني رقيب من الصفا * تبعد الليالى وهو ليس يبئد *
- * يذكرنيهم في مغيبى ومشهدى * فسيان منهم غائب وشهيد *
- * وانى لاسكبي اخى ان ابره * قريبا وان اجفوه وهو بعيد *

وهكذا يقصد التوسط في زيارته وغشيانه غير مثل ولا مكث فان تقليل الزيارة داغية الهجران وكثرتها سبب اللال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاني هريرة رضى الله عنه يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقال لييد

- * توقف عن زيارة كل يوم * اذا اكثرت ملاك من تزور *

❖ وقال آخر ❖

- * اقل زيارتك الصديق ولا تطل * هجرانه فيلج في هجرانه *
 - * ان الصديق يلج في غشيانه * لصديقه فيل من غشيانه *
 - * حتى تراه بعد طول سروره * بمكانه مشاقلا بمكانه *
 - * واذا توانى عن صيانة نفسه * رجل تقص واستخف بشانه *
- وبحسب ذلك فليكن في عتابه فان كثرة العتاب سبب للقطيعة واطراح جيبه

دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قيل علة المعادة قلة المبالاة بل تتوسط
حالاته تركه وعتابه فيسأخ بالتاركة ويستصلح بالمعابة فان المسامحة والاستصلاح
اذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور ولم يبق معهما وجد وقد قال بعض الحكماء
لا تكثرن معابة اخوانك فيهون عليهم سخطك وقال منصور النمرى

* اقل عتاب من استربت بوجه * ليست نال مودة بعتاب *

﴿ وقال بشار بن برد ﴾

* اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه *

* وان انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واى الناس تصفو مشاربه *

* فعش واحدا او صل اخاك فانه * مقارن ذنب مرة ومجانبه *

ثم ان من حق الاخوان ان تغفر هفوتهم وتستر زلتهم لان من رام بريشا من

الهُفوات سليما من الزلات رام امرا معوزا واقترح وصفا مجزا وقد قالت الحكماء

اى عالم لا يهفو واى صارم لا ينبو واى جواد لا يكيو وقالوا من حاول صديقا

يا من زلته ويدوم اغتباطه به كان كضال الطريق الذى لا يزداد لنفسه اتعابا الا

ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال من

غفر زللى وقطع على وبلغنى املى وقال بعض الشعراء

* ما كنت اخص عن اخى ثقة * الاندمت عواقب الفحص *

﴿ وانشدت عن الربيع للشافعى رضى الله عنه ﴾

* احب من الاخوان كل موآتى * وكل غضيض الطرف عن عثرآتى *

* يوافقنى فى كل امر اریده * ويحفظنى حيا وبعد وفآتى *

* فن لى بهذا ليت انى اصبته * فقاسمته ما لى من الحسنات *

* تصفحت اخوانى وكان اقلهم * على كثرة الاخوان اهل ثقآتى *

﴿ وانشد ثعلب ﴾

* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد * بكفك فى ادباره متعلقا *

* اذا انت لم تترك اخاك وزلة * اذا زلها ارشكتما ان تفرقا *

وحكى الاصمعى عن بعض الاعراب انه قال تناس مساوى الاخوان يدم لك ودهم

وروى بعض الادباء اخاه فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا
وان لم تجد مواصلا وقال رجل من اباد ليريد بن المهلب

* اذا لم تجاوز عن اخ عند زلة * فلست غدا عن عثرتي متجاوزا *
* وكيف يرجيك البعيد لنفعه * اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا *
* ظلت اخا كلفته فوق وسعه * وهل كانت الاخلاق الا غراثا *
وقال ابو مسعود كاتب الرضى كنا في مجلس الرضى فشكى رجل من اخيه
فانشد الرضى

* اعذر اخاك على ذنوبه * واستر وغط على عيوبه *
* واصبر على بهت السفيفه وللزمان على خطوبه *
* ودع الجواب تفضلا * وكل الظلوم الى حسبه *
* واعلم بان الحسب عند الغيظ احسن من ركوبه *

وحكى عن بنت عبد الله بن مضيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن
عوف الزهرى وكان اجود قريش في زمانه ما رأيت قوما أأثم من اخوانك قال
مه ولم ذلك قالت اراهم اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك قال هذا
والله من كرمهم بأنوننا في حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف بنا
عنهم فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر
غدرهم وفاء وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا يلزم ذوى الفضل ان
يتأولوا الهفوات من اخوانهم وقد قال بعض الشعراء

* اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن انت محتالا لزلته عذرا *
* احب الفتى بنى الفواحش سمعه * كأن به عن كل فاحشة وقرا *
* سليم دواعى الصبر لا باسط اذى * ولا مانع خيرا ولا قاتل هجرا *

والداعى الى هذا التأويل شيان التغافل الحادث عن الفطنة والتألف الصادر
عن الوفاء وقال بعض الحكماء وجدت اكثر امور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل وقال
اكرم بن صفيق من شدد نفر ومن تراخى تألف والشرف في التغافل وقال شبيب
ابن شيبه الاديب العاقل هو القطن المتغافل وقال الطائى

* ليس الفنى بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابى *

* وقال ابو العناهية *

- * ان في صحة الاخاء من الناس * س وفي خلة الوفاء لقله *
 * فالبس الناس ما استطعت على النقص والا لم تستقم لك خلة *
 * عش وحيدا ان كنت لا تقبل الغد * روان كنت لا تجاوز زله *
 * من اب واحد وام خلقنا * غير انا في المال اولاد عله *

ومما يتبع هذا الفصل تألف الاعداء بما يشبههم عن البغضاء ويعطفهم على المحبة وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب اختلاف الاحوال فان ذلك من سمات الفضل وشروط السؤدد فانه ما اخذ بعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبسبب قدر النعمة تكثر الاعداء والحسدة كما قال البحرى

- * ولن تستبين الدهر موقع نعمة * اذا انت لم تدلل عليها بحاسد *
 فان اغفل تألف الاعداء مع وفور النعمة وظهور الحسدة توالى عليه من مكر حليمهم وبادرة سفيهم ما تصير به النعمة غراما والزمامة ملاما وروى ابن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل ولا تستقل ان يكون لك عدوا واحدا فالواحد كثير فنظم ابن الرومى هذا المعنى فقال

- * فكثر من الاخوان مما استطعت انهم * بلون اذا استجدتهم وظهور *
 * وليس كثيرا الف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير *
 وقيل لعبد الملك بن مروان ما افدت في ملكك هذا قال مودة الرجال وقال بعض الحكماء من علامة الاقبال اصطناع الرجال وقال بعض البلغاء من استصلح عدوه زاد في عدده ومن استفسد صديقه نقص من عدده وقال بعض الادباء العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضره من عداوته ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه بحسن صنائعه وايدانه وانشد عبد الله بن الزبير ثلاثة آيات بجامعة لكل ما قالته العرب وهى للافوه واسمه صلة بن عمرو حيث يقول

- * بلون الناس قرنا بعد قرن * فلم ار غير ختال وقال *

* وذقت مرارة الاشياء جمعا * فطعم امر من السؤال *
 * ولم ار في الخطوب اشد هولاً * واصعب من معاداة الرجال *
 * وقال القاضي التوخي ﴿

* القى العدو بوجهه لاقطوب به * يكاد يقطر من ماء البشاشات *
 * فاحزم الناس من يلقي اعاديه * في جسم حتمد وثوب من مودات *
 * الرفق بين وخير القول اصدقه * وكثرة المزح مفتاح العداوات *
 * وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه ﴿

* لما عفوت ولم احقد على احد * ارحت نفسي من هم العداوات *
 * اتى احبي عدوى عند رؤيته * لادفع الشر عنى بالحيات *
 * واطهر البشر للانسان ابغضه * كأنما قد حشى قلبى محبات *
 * الناس داء دواء الناس قربهم * وفي اعترالهم قطع المودات *

وليس وان كان بتألف الاعداء مأمورا والى مقاربتهم مندوبا ينبغي ان يكون لهم
 رآكنا وبهم واتقابل يكون منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز فان العداوة
 اذا استحكمت في الطباع صارت طبعا لا يستحيل وجبلة لا تزول وانما يستكفي
 بالتألف اظهارها ويستدفع به اضرارها كالنار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد
 به انضاجها وان كانت محرقة بطبع لا يزول وجوه لا يتغير وقال الشاعر

* واذا عجزت عن العدو فداره * وامزح له ان المزاح وفاق *
 * فالنار بالماء الذي هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الاحراق *

﴿ فصل ﴾ واما البر وهو الخامس من اسباب الالفة فلائنه يوصل الى
 القلوب العطايا ويثنيها محبة وانعطافا ولذلك نذب الله تعالى الى التعاون به
 وقرنه بالتقوى له فقال وتعاونوا على البر والتقوى لان في التقوى رضي الله تعالى
 وفي البر رضي الناس ومن جمع بين رضي الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته
 وعت نعمته وروى الاميش عن خبيثة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من
 اساء اليها وحكى ان الله تعالى اوحى الى داود على نبينا وعليه السلام ذكر

عبادى احسانى اليهم ليجبوني فانهم لا يجبون الا من احسن اليهم وانشدنى
ابوالحسن الهاشمى

* الناس كلهم عيا * ل الله تحت ظلاله *

* فاجهم ظرا اليه ابرهم لعيساله *

والبر نوعان صلة ومعروف فاما الصلة فهى التبرع ببذل المال فى الجهات
المحمودة لغير عوض مطلوب وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها
ويمنع منه شحها وابطاؤها قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وروى محمد بن ابراهيم التيمي عن عروة بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال السخى قريب من الله عز وجل قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من
النار والبخيل بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من
النار وقال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رفع الله عن ايك العذاب الشديد
لسخائه وبلغه صلى الله عليه وسلم عن الزبير امسك فجنبت عمامته اليه وقال
يا زبير ان رسول الله اليك والى غيرك يقول انفق انفق عليك ولا تؤل فأول عليك
وروى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت
فيه شمس الا وملكنا يناديان اللهم أعط منقفا خلفا وممسكا تلفا وانزل فى ذلك
القرآن فاما من اعطى واتى وصدق بالحسنى فستيسره اليسرى واما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فستيسره للعسرى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى
من اعطى فيما امر واتى فيما حظر وصدق بالحسنى يعنى بالخلف من عطائه
فعند هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لسادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى
الآخرة الاتقياء وقيل فى منشور الحكم الجود عن موجود وقيل فى المثل سوؤد
بلا جود كمالك بلا جنود وقال بعض الحكماء الجود حارس الاعراض وقال بعض
الادباء من جاد ساد ومن اضعف ازداد وقال بعض الفصحاء جود الرجل يحببه
الى اضداده وبخه يبعثه الى اولاده وقال بعض الفصحاء خير الاموال ما استرق
حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح بن عبد القدوس

* ويظهر عيب المرء فى الناس بخله * ويستتره عنهم جميعا سخاؤه *

* تضط بأثواب السخاء فانى * ارى كل عيب فالسخاء غطاؤه *

وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقة بقدر العطافة
وتدبير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب ان ينسب الى الكرم ينكر حد
السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وان الجود بذل الموجود وهذا
تكلف يفضي الى الجهل بمحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان
للسرف موضعا ولا للتبذير موقعا وقد ورد الكتاب بذهمها وجاءت السنة بالهوى
عنهما واذا كان السخاء محدودا فمن وقف على حده سمي كريما وكان للمحمد
مستحقا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد قال الله تعالى
ولا تحسبن الذين يخولون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم
سيطوفون ما يخولوا به يوم القيامة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال طعام
الجواد دواء وطعام البخيل داء وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول
الشحيح اعذر من الظالم فقال لعن الله الشحيح ولعن الظالم وقال بعض الحكماء
البخل جلاب المسكنة وقال بعض الادباء البخيل ليس له خليل وقال بعض البلغاء
البخيل حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعراء

- * اذا كنت جاعا لمالك ممسكا * فانت عليه خازن وامين *
- * تؤديه مذموما الى غير حامد * فياكاه عفوا وانت دفين *
- وتظاهر بعض ذوى النباهة بحب الثناء مع امسالك فيه فقال بعض الشعراء
- * اراك تؤمل حسن الثناء * ولم يرزق الله ذاك البخيلا *
- * وكيف يسود اخو بطنة * بين كثيرا ويعطى قليلا *
- وقد بينا حب الثناء وحب المال لان الثناء يعث على البذل وحب المال يمنع منه
فان ظهرا كان حب الثناء كاذبا وقد قال بعض الشعراء
- * جمعت امرين ضاع الحزم بينهما * تيه الملوك واخلاق الممالك *
- * اردت شكرا بلا بر ولا صلة * لقد سلكت طريقا غير مسلوكة *
- * ظننت عرضك لم يقرع بقارعة * وما اراك على حال بمترك *
- * لئن سبقت الى مال حظيت به * فاسبقت الى شيء سوى التوك *
- وقد يحدث عن البخل من الاخلاق المذمومة وان كان ذريعة الى كل مذمة اربعة

اخلاق ناهيك بها ذما وهي الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق • فانا
الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب واما الشره فهو
استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة وهذا فرق ما بين الحرص والشره وقد
روى العلاء بن جرير عن ابيه عن سالم بن مسروق قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لا يحزيه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه وقال بعض الحكماء
الشره من غرائب اللؤم واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان
كان بالحائق كان شكاً يؤول الى ضلال وان كان بالمخلوق كان استخانة يصير
بها محتاناً وخواناً لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه فان وجد فيها
خيراً ظنه في غيره وان رأى فيها سوءاً اعتقده في الناس وقد قيل في المثل كل
اياه ينضح بما فيه فان قيل قد تقدم من قول الحكماء ان الحرص سوء الظن
قيل تأويله قلة الاسترسال اليهم لا اعتقاد السوء فيهم واما منع الحقوق فان
نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنادى الى ترك مطلوبها فلا تدع عن الحق
ولا تجيب الى انصاف واذا آل البخيل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومة
والشيم اللثيمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال للانصار من سيدكم قالوا الحر بن قيس على بخل
فيه فقال صلى الله عليه وسلم واتى داء ادوا من البخل قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان قوماً نزلوا بساحل البحر ففكروا بالخلهم
نزول الاضياف بهم فقالوا لبيعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى
الاضياف بعد النساء وتعتذر النساء بعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم
فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء واما السرف والتبذير فان من زاد على
حد السخاء فهو مسرف ومبذر وهو بالذم جدير وقد قال الله تعالى ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عال من
اقتصد وقد قال المؤمن رحمه الله لا خير في السرف ولا سرف في الخير وقال
بعض الحكماء صديق الرجل قصده وسرفه عدوه وقال بعض البلغاء لا كثير
مع اسراف ولا قليل مع احتراف واعلم ان السرف والتبذير قد يفرق معناهما
فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما

مذموم وذم التبذير اعظم لان السرف يخطى في الزيادة والبذر يخطى في الجهل
ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله واخطأها فهو كمن جهلها بفعله فتعدها
وكا انه بتبذيره قد يضع الشيء في غير موضعه فهكذا قد يعدل به عن موضعه لان
المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق وغير حق وقد قال معاوية رضي
الله عنه كل سرف فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء ما
لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد وقال سفيان الثوري رضي الله عنه الحلال لا يحتمل
السرف وليس يتم السخاء بئذ ما في يده حتى تسخو نفسه عما يد غيره فلا يميل
الى طلب ولا يكف عن بذل وقد حكى ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم الخليل
على نبيا وعليه السلام أتدري لما اتخذت خليلي قال لا يارب قال لاني رأيتك
تحب ان تعطى ولا تحب ان تأخذ وروى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه
قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مرني بعمل يحبني
الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي
الناس يحبك الناس وقال ايوب السخنياني لا يبدل الرجل حتى يكون فيه خصلتان
العفة عن اموال الناس والتجاوز عنهم وقيل لسفيان ما الزهد في الدنيا قال
الزهد في الناس وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بني استقل الكثير مما تعطى
واستكثر القليل مما تأخذ فان قره عيون الكرام في الاعطاء وسرور اللثام في
الاخذ ولا تعد الشحيح امينا ولا الكذاب حرافة لا عفة مع الشحيح ولا مروءة مع
الكذب وقال بعض الحكماء السخاء سخاء ان اشرفهما سخاؤك عما يد غيرك
وقال بعض البلغاء السخاء ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وقال بعض
الصالحاء الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود وقال بعض الشعراء

* اذا لم تكن نفس الشريف شريفة * وان كان ذا قدر فلايس له شرف *
والبذل على وجهين احدهما ما ابتدأ به الانسان من غير سؤال والثاني ما كان عن
طلب وسؤال فاما المبتدئ به فهو اذ بهما سخاء واشرفهما عطاء وسئل علي
كرم الله وجهه عن السخاء فقال ما كان منه ابتداء ما كان عن مسألة فحياء
وقال بعض الحكماء اجل النوال ما وصل قبل السؤال وقال بعض الشعراء

* وفتي خلا من ماله * ومن المزومة غير نخل *

* اعطاك قبل سؤاله * وكفالك مكروه السؤال *
 وهذا النوع من البذل قد يكون لتسعة اسباب ❖ فالسبب الاول ❖ ان يرى
 خلة يقدر على سدها وفاقه يتمكن من ازالتها فلا يدعه الكرم والتدين الا ان
 يكون زعيم صلاحها وكفيل نجاحها رغبة في الاجر ان تدين وفي الشكر ان
 تكرم وقال ابو العتاهية

* ما الناس الا آلة معتملة * للخير والشر جميعا فعلة *
 ❖ والسبب الثاني ❖ ان يرى في ماله فضلا عن حاجته وفي يده زيادة عن
 كفايته فيرى انتهاز الفرصة بها فيضعها حيث تكون له ذخرا معدا وغنا
 مستجدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله ما انصفك من كلفك اجلاله ومنعك
 ماله وقيل لهند بنت الحسن من اعظم الناس في عينك قالت من كان لي اليه
 حاجة وقال الشاعر

* وما ضاع مال ورث الحمد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع *
 ❖ والسبب الثالث ❖ ان يكون لتعريض يتنبه عليه لفظته واشارة يستدل
 عليها بكرمه فلا يدعه الكرم ان يغفل ولا الحياء ان يكف وقد حكى ان رجلا
 سائر بعض الولاة فقال ما اهزل برؤوك فقال يده مع ايدينا فوصله اکتفاء بهذا
 التعريض الذي يبلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ولذلك قال اكثر بن صفي السخاء
 حسن الفطنة واللؤم سوء التعاضل وحكى ان عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة
 المعتضد كتب اليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

* ابى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * واسفنا فمين نحب ونكرم *
 * فقلت له نعماك فيهم اتعها * ودع امرنا ان المهم مقدم *
 فقال عبيد الله ما احسن ما شكا امره بين اضعاف مدحه وقضى حاجته وقال
 بعض الشعراء

* ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها * رأى طلب المستجدين ثقيلًا *
 ❖ والسبب الرابع ❖ ان يكون ذلك رماية ليد او جزاء على صنعة فيرى
 تأدية الحق عليه طوعا اما انفة واما شكرا ليكون من اسر الامتثال طليقا ومن

رق الاحسان وعبوديته عتيقا قال بعض الحكماء الاحسان رِق والمكافأة عتق
وقال ابو العتاهية رجه الله تعالى

* وليست اياذى الناس عندي غنيمه * ورب يد عندي اشد من الاسر *
* والسبب الخامس * ان يؤثر الاذعان بتقديمه والاقرار بتعظيمه توطيدا
لرئاسة هو لها محب وعلى طلبها مكب وقد قال الشاعر

* حب الرئاسة داء لا دواء له * وقل ما تجدد الراضين بالقسم *
فستصعب عليه اجابة النفوس له طوعا الا بالاستعطاف واذعانها له الا بالارغبة
والاسعاف وقد قال بعض الادباء بالاحسان يرتبط الانسان وقال بعض البلغاء
من يدل ماله ادرك آماله وقال بعض الشعراء

* أترجوان تسود بلا عناء * وكيف يسود ذو الدعة الخليل *
* والسبب السادس * ان يدفع به سطوة اعدائه ويستكف به نفاق خصمائه
لصبروا له بعد الخصومة اعوانا وبعد العداوة اخوانا اما لصيانة عرض واما
لحراسة مجد وقد قال ابو تمام الطائي

* ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرئ والدرهم *
* ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم في الاقوام وهى مفتاح *
وقال بعض الادباء من عظمت مرافقه اعظمه مرافقه * والسبب السابع * ان
يرب به سالف صنيعه اولاهما ويراعى به قديم نعمته اسداها كيلا ينسى ما اولاه
او يضاع ما اسداه فان مقطوع البر ضائع ومهمل الاحسان ضال وقد قال
الشاعر

* وسمت امرءا بالبر ثم اطرحته * ومن افضل الاشياء رب الصنائع *
* وقال محمد بن داود الاصبهاني *

* بدأت بنعمى اوجبت لى حرمة * عليك فعد بالفضل فالعود احد *
* والسبب الثامن * المحبة يؤثر بها المحبوب على ماله فلا يرضن عليه بمرغوب
ولا يتنفس عليه بمطلوب للذة التى هى عنده احظى والى نفسه اشهى لان
النفس الى محبوبها اشوق والى ما يليه اسبق وقد قال الشاعر
* فا زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى * الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل *

وهذا وان دخل في اقسام العطاء فخرج عن حد السخاء وهكذا الخامس والسادس من هذه الاسباب وانما ذكرناها لدخولها تحت اقسام العطاء ❖ والسبب التاسع ❖ وليس بسبب ان يفعل ذلك لغير ما سبب وانما هي سجية قد فطر عليها وشية قد طبع بها فلا يميز بين مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم كما قال بشار

* ليس يعطيك للرجاء ولا للخوف لكن يلذ طعم العطاء *
وقد اختلف الناس في مثل هذا هل يكون منسوباً الى السخاء فيحمد او خارجاً عنه فيذم وقال قوم هذا هو السخى طبعاً والحواد كراماً وهو احق من كان به مدوحاً واليه منسوباً وقال ابو تمام

* من غير ما سبب بدني كفي سيباً * للحر ان يجتدي حراً بلا سبب *
وقال الحسن بن سهل اذا لم اعط الامستحقاً فكأنى اعطيت غريباً وقال الشرف في السرف فقيل له لا خير في السرف فقال ولا سرف في الخير وقال الفضل بن سهل العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقال بشار

* وما الناس الا صاحبك فتهم * سخى ومغلول اليد من البخل *
* فساح يدا ما امكنتك فانها * تقل وتثرى والعوائل في شغل *
وقال آخرون هذا خارج من السخاء المحمود الى السرف والتبذير المذموم لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب لان المال يقل عن الحقوق ويقصر عن الواجبات فاذا اعطى غير المستحق فقد يمنع مستحقاً وما يناله من الذم يمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد لاعطاء غير المستحق وحسبك ذماً بمن كانت افعاله تصدر عن غير تمييز وتوجد لغير علة وقد قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً فنهى عن بسطها سرفاً كما نهى عن قبضها بخلاً فدل على استواء الامرين ذماً وعلى اتفاهما لوماً وقال الشاعر

* وكان المال يا أيها فكنا * نبذره وليس لنا عقول *
* فلما ان تولى المال عنا * عقلنا حين ليس لنا فضول *
قالوا ولان العطاء والمنع اذا كانا لغير علة افضيا الى ذم المنوع وقلة شكر

المعطي اما المنوع فلائنه قد فضل عليه من سواه واما المعطي فانه وجد ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعافا فصار ذلك مفضيا الى اجتلاب الذم واحباط الشكر وليس فيما افنى الى واحد منهما خير يرجى وهو جدير ان يكون شرا يتق ولئلا هذا كان منع الجميع ارضاء للجميع وعطاء يكون المنع ارضى منه خسران مبين فاما اذا كان البذل والعطاء عن سؤال فشرطه معتبرة من وجهين احدهما في السائل والثاني في المسئول فاما ما كان معتبرا في السائل فثلاثة شروط ﴿ فالشرط الاول ﴾ ان يكون السؤال لسبب والطلب لموجب فان كان لضرورة ارتفع عنه الحرج وسقط عنه اللوم وقد قال بعض الحكماء الضرورة توقع الصورة وقال بعض الشعراء

* ألا قبح الله الضرورة انهما * تكلف اعلى الخلق ادنى الخلائق *
 * والله در الاتساع فانه * بين فضل السبق من غير سابق *
 ﴿ وقال الكمي ﴾

* اذا لم تكن الا الالسة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها *
 فان ارتفعت الضرورة ودعت الحاجة فيما هو اولى الامر ان يكون وان جاز ان لا يكون فالنفس المسامحة تغلب الحاجة وتسمح في الطلب وتراعى ما استقام به الامر وان ناله ذل ولحقه وهن فيأول صاحبها قول البحترى
 * وربما كان مكروه الامور الى * محبوبها سببا ما مثله سبب *

والنفس الشريفة تطلب الصيانة وتراعى الزاهاة وتحتل من الضر ما احتملت ومن الشدة ما طافت فيبقى تحملها ويدوم تصونها فتكون كما قال الشاعر
 * وقد يكتسى المرء خذ الثيا * ب ومن دونها حالة مضنيه *
 * كما يكتسى خده حرة * وعلته ورم في الريه *
 فلا يرى ان يتدنس بمطالب الشؤم ومطامع الأؤم فان البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه قال الشاعر

* وليس الليث من جوع بغاد * على جيف تطيف بها الكلاب *
 فكيف بالإنسان الفاضل الذي هو اكرم الحيوان جنسا واشرفه نفسا هل يحسن

به ان يرى لوحش اليهائم عليه فضلا وقد قال الشاعر

* على كل حال يأكل المرء زاده * على البؤس والضرآء والحدثان *
والفضل في مثل ما قيل لبعض الزهاد لو سألت جارك اعطاك فقال والله ما اسأل
الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها ووصف بعض الشعراء قوما فقال
* اذا افتقروا اغضوا على الضر خشية

* وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر
فاما يسأل من غير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم ومحض
الدناءة وقلنا نجد مثله لمحوظا او ممولا محظوظا لان الحرمان قاده الى اضيق
الارزاق واللؤم ساقه الى اخبث المطاعم فلم يبق لوجهه ماء الا اراقه ولا ذل
الاذاه كما قال عبد الصمد بن المعدل لابي تمام الطائي

* انت بين اثنتين تبرز لنا * س وكلناهما بوجه مذل
* لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب او طالبا لنوال
* اى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال
ولو استعج العار وانف من الذل لوجد غير السؤال مكتسبا يموهه ولقد ر على ما
بصونه وقد قال الشاعر

* لا تطلبن معيشة بتذل * فليأتينك رزقك المقدور
* واعلم بانك آخذ كل الذى * لك فى الكتاب مقدر مسطور

❖ والشرط الثانى ❖ من شروط السؤال ان يضيق الزمان عن ارجائه
ويقتصر الوقت عن ابطائه فلا يجد لنفسه فى التأخير فسحة ولا فى التماهى مهلة
فيصير من المعذورين وداخلا فى عداد المضطرين فاما اذا كان الوقت متسعا
وازمان ممتدا فتجمل السؤال لؤم وقنوط وقال الشاعر

* ابى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى ان لا عسر الا مفرج
* الا ربما ضاق الفضاء باهله * وامكن من بين الاسنة مخرج

❖ والشرط الثالث ❖ اختيار المسئول ان يكون مرجو الاجابة مأمول
النجح اما حرمة السائل او كرم المسئول فان سأل لثيما لا يرعى حرمة ولا يولى
مكرمة فهو فى اختياره ملوم وفى سؤاله محروم وقد قال بعض البلغاء

المخذول من كانت له الى اللئام حاجة وقد قال بعض البلغاء اذل من اللئيم سائله
واقبل من البخيل نائله وقال بعض الشعراء

* من كان يؤمل ان يرى * من ساقط نيلا سنيا *

* فلقدرجى ان يجتنى * من عوسج رطبا جنيا *

واما الشروط المعبرة في المسئول فثلاثة ﴿ الشرط الاول ﴾ ان يكتبني
بالتعريض ولا يلجئ الى السؤال الصريح ليصون السائل عن ذل الطلب فان
الحال ناطقة والتعريض كاف وقد قال الشاعر

* اقول وسر الدجى مسبل * كما قال حين شكى الضفدع *

* كلامي ان قلته ضائع * وفي الصمت حتى فما اصنع *

وربما فهم المسئول الاشارة فالجأ الى التصريح بالعبارة نهجينا للسائل فينجل
ويستحي فيكيف كما قال ابو تمام

* من كان مقفود الحياء فوجهه * من غير بواب له بواب *

﴿ والشرط الثاني ﴾ ان يلقي بالبشر والترحيب ويقابل بالطلاقة والتقريب

ليكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع وقد قال بعض الحكماء الق صاحب

الحاجة بالبشر فان عدمت شكره لم تعدم عذره وقال ابن لثك ان ابا بكر

ابن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة فلم يقضها له وظهر له منه ضمير فقال

* لا تدخلنك ضجرة من سائل * فلخير دهرك ان ترى مسئولا *

* لا تجبهن بالرد وجهه مؤمل * فبقاء عزك ان ترى مأمولا *

* تلقى الكريم فتستدل بيشره * وترى العبوس على اللئيم دليلا *

* واعلم بانك عن قليل صائر * خيرا فكن خيرا بروق جيلا *

﴿ والشرط الثالث ﴾ تصديق الامل وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله وحال

سائله فانها لا تخلو من اربع احوال فالحال الاول ان يكون السائل مستوجبا

والمسئول متمكنا فالاجابة ههنا تستحق كرما وتستلزم مروءة وليس للرد سبيل الا

لمن استولى عليه البخل وهان عليه الذم فيكون كما قال عبد الرحمن بن حسان

* انى رأيت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا *

* فاذا تذكرت المكارم مرة * في مجلس انتم به فتغنصوا *

فعود بالله من حرم ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا في صنيع
مشكور وبر مذخور وقد قيل للبخل لما حبست مالك قال للنواب فقيل له قد
نزلت بك وقال بعض الشعراء

* مالك من مالك الا الذي * قدمت فابذل طائعا مالكا *

* تقول اعمالى ولو قتشوا * رأيت اعمالك اعمى لك *

وقد اسقط حق نفسه ورفع اسباب شكره فصار بان لاحق له مذموما كمشكور
ومأثوما كأجور وقال ابو العتاهية

* خزن البخل على صالحه * اذ لم يتقبل به ظهري *

* ما فاتني خير امرئ وضعت * عنى يدها مؤنة الشكر *

فاذا لم يكن للرد في مثل هذه الحال سبيل نظر فان كان التأخير مضرا بحمل بذله
وقطع مطلقه وكانت اجابته فعلا وقوله عملا وقد قالت الحكماء من مروءة
المطلوب منه ان لا يلجئ الى الخاح عليه وقال محمد بن حازم

* ومنتظر سؤالك بالعطايا * واشرف من عطاياه السؤال *

* اذا لم يأتك المعروف طوعا * فدعه فالتززه عنه مال *

وان كان في الوقت مهلة وفي التأخير فسحة فقد اختلفت مذاهب الفضلاء فيه
فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولاً ثم يعقبه الانجاز فعلا ليكون
السائل مسرورا بتعجيل الوعد ثم بأجل الانجاز ويكون المستؤل موصوفا بالكرم
ملحوظا بالوفاء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العدة عطية وقال
الفضل بن سهل لرجل سأله حاجة اعدك اليوم واحبوك غدا بالانجاز لتذوق
حلاوة الامل وآزين بثبوت الوفاء ووعد يحيى بن خالد رجلا بحاجة سأله اياها
فقيل له تعد وانت قادر فقال ان الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبه بحجة
لم يجد سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام وليس من فاجأه الطعام كمن يجد
ريحه ويطعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون لها طعم عند المصطنع اليه
وقال بعض البلغاء اذا احسنت القول فاحسن الفعل ليجمع لك ثمرة اللسان وثمره
الاحسان ولا تقل ما لا تفعل فإك لا تخلو في ذلك من ذنب تكسبه او عجز

تلتزمه ومنهم من ذهب الى ان تعجيل البذل فعلا من غير وعد اولى وتقديمه من غير توقيت ولا انتظار اخرى وانما يقدم الوعد احد رجلين اما معوز ينتظر وجده واما شحيح يروض نفسه توطئة وليس للوعد في غير هاتين الحالتين وجه يصح ولا رأى يتضح مع ما يفيره الليل والنهار وتقلب به الحال من يسار واعسار وقال بعض الشعراء

* يا ابها الملك المقدم امره شرقا وغربا *
 * امن بختهم صحيفتي * مادام هذا الطين رطبا *
 * واعلم بان جفافه * مما يعيد السهل صعبا *
 قالوا ولان في الرجوع عنه من الانكسار وفي توقع الوعد من حرارة الانتظار وفي العود اليه من بذلة الاقتضاء وذلة الاجتداء ما يكدر بزه ويوهن شكره وقال الشاعر

* ان الخواج ربما ازرى بها * عند الذي تقضى له تطويلها *
 * فاذا ضمننت لصاحب لك حاجة * فاعلم بان تمامها تعجيلها *
 ❖ والحال الثانية ❖ ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول غير متمكن في الرد فسخة وفي النع عذر غير انه يلين. عند الرد ليناقيه الذم ويظهر عذرا يدفع عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا معذور ينصف وقد قال ابو العتاهية يصف الناس

* يارب ان الناس لا ينصفونني * فكيف وان انصفتهم ظلوني *
 * فان كان لى شئ تصدوا لآخذه * وان جئت ابني شأهم منعوني *
 * وان نالهم بذل فلا شكر عندهم * وان انا لم ابذل لهم شتموني *
 * وان طرفتي نكبة فكهوا بها * وان صحبتني نعمة حسدوني *
 * سامع قلبي ان يحسن اليهم * وانحس عنهم ناظري وجفوني *
 * واقطع ايلي يوم سهولة * اقضى بها عمري ويوم حزون *
 * ألا ان اصفي العيش ما طلب غبه * وما نلته في لذة وسكون *

❖ والحال الثالثة ❖ ان يكون السائل مستوجبا والمسئول غير متمكن فيأتى بالحل على النفس ما امكن من يسير يسد به خلة او يدفع به مذمة او يوضح من اعذار

المعوزين وتوجع المتألمين ما يجعله في المنع معذورا وبالتوجع مشكورا وقد قال
ابو النصر الغنوي رحمه الله تعالى

* الله يعلم اني لست ذا بخل * ولست ملتسما في البخل لي عللا *
* لكن طاقه مثلي غير خافية * والنمل يعذر في القدر الذي حلا *
وربما تحسر بحدوث العجز بعد تقدم القدرة على فوت الصنيعة وزوال العادة

حتى صار اضني جسدا وازيد كندا كما قال الشاعر

* وكنت كباز السوء قص جناحه * يرى حسرات كلما طار طائر *

* يرى طائرات الجو تخفق حوله * فيذكر اذ ريش الجناحين وافر *

والحال الرابعة * ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكنا وعلى
البذل قادرا فينظر فان خاف بالرد قدح عرض او قبح هجاء ممض كان

البذل مندوبا صيانة لاجودا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وان امن من ذلك وسلم منه فمن الناس من

غلب المسألة وامر بالبذل لئلا يقابل الرجاء بالخيبة والامل بالاياس ثم لما فيه من
اعتياد الرد واستسهال المنع المفضي الى الشح وانشد الاصمعي عن الكسائي

* كأنك في الكتاب وجدت لاء * محرمة عليك فلا تحمل *

* فأتدري اذا اعطيت مالا * أيكتر من سماحك ام يقل *

* اذا حضر الشتاء فانت شمس * وان حضر المصيف فانت ظل *

ومن الناس من اعتبر الاسباب وغلب حال السائل ونذب الى المنع اذا كان
العطاء في غير حق ليقوى على الحقوق اذا عرضت ولا يعجز عنها اذا لزم

وتعنت وقد قال بعض الشعراء

* لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل *

* انما الجود ان تجود على من * هو للجود والندي منك اهل *

فاما من اجاب السؤال ووعد بالبذل والنوال فقد صار بوعده مرهونا وصار
وفاؤه بالوعد مقرونا فالاعتبار بحق السائل بعد الوعد ولا سبيل الى مراجعة

نفسه في الرد فيستوجب مع ذم المنع لؤم البخل ومقت القادر وهجنة الكذب
ثم لا سبيل لطله بعد الوعد لما في المطل من تكدير الصنيع وتحقيق الشكر

والعرب تقول في امثالها المطل احد المنعين واليأس احد النجحين وقال بشار

ابن برد

* اظلت علينا منك يوما غمامة * اضاءت لنا برقا وابطارشاشها *
 * فلا غيمها يجلي فيأس طامع * ولا غيشها يأتي فيروى عطاشها *
 ثم اذا انجز وعده واوفى عهده لم يتبع نفسه ما اعطى ويسر ان كانت يده
 العليا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وقال

الشاعر

* فإك لا تدري اذا جاء سائل * أنت بما تعطيه ام هو اسعد *
 * عسى سائل ذو حاجة ان منعه * من اليوم سؤالا ان يكون له غد *

وليكن من سروره اذ كانت الارزاق مقدره ان تكون على يده جارية ومن جهته
 واصله لا تنقل عنه بمنع ولا تحول عنه بياس وحكى ان رجلا شكا كثرة عياله
 الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس رزقه على الله عز وجل فحوله
 الى منزلي وقال ابن سيرين زجل كان يأتيه على دابة ففقد الدابة ما فعل بردونك
 قال اشدت على مؤنته فبعته قال أفتراه خلف رزقه عندك وقال ابن الرومي

رحمه الله

* ان لله غير مرعاك مرعى * يرتعيه وغير مائك ماء *
 * ان لله بالبرية لطفًا * سبق الامهات والآباء *

ثم ليكن غالب عطائه لله تعالى وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله عز وجل كالذي
 حكاه ابو بكره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان اعرايا اتاه فقال

* يا عمر الخير جزيت الجنة * اكس بنياتي وامهته *
 * وكن لنا من الزمان جنه * اقسام بالله لتفعلنه *

فقال عمر رضى الله عنه فان لم افعل يكون ماذا فقال

* اذا ابا حفص لاذهبنه *

فقال فاذا ذهبت يكون ماذا فقال

* يكون عن حالى لتسألته * يوم تكون الاعطيات ثنه *

* وموقف المسئول بينهنه * اما الى نار واما جنه *

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيتيه ثم قال يا غلام أعطه قيصى هذا
 لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره، واذا كان العطاء على هذا الوجه خلا
 من طلب جزاء وشكر وعرى عن امتنان ونشر فكان ذلك اشرف للباذل واهناً
 للقابل واما المعطى اذا التمس بعطائه الجزاء وطلب به الشكر والثناء فهو خارج
 بعطائه عن حكم السخاء لانه ان طلب به الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء
 وفي هذين من الذم ما ينافى السخاء وان طلب به الجزاء كان تاجراً مترجماً لا يستحق
 حداً ولا مدحاً وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى ولا تمن
 تستكثر انه لا يعطى عطية يلتبس بها افضل منها وكان الحسن البصرى رضى
 الله عنه يقول فى تأويل ذلك لا تمن بعملك تستكثر على ربك وقل ابو الغنايمية
 * وليست يد اوليتها بغنيمة * اذا كنت ترجو ان تعد لها شكراً *
 * غنى المرء ما يكفيه من سد حاجة * فان زاء شيئاً عاد ذلك الغنى فقراً *
 واعلم ان الكرم يجتدى بالكرامة والالطف واللين يجتدى بالهانة والعنف
 فلا يجوز الاخوف ولا يجب الاعناق كما قد قال الشاعر
 * رأيتك مثل الجوز يمنع ابيه * محبباً ويعطى خيره حين يكسر *
 فاحذر ان تكون المهانة طريقاً الى اجتنائك والخوف سبيلاً الى اعطائك فيجربى
 عليك سفه الطعام وامتهان الثام ولا يكن جودك كرمًا ورغبة لا تؤما ورهبة كيلا
 يكون مع الوصمة كما قال العباس بن الاحنف

* صرت كأنى ذبالة نصبت * تضى للناس وهى تترق *

واما النوع الثانى من البر فهو المعروف ويتنوع ايضا نوعين قولاً وعملاً فلما
 القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول وهذا يبعث
 عليه حسن الخلق ورقة الطبع ويجب ان يكون محدوداً كالسخاء فانه ان اسرف
 فيه كان ملتما مذموماً وان توسط واقتصد فيه كان معروفاً وبرا محموداً وقد قال
 ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك
 ثواباً وخير املاً انهما الكلام الطيب وكان سعيد بن جبير يتأول انها الصلوات
 الخمس وروى سعيد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم

لن تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق وروى
 ان النبي صلى الله عليه وسلم انشد عنده قول الاعرابي هذا
 * وحتى ذوى الاثمان تسب قلوبهم * تحببك الحسنى فقد يرفع النعل *
 * فان دحسوا بالمر فاعفوتك * وان حبسوا عنك الحديث فلا تسل *
 * فان الذى يؤذيك منه سماعه * وان الذى قالوا ورائك لم يقل *
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر الحكمة وان من البيان لسحرا وقيل
 للعتابي انك تلقى العامة ببشر وتقريب قال دفع صنيعه بايسر مؤنة واكتساب
 اخوان بايسر مبذول وقيل فى مشور الحكم من قل حياؤه قل احباؤه وقال بعض
 الشعراء

* بنى ان البر شئ هين * وجه ظليق وكلام لين *

❀ وقال بعضهم ❀

* المرء لا يعرف مقداره * ما لم تبين للناس افعاله *

* وكل من يعنى بشره * فضل ما ينفعنى ماله *

واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة فى النائة وهذا يبعث عليه

حب الخير للناس وايثار الصلاح لهم وليس فى هذه الامور سرف ولا لغايتها

حد بخلاف النوع الاول لانها وان كثرت فهى افعال خير تعود بنفعين نفع على

فاعلمها فى اكتساب الاجر وجيل الذكر ونفع على المعان بها فى التخفيف عنه

والمساعدة له وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

كل معروف صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم صنائع المعروف تقي مصارع

السوء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال المعروف كاسمه واول من يدخل الجنة

يوم القيامة المعروف واهله وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه لا يزهدنك

فى المعروف كفر من كفره فقد يشكر الشاكر باضعاف جمود الكافر وقال الخطيب

* من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

❀ وانشد الرياشي ❀

* يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور ام شكور *

* ففى شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور *

فينبغي لمن يقدر على ابتداء المعروف ان يجعله حذر فواته ويبادر به خيفة عجزه
وليعلم انه من فرص زمانه وغنائم امكانه ولا يهمله ثقة بقدرته عليه فكم
وائق بقدره فاتت فاعقبت ندما ومعول على مكنة زالت فاورثت خجلا وقد قال
الشاعر

* ما زلت اسمع كم من وائق خجلا * حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا *
ولو فطن لنوائب دهره وتحفظ من عواقب مكره لكانت مغامره مذخورة
ومغامره مخبورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ
ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح وقيل لانوشروان ما اعظم المصائب عندكم
فقال ان تقدر على المعروف ولا تصطنعه حتى يفوت وقال عبد الحميد من اخر
الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها وقال بعض الشعراء

* اذا هبت رياحك فاعثمتها * فان لكل خافقة سكون *
* ولا تغفل عن الاحسان فيها * فا تدرى السكون متى يكون *
* وان درت نياقك فاحتلبها * فا تدرى الفصيل لمن يكون *
وروى ان بعض وزراء بني العباس مطل راغبا اليه في عمل يستكفيه اياه فكتب
اليه بعد طول المطل به .

* أما يدعوك طول الصبر منى * على استئاف منفعتي وشغلي *
* وعلمك ان ذا اللسطان غاد * على خطرين من موت وعزل *
* وانك ان تركت قضاء حقى * الى وقت التفرغ والتخلي *
* ستصبح نادما اسفا معزى * على فوت الصنيعة عند مثلى *

وكتب بعض ذى الحرمان الى وال قد قصر في رعاية حرمة يقول
* أعلى الصراط تريد رعية حرمتى * ام في الحساب تمن بالانعام *
* للنفع في الدنيا اردت ان تانتبه * لحوائجى من رقدة النوم *
وكتب ابو على البصير الى بعض الوزراء وقد اعتذر اليه بكثرة الاشغال يقول
* لنا كل يوم نوبة قد نوبها * وليس لنا رزق ولا عندنا فضل *
* فان تعذر بالشغل عنا فانما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل *
واعلم ان للمعروف شروطا لا يتم الا بها ولا يكمل الامعها فمن ذلك ستره عن

اذاعة يستطيل لها واخفاؤه عن اشاعة يستدل بها قال بعض الحكماء اذا
اصطنعت المعروف فاستره واذا صنع اليك فأنشره ولقد قال دعبل الخزاعي
* اذا انتقموا اعلاوا امرهم * وان انعموا انعموا باكتسام *
* يقوم القعود اذا اقبلوا * وتقعده هيتهم بالقياس *
على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعي نشره لما جبلت
عليه النفوس من اظهار ما خفي وعلان ما كتم وقال سهل بن هارون
* خل اذا جتته يوما لتسأله * اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا *
* يخفي صناعه والله يظهرها * ان الجليل اذا اخفيه ظهرا *
ومن شروط المعروف تصغيره عن ان يراه مستكبرا وتقليله عن ان يكون مستكثرا
لئلا يصير به مدلا بطرا ومستطيلا اشرا وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنه لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره فاذا مجلته هأنه واذا
صغره عظمته واذا سترته آتمته وقال بعض الشعراء

* زائدك المعروف عندي عظما * انه عندك ميسور حقير *
* وتناسيت كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهور خطير *

ومن شروط المعروف مجانبية الامتان به وترك الاعجاب بفعله لما فيهما من اسقاط
الشكر واحباط الاجر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم
والامتان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويحقق الاجر ثم تلا ولا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل فعلت اليك وفعلت فقال ابن
سيرين اسكت فلا خير في المعروف اذا احصى وقال بعض الحكماء المن مفسدة
الصنيعة وقال بعض الادباء كدر معروفا امتنان وضع حسب امتهان
وقال بعض البلغاء من من بمعروفه اسقط شكره ومن اعجب بعمله احبط
اجره وقال بعض الفصحاء قوة المن من ضعف المن وقال بعض الشعراء

* افسدت بالمن ما اسديت من حسن * ليس الكريم اذا اسدى بمنان *

﴿ وقال ابو نواس ﴾

* فامض لا تمنن على يدا * منك المعروف من كدره *
* وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه *

- * لا تحمّلن لمن يمين من الانام عليك منه *
- * واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جنة *
- * من الرجال على القلوب * ب اشد من وقع الاسنة *

ومن شروط المعروف ان لا يحتقر منه شيئا وان كان قليلا نورا اذا كان الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا فان من حقر بسيره فنع منه عجزه ككثيره فامتنع عنه وبفعل قليل الخير افضل من تركه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمتنع من المعروف صغيره وقال عبد الله بن جعفر لا تستحي من القليل فان النع اقل منه ولا تجبن عن الكثير فانك اكثر منه وقال الشاعر

- * اعمل الخير ما استطعت وان كان قليلا فلن تحيط بكلمه *
- * ومضى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقبله *
- علي ان من المعروف ما لا كلفة على موليه ولا مشقة على مسديه وانما هو جاه يستظل به الادنى ويرتفق به التابع وقال الشاعر
- * ظل الفتى ينفع من دونه * وما له في ظله حظ *

واعلم انك لن تستطيع ان يسع جميع الناس معروفك ولا ان توليهم احسانك فاعتمد بذلك اهل الفضل منهم والحفاظ واقصد به ذوى الرعاية والوداد ليكون معروفك فيهم ناميا وصنيعك عندهم زاكيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنفع الصنعة الا عند ذي حسب ودين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه في اهل الحفاظ وقال حسان ابن ثابت رضى الله عنه

- * ان الصنعة لا تكون صنعة * حتى يصاب بها طريق المصنع *
- * فاذا صنعت صنعة فاجعل بها * لله او لنوى القرابة او دع *
- وقيل في منشور الحكم لا خير في معروف الى غير عرف وقد ضرب الشاعر به مثلا فقال
- * كحمار السوء ان اشبعته * رمح الناس وان جاع نهق *

وقال

وقال بعض الحكماء على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس فاخذه بعض الشعراء فقال

* لعبرك ما المعروف في غير اهله * وفي اهله الا كجعض الودائع *
 * فستودع ضاع الذي كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع *
 * وما الناس في شكر الصنعة عندهم * وفي كفرها الا كجعض المزارع *
 * فزرعة طابت واضعف نبتها * ومزرعة اكدت على كل زارع *
 واما من اسدى اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد صار باسر المعروف
 موثوقا وفي ملك الاحسان مرقوقا ولزمه ان كان من اهل المكافاة ان
 يكافئ عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره
 فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اودع معروفا فليشره فان
 نشره فقد شكره وان كتمه فقد كفره وروى الزهري عن عروة عن عائشة
 رضی الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل
 بهذين البيتين

* ارفع ضعيفك لا يخونك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قدما *
 * يحزبك او يثني عليك وان من * اثني عليك بما فعلت فقد جزى *
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردى علي قول اليهودي قاتله الله لقد اتاني
 جبرائيل برسالة من ربي تعالى ايمارجل صنع الى اخيه صنعة فلم يجد لها
 جزاء الا الدماء والثناء فقد كافاه وقيل في مشور الحكم الشكر قيد النعم وقال
 عبد الحميد من لم يشكر الانعام فاعده من الانعام وقيل في مشور الحكم قيمة
 كل نعمة شكرها وقال بعض الحكماء كفر النعم من امارات البطر واسباب
 الغير وقال بعض الفقهاء الكرم شكور او مشكور والثلثم كفور او مكفور
 وقال بعض البلغاء لا زوال للنعمة مع الشكر ولا بقاء لها مع الكفر وقال بعض
 الادباء

* شكر الاله بطول الشاء * وشكر الولاة بصدق التواء *
 * وشكر النظير بحسن الجزاء * وشكرك الدون بحسن العطاء *

❖ وقال بعض الشعراء ❖

* فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لعزة ملك او غلو مكان *

* لما امر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لى ايها الثقلان *

فان من شكر معروف من احسن اليه ونشر افضال من انعم عليه فقد ادى حق النعمة وقضى موجب الصنيعة ولم يبق عليه الا استدامة ذلك انما لشكره ليكون للمزيد مستحقا ولتابعة الاخسان مستوجبا حتى ان الحجاج اتى اليه بقوم من الخوارج وكان فيهم صديق له فامر بقتلهم الا ذلك الصديق فانه عفا عنه واطلقه ووصله فرجع الرجل الى قطرى بن الفجاءة فقال له عد الى قتال عدو الله فقال هيات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها وانثأ يقول

* أقاتل الحجاج فى سلطانه * بيد تقرب بانها مولاته *

* انى اذا لاخو الدناءة والذى * شهدت بافمح فعله غدرا ته *

* ما ذا اقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحببت له فعلاته *

* أقول جار على لا انى اذا * لاحق من جارت عليه ولاته *

* وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لى فخطلت نخلاته *

وقيل فى مشور الحكم المعروف رق والمكافأة عتق ومن اشكر الناس الذى يقول

* لا اشكرنك معروفا هممت به * ان اهتمامك بالمعروف معروف *

* ولا الومك ان لم يمضه قدر * فالشىء بالقدر المحتوم مصروف *

وهذا النوع من الشكر الذى يتعجل المعروف ويتقدم البر قد يكون على وجوه فيكون تارة من حسن الثقة بالمشكور فى وصول بره واسداء عرفه ولا رأى لمن يحسن به ظن شاكر ان يخلف حسن ظنه فيه فيكون كما قال العنابى

* قد ادوقت فىك آمالى بوعدك لى * وليس فى ورق الآمال لى ثمر *

وقد يكون تارة من فرط شكر الراجى وحسن مكافأة الآمل فلا يرضى لنفسه الا بتجميل الحق واسلاف الشكر وليس لمن صادق لمعرفه معدنا زاكيا ومغرسا تاميا ان يفوت نفسه غنما ولا يحرمها ربحا فهذا وجه ثان وقد يكون تارة ارتهاانا للآمال وحبا للمستول وبحسب ما اسلف من الشكر يكون الذم عند اليايس وقال

بعض الادباء من حكماء المتقدمين من شكرك على معروف لم تسده اليه فعاجله بالبر
والانعكس فصار ذما وقال ابن الرومي

* وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجيا ينسب الى بعض *
* فحيث ترى حقدا على ذى اساءة * فثم ترى شكرا على حسن القرض *
* اذا الارض ادت ربيع ما انت زراع * من البذر فيها فهي ناهيك من ارض *
واما من ستر معروف النعم ولم يشكره على ما اولاه من نعمه فقد كفر النعمة
وجحد الصنيعة وان من اذم الخلائق واسوأ الطوائق ما يستوجب به قبح الرد
وسوء النع فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال بعض الادباء من لم يشكر لمنعمه اسحق
قطع النعمة وقال بعض الفصحاء من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد وقال
بعض البلغاء من انكر الصنيعة استوجب قبح القطيعة وانشدني بعض الادباء
ما ذكر انه لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه

* من جاوز النعمة بالشكر لم * يخش على النعمة مغتالها *
* لو شكروا النعمة زادتهم * مقالة الله التي قالها *
* لئن شكرتم لازيدنكم * لكنما كفرهم غالها *
* والكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر ابقى لها *
وهذا آخر ما يتعلق بالقاعدة الثانية من اسباب الالفة الجامعة فاما القاعدة
الثالثة فهي المادة الكافية لان حاجة الانسان لازمة لا يعرى منها بشر قال الله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا عدم المادة التي
هي قوام نفسه لم تدم له حياة ولم تستقم له دنيا واذا تعذر شئ منها عليه
لحقه من الوهن في نفسه والاخلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه لان
الشئ القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله ثم لما كانت المواد مطلوبة لحاجة
الكافة اليها اعوزت بغير طلب وهدمت لغير سبب واسباب المودة مختلفة
وجهات المكاسب منشعبة ليكون اختلاف اسبابها علة الأتلاف بها وتשב
جهاتها بتوسعة لطلابها كيلا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتئمون ويشتركوا
في جهة واحدة فلا يكتفون ثم هداهم اليها بقولهم وارشدهم اليها بطبايعهم

حتى لا يتكلفوا اتلافهم في المعاش المختلفة فيعجزوا ولا يعاونوا بتقدير موادهم
 بالمكاسب المتشعبة فيختلوا حكمة منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الامور
 وقد انبأ الله تعالى في كتابه العزيز اخبارا واذكارا فقال سبحانه وتعالى قال
 ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اخترف المفسرون في تأويل ذلك فقال
 قتادة اعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته ثم
 هداه لمعيشته وقال ابن عباس رضى الله عنهما اعطى كل شيء زوجة ثم هداه
 لنكاحها وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معاشهم متى يزرعون ومتى
 يغرسون وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة
 ايام سواء للسائلين قال عكرمة قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الاخرى ليعيش
 بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد وقال الحسن البصرى وعبد الرحمن
 ابن زيد قدر ارزاق اهلها سواء للسائلين الزيادة في ارزاقهم ثم ان الله تعالى
 جعل لهم مع ما هداهم اليه من مكاسبهم وارشدهم اليه من معاشهم دينا
 يكون حكما وشرعا يصكون قوما ليصلوا الى موادهم بتقديره ويطلبوا
 اسباب مكاسبهم بتدبيره حتى لا ينفردوا بارادتهم فيتغالبوا وتستولي عليهم
 اهواءهم فيتقاطعوا قال الله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
 والارض قال المفسرون الحق في هذا الموضع هو الله جل جلاله فلاجل ذلك
 لم يجعل المواد مطلوبة بالالهام حتى جعل العقل هاديا اليها والدين قاضيا
 عليها لتم السعادة وتم المصلحة ثم انه جلت قدرته جعل سد حاجتهم
 وتوصلهم الى منافعهم من وجهين بمادة وكسب فاما المادة فهي حادثة عن اقتناء
 اصول نامية بنواتها وهي شيطان نبت نام وحيوان مناسل قال الله تعالى وانه
 هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى خلقه بالمال واقنى جعل لهم قنية وهي
 اصول الاموال واما المكسب فيكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف
 المؤدى الى الحاجة وذلك من وجهين احدهما تقلب في تجارة والشاقى تصرف
 في صناعة وهذان هما فرع لوجهى المادة فصارت اسباب المواد المألوفة وجهات
 المكاسب المعروفة من اربعة اوجه نماء زراعة وتناج حيوان وربح تجارة
 وكسب صناعة وحكى الحسن بن رجاى مثل ذلك عن المؤمن قال سمعته يقول

معايش الناس على اربعة اقسام زراعة وصناعة وتجارة وامارة فن خرج عنها كان كلا عليها واذا قد تقررت اسباب الواد بما ذكرناه فنصنف حال كل واحد منها بقول موجز اما الاول من اسبابها وهي ﴿ الزراعة ﴾ فهي مادة اهل الحضرة وسكان الامصار والمدن والاستمداد بها اعم نفعاً وافر فرعا ولذلك ضرب الله تعالى به المثل فقال مثل الذين يفتنون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال صلى الله عليه وسلم نعمت لكم النخلة تشرب من عين خمرارة وتغرس في ارض خواراة وقال صلى الله عليه وسلم في النخل هي الراسخات في الوحل المطعمات في المحل وقال بعض السلف خير المال عين خمرارة في ارض خواراة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت وتكون عقيباً اذا مت وروى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبائيا الارض يعني الزرع وحكي عن المعتضد انه قال رأيت على بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام يناولني السمحة وقال خذها فانها مفاتيح خزائن الارض وقال كسرى للموبد ما قيمة تاجي هذا فاطرق ساعة ثم قال ما اعرف له قيمة الا ان تكون مطرة في نيسان فاذها تصلح من معايش الرعية ما تكون قيمته مثل تاج الملك ولقي عبد الله بن عبد الملك بن شهاب الزهري فقال له ابناي على مال اعالجه فانثأ ابن شهاب يقول

* تتبع خبائيا الارض وادع مليكها * لعلك يوماً ان تجاب فترزقا *
 * فيؤتيك مالا واسعا ذامتانة * اذا ما مياه الارض غارت تدفقا *

وقد اختلف الناس في تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا هذا لبسط القول فيه غير ان من فضل الزرع فاقرب مداه ووفور جداه ومن فضل الشجر فلتبوت اصله وتوالي ثمره واما الثاني من اسبابها وهو ﴿ نتاج الحيوان ﴾ فهو مادة اهل الفلوات وسكان الخيام لانهم لما لم تستقر بهم دار ولم تضمهم امصار افتقروا الى الاموال المنتملة معهم وما لا يتقطع غنائمها بالظعن والرحلة فافتقروا الى الحيوان لانه يستقل في النقلة بنفسه ويستغنى عن العلوفة برعيه ثم هو مركوب

ومحلوب فكان اقتناؤه على اهل الخيام ايسر لقلة مونه وتسهيل الكلفة به وكانت جدواه عليهم اكثر لوفور نسله واقنيات رسله الهاما من الله لخلاته في تعديل المصالح فيهم وارشاد العباد في قسم المنافع بينهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم مهرة مأمورة اى كثيرة النسل ومنه تأول الحسن وقتادة قوله تعالى امرنا مترفيها اى كثرنا عددهم واما السكة المأبورة فهي النخل المؤبرة المجل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الغنم سمها معاش ووصفها رباح وروى عن ابي ظبيان انه قال قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما مالك يا ابا ظبيان قال قلت عطائي الفان قال انخذ من هذا الحرت والسائبات قبل ان تليك غنمة من قريش لا تعد العطاء معهم مالا والسائبات النتاج وحكى ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اتخذت غنما ابتغى نسلها ورسلا وانها لا تمى فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ألوانها قالت سود فقال عفرى وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى مناقح الأدميين اغربوا ولا تضوا واما الثالث من اسبابها وهى * التجارة * فهى فرع لمادتي الزرع والنتاج فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تسعة اعشار الرزق فى التجارة والحرت والباقي فى السائبات وهى نوعان تقلب فى الحضر من غير نقلة ولا سفر وهذا تربص واختصار وقد رغب عنه ذوا الاقتدار وزهد فيه ذوا الاخطار والثانى تقلب بالمال بالاسفار ونقله الى الامصار فهذا أليق باهل المروءة واعم جدوى ومنفعة غير انه اكثر خطرا واعظم غمرا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعلى تلف الا ما وفى الله يعنى على خطرو فى التوراة يا ابن آدم احدث سفرا احدث لك رزقا واما الرابع من اسبابها وهى * الصناعة * فقد يتعلق بما مضى من الاسباب الثلاثة وتنقسم اقساما ثلاثة صناعة فـكر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين فكر وعمل لان الناس آلات للصناعات واشرفهم نفسا منتهى لاشرفها جنسا كما ان اردلهم نفسا منتهى لاردلها جنسا لان الطبع يبعث على ما يلائمه ويدعو الى ما يجانسه وحكى ان الاسكندر لما اراد الخروج

الى اقصى الارض قال لارسطاطاليس اخرج معى قال قد نحل جسمى وضعفت
 عن الحركة فلا تزجبنى قال بما اصنع فى عمالى خاصة قال انظر الى من كان له
 عبيد فأحسن سياستهم فوله الجنود ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله
 الخراج فنبه باعتبار الطباع على ما اغناه عن كلفة التجربة واشرف الصناعات
 صناعة الفكر وهى مدبرة وارذلها صناعة العمل لان العمل نتيجة الفكر وتدبيره
 فاما صناعة الفكر فقد تنقسم قسمين ﴿ احدهما ﴾ ما وقف على التدبيرات
 الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدير البلاد وقد
 افردنا للسياسة كتابا لخصنا فيه من جلها ما ليس يحتمل هذا الكتاب
 زيادة عليها ﴿ والثانى ﴾ ما ادت الى المعلومات الحادثة عن الافكار
 النظرية وقد مضى فى فضل العلم من كتابنا هذا باب اغنى ما فيه عن زيادة
 قول فيه واما صناعة العمل فقد تنقسم قسمين عمل صناعى وعمل بهيمى فالعمل
 الصناعى اعلاها رتبة لانه يحتاج الى معاطاة فى تعلمه ومعاناة فى تصوره فصار
 بهذه النسبة من المعلومات الفكرية والآخر انما هو صناعة كد وآلة مهنة وهى
 الصناعة التى تقتصر عليها النفوس الرذلة وتقف عليها الطباع الخاسئة كما قال
 اكثم به صنفي لكل ساقطة لاقطة وكما قال المنس

* ولا يقيم على ضيم يسام به * الا الاذلان عبر الحى والوتد *
 * هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له احد *

واما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين احدهما ان تكون
 صناعة الفكر اغلب والعمل تبعا كالكتابة والثانى ان تكون صناعة العمل اغلب
 والفكر تبعا كالبناء واعلاهما رتبة ما كانت صناعة الفكر اغلب عليها والعمل
 تبعا لها فهذه احوال الخلق التى ركبهم الله عز وجل عليها فى ارتياد موادهم
 ووكلمهم الى نظرهم فى طلب مكاسبهم وفرق بين همهمهم فى التماسهم ليكون ذلك
 سببا لالفتهم فسبحان من تفرد فينا بلطف حكمته واطهر فطننا بعزائم قدرته
 واذ قد وضع القول فى اسباب المواد وجهات الكسب فليس يخلو حال الانسان
 فيها من ثلاثة امور ﴿ احدها ﴾ ان يطلب منها قدر كفايته ويلتمس وفق
 حاجته من غير ان يتعدى الى زيادة عليها او يقتصر على نقصان منها فهذه احد

احوال الطالبين واعدل مراتب المتصدين وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى كلمات فدخلن في اذني ووقرن في قلبي من اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسك فهو شر له ولا يلم الله على كفاف وروى حميد عن معاوية بن جندة قال قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا قال ما يسد جوعتك ويستر عورتك فان كان ذلك فذاك وان كان حجاج فبج يخ فلن من خبز وجزء من ماء وانت مسئول عما فوق الازار وقد روى عن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ان كل من ملك يتسا وزوجة وخادما فهو ملك وروى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له بيت وخادم فهو ملك وهو في المعنى صحيح لانه بالزوجة والخادم مطاع في امره وفي الدار محبوب الا عن اذنه وليس على من طالب الكفاية ولم يجاوز تبعات الزيادة الا توخى الحلال منه واجمال الطلب فيه ومجانبة الشبهة الممازجة له وقد روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين فذرع ما يريك الى ما لا يريك فلن تجد فقد شيء تركته الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال اما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما يد الله اوثق منك بما في يديك وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك من بقائها وحكى عبد الله بن المبارك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحكمي ان استطعت ان تدع مما احل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين الحرام فافعل فانه من استوعب الحلال تاققت نفسه الى الحرام وقد اختلف اهل التأويل في قوله تعالى فان له معيشة ضنكا فقال عكرمة يعني كسبا حراما وقال ابن عباس هو انفاق من لا يوقن بالخلف وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان احسنت رقيتها والا فلا تأخذها وقيل من قل توفيه كثر مساويه وقال بعض البلغاء خير الاموال ما اخذته من الحلال وصرفته في النوال وشر الاموال ما اخذته من الحرام وصرفته في الاكمام وكان الاوزاعي الفقيه كثيرا ما يتأمل بهذه الايات

* المال يتفد حله وحرامه * يوما وبينى بعد ذلك اتامه *

* ليس التقي بمتيق لالهه * حتى يطيب شرابه وطعامه *
 * ويطيب ما يجني ويكسب اهله * ويطيب من لفظ الحديث كلامه *
 * نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته وسلامه *
 وحكى عن ابن المعتز السلي قال الناس ثلاثة اصناف اغنياء وفقراء واوسام
 فالفقراء موتى الامن اغناه الله بمن الضاعة والاغنياء مسكاري الامن عصمه
 الله تعالى بتوقع الغير واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع
 اكثر الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى * والامر الثاني *
 ان يقصر عن طلب كفايته ويزهد في التماس مادته وهذا التقصير قد يكون على
 ثلاثة اوجه فيكون تارة كسلا وتارة توكلا وتارة زهدا وتقنعان فان كان تقصيره
 لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومرح الاختباط فلن يعدم ان يكون كلاقصيا
 او ضائعا شقيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد ان
 يغلب القدر وكاد الفقر ان يكون كفرا وقال بزرجمهر ان كان شيء فوق الحياة
 فالصحة وان كان شيء مثلها فالغنى وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان
 شيء مثله فالفقر وقيل في مشور الحكم العبر خير من الفقر ووجه في نيل مصر
 مكتوب على حجر

* عقب الصبر نجاح وغنى * ورداء الفقر من نسيج الكسل *
 * وقال بعض الشعراء *

* اعوذ بك اللهم من بطر الغنى * ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر *
 * ومن امل يمتد في كل شارف * يرجعني منه بحظ يد صفر *
 * اذا لم تدنسي الذنوب بعارها * فلست ابالي ما تشعث من امري *
 واذا كان تقصيره لتوكل فذلك عجز قد اعذر به نفسه وترك حزم قد غير اسمه
 لان الله تعالى امرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم الى القضاء بعد الاعذار
 وقد روى معمر عن ايوب عن ابي قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
 رجل فنكر فيه خير فقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجا فاذا نزلنا منزلا لم يزل
 يصلي حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله عز وجل حتى ننزل فقال صلى الله
 عليه وسلم من كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا يا رسول الله قال كلكم

خير منه وقال بعض الحكماء ليس من توكل المرء اضاعته للحزم ولا من الحزم
 اضاعة نصيبه من التوكل وان كان تقصيره زهد وتقع فهذه حال من علم بحاسبة
 نفسه بتبعات الغنى والثروة وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة فأثر الفقر على
 الغنى وزجر النفس عن ركوب الهوى فقد روى ابو الدرداء قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمس الا وعلى جنبتيها ملكان يناديان
 ببعضهما خلق الله كلهم الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى
 خير مما كثر والهوى وروى زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضى الله
 عنهم اجمعين انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر الفرج من الله
 بالصبر عبادة ومن رضى من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضى الله عز وجل
 منه بالقليل من العمل وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال من نيل
 الفقر اذك لا تجد احدا يعصى الله ليفقر فاخذه محمود الوراق فقال

- * يا عائب الفقر ألا تزجر * عيب الغنى اكثر لو تعتبر *
- * من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر *
- * انك تعصى لتسال الغنى * ولست تعصى الله كي تفقر *

❖ وقال ابن المقفع ❖

- * دليلك ان الفقر خير من الغنى * وان قليل المال خير من المثرى *
 - * لتساؤك مخلوقا عصى الله بالغنى * ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر *
- وهذه الحال انما تصح لمن نصح نفسه فاطاعته وصدقها فاجابته حتى لان قيادها
 وهان عنادها وعلمت ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير كما كتب الحسن
 البصرى الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما يا اخي من استغنى بالله اكتفى
 ومن انقطع الى غيره تعنى ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع لم يغنه منها كثرة
 ما يجمع فعليك منها بالكفاف وألزم نفسك العفاف واياك وجمع الفضول
 فان حسابه يطول وقال بعض الحكماء هيهات منك الغنى ان لم يقنعك ما حوت
 فاما من اعرضت نفسه عن قبول نصحه وجمحت به عن قناعة زهده فليس الى
 اكرهاها سبيل ولا للحمل عليها وجه الا بالرياضة والروءة وان يستزنها الى اليسير
 الذى لا تنفر منه فاذا استقرت عليه انزلها الى ما هو اقل منه لتنتهى بالتدرج

الى

الى الغاية المطلوبة وتستقر بالرياضة والتدريب على الحال المحبوبة وقد تقدم قول الحكماء ان المكره يسهل بالتدريب فهذا حكم ما في الامر الثاني من التقصير عن طلب الكفاية واما ﴿ الامر الثالث ﴾ فهي ان لا يقع بالكفاية ويطلب الزيادة والكثرة فقد يدعو الى ذلك اربعة اسباب • احدها منازعة الشهوات التي لا تنال الا بزيادة المال وكثرة المادة فاذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله وليس للشهوات حدمتناه فيصير ذلك ذريعة الى ان ما يطلبه من الزيادة غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه ومن استدام الكد والتعب لم يف التذاذه بنيل شهواته بما يعانيه من استدامة كده واتعابه مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبية الشهوات والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التي قد انصرف طلبها الى ما تدعو اليه شهواتها فلا تنزجر عنه بعقل ولا تنكف عنه بقناعة وقد روى عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله به خيرا حال بينه وبين شهوته وحال بينه وبين قلبه واذا اراد به شرا وكله الى نفسه وقد قال الشاعر

* وانك ان اعطيت بطنك همه * وفرجك نالما انتهى الذم اجعما *
 والسبب الثاني ان يطلب الزيادة ويلتص الكثرة ليصرفها في وجوه الخير ويتقرب بها في جهات البر ويصطنع بها المعروف ويغيث بها الملهوف فهذا اعذر وبالجملة اخرى واجدر اذا انصرفت عنه تبعات المطالب وتوفي شبهات المكاسب واحسن التقدير في حالتي فائده وافادته على قدر الزمان وبقدر الامكان لان المال آلة للمكارم وعون على الدين ومتألف للاخوان ومن فقده من اهل الدنيا قلت الرغبة فيه والرغبة منه ومن لم يكن منهم بموضع رهبة ولا رغبة استهانوا به وقد روى عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حساب اهل الدنيا هذا المال وقال مجاهد الخير في القرآن كله المال وانه لحب الخير لشديد يعني المال واحببت حب الخير عن ذكر ربي يعني المال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يعني مالا وقال شعيب النبي عليه السلام اني اراكم بخير يعني المال وانما سمي الله تعالى المال خيرا اذا كان في الخير مصروفا لان ما ادى الى الخير فهو

في نفسه وقد اختلف اهل التأويل في قوله تعالى ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فقال السدي وعبد الرحمن بن زيد الحسنة في الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال الحسن البصري وسفيان الثوري الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقال ابن عباس الدراهم والدنانير خواتم الله في الأرض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حذاً ومجداً فإنه لا حذاً إلا بفعل ولا مجداً إلا بجال وقد قيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلى ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وقيل في منشور الحكم من استغنى كرم على اهله ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلماء فحرك له واكرمه فقيل له بعد ذلك أكانت لك الى هذا حاجة قال لا ولكني رأيت ذا المال مهيباً وسأل رجل محمد بن عمير بن عطار وعتاب بن ورقاء في عشر ديات فقال محمد بن علي دية وقال عتاب الباقي علي فقال محمد نعم العون اليسار علي المجد وقال الاحنف بن قيس

* فلو كنت مثرى بمال كثير لجدت وكنت له باذلاً *
 * فان المروءة لا تستطعا * ع اذا لم يكن مالهها فاضلاً *
 وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوى كل جرح ويعطى بها كل صلح وقال ابن الجلال

* رزقت مالا ولم ارزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال *
 * اذا اردت رقي العلياء يقعدني * عما ينوه باسمى رقة الخصال *
 وقيل في منشور الحكم الفتمر مخذلة والغنى مجدلة والبؤس مردلة والسؤال مبذلة وقال اوس بن حجر

* اتيم بدار الخزم مادام حزمها * واحرى اذا حالت بان انحولا *
 * فاني وجدت الناس الا اقلهم * خفاف يكتثرون الثقل *
 * بني ام ذى المال للكثير يرويه * وان كان عبدا سيد الامر جحفلا *
 * وهم لثقل المال اولاد عملة * وان كان محضا في العشرة منحولا *

وقال

﴿ وقال بشر الضرير ﴾

* كفى حزنا انى اروح واغتمدى * ومالى من مال اصون به عرضى *
* واكثر ما اتى الصديق برجبا * وذلك لا يكتفى الصديق ولا يرضى *

﴿ وقال آخر ﴾

* اجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غنى في العيون جليل *
* وليس الغنى الا غنى زين الفتى * عشية يقرى او غداة ينيل *
وقد اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر
مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان
الغنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه
حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغنى
ملايس وترك الدنيا افضل من ملابتها وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة
وذهب آخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج عن حد الفقر الى
ادنى مراتب الغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الخالين وهذا
مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وان خيار الامور اوساطها وقد مضى شواهد
كل فريق في موضعه بما اغنى عن اعادته • والسبب الثالث ان يطلب
الزيادة ويقتنى الاموال ليدخرها لولده ويخلفها على ورثته مع شدة ضنه على
نفسه وكفه عن صرف ذلك في حقه اشفاقا عليهم من كدح الطلب وسوء
المنقلب وهذا شقى يجمعها مأخوذ بوزرها قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى
على ذى لب ﴿ منها ﴾ سوء ظنه بخالقه انه لا يرزقهم الا من جمعته وقد قيل قتل
القنوط صاحبه وفي حسن الظن بالله راحة القلوب وقال عبد الحميد كيف تبق
على حالتك والدهر في احالتك ﴿ ومنها ﴾ الثقة ببيتاء ذلك على ولده مع
نواب الزمان ومصائبه وقد قيل الدهر حسود لا يأتى على شئ الا غيره وقيل
في مشور الحكم المال ملول وقال بعض الحكماء الدنيا ان بقيت لك لا تبق لها
﴿ ومنها ﴾ ما حرم من منافع ماله وسلب من وفور حاله وقد قيل انما مالك لك
او للوارث اول الجائحة فلا تكن اشقى الثلاثة وقال عبد الحميد اطرح كواذب آمالك
وكن وارث مالك ﴿ ومنها ﴾ ما لحقه من شقاء جمعه وناله من عناء كسده

حتى صار ساعيا محروما واجهدا مذموما وقد قيل رب مغبوط بمسرة هي داؤه
ومرحوم من سقم هو شفاؤه وقال الشاعر

* ومن كلفته النفس فوق كفافها * فما يقضى حتى الممات عناؤه *
❁ ومنها ❁ ما يؤاخذ به من وزره واثامه ويحاسب عليه من تبعاته واجرامه
وقد حكى ان هشام بن عبد الملك لما ثقل بالبكاء ولده عليه قال لهم جاد لكم هشام
بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ما اسوأ
حال هشام ان لم يغفر الله له فاخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال

* تمتع بمالك قبيل الممات * والافلا مال ان انت متا *
* شقيت به ثم خلقته * لفريك بعدا وسحقا ومقتا *
* جادوا عليك بزور البكا * ووجدت عليهم بما قد جمعنا *
* وارهنتم كل ما في يدك وخلوك رهنا بما قد كسبنا *

وروى ان العباس بن عبد المطلب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ولني فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم
قليل يكفيك خير من كثير يريدك يا عباس يا عم النبي نفس تجيها خير
من اماراة لا تحصيها يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة اولها
ندامة واوسطها ملامة وآخرها خزي يوم القيامة فقال يا رسول الله الامن
عدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تعدلون مع الاقارب وقال رجل
للحسن البصرى رحمه الله انى اخاف الموت واكرهه فقال انك خلقت مالك ولو
قدمته لسرك اللحوق به وقيل فى منشور الحكم كثره مال الميت تعزى ورثته عنه
فاخذ هذا المعنى ابن الرومى فقال وزاد

* ابقيت مالك ميراثا لسوارته * فليت شعرى ما ابقى لك المال *
* القوم بعدك فى حال تسرهم * فكيف بعدهم حالت بك الحال *
* ملوا البكاء فما يبكيك من احد * واستحكمت القول فى الميراث والقال *
* واتهم عنك دنيا اقبلت لهم * وادبرت عنك والايام احوال *
والسبب الرابع ان يجمع المال ويطلبه استحلالا لجمعه وشغفا باحترامه
فهذا اسوأ الناس حالا فيه واشدهم حزنا له قد توجهت اليه سائر الملامم حتى

صار وبالا عليه ومذام وفي مثله قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للذهب تبا للفضة فشق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي مال نخخذ فقال عمر رضى الله عنه انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم فقالوا اي مال نخخذ فقال لسانا ذاكرا وقابسا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه وروى شهر بن حوشب عن ابي امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وانما ذكر ذلك فوهما وان كان قد مات على عهده من ترك اموال اوجة واحوالا ضخمة فلم يكن فيه ما كان في هذين لانهما تظاهرا بالتقناعة واحتجنا ما ليس بهما اليه حاجة فصار ما احتجناه وزرا عليهمما وعقابا لهما وقد قال الشاعر

- * اذا كنت ذا مال ولم تكن ذا ندى * فانت اذا والمقترون سواء *
- * على ان في الاموال يوما تباعة * على اهلها والمقترون براء *
- ❁ وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه ❁
- * ان الذى رزق اليسار ولم يصب * جدا ولا اجرا لغير موفق *
- * والجد يدنى كل شئ شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق *
- * واحق خلق الله بالهم امرؤ * ذوهمة عليا وعيش ضيق *
- * ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس الليب وطيب عيش الاحق *
- * فاذا سمعت بان مجدودا حوى * عودا فاورق في يديه فحقق *
- * واذا سمعت بان محذولا اتى * ماء ليشر به نجف فصدق *

اللب العقل تقول لبيب ذولب والجد في اللغة الحظ وهو البخت والجد ايضا العظمة ومنه قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا والجد مصدر جد الشئ اذا قطع والجد بالكسر الانكماش في الامور اى الاجتهاد فيها وهو ايضا الحق ضد الهزل وبالحاء اذا منع الرزق ومجد مجدود لا يقال فيهما الا بالجم اسم فاعله وآفة من بلى بالجمع والاستكثار ومنى بالامساك والادخار حتى انصرف عن رشده فغوى

وأنحرف عن سنن قصده فهو ان يستولى عليه حب المال وبعد الامل فيبعثه
 المال على الحرص في طلبه، ويدعوه بعد الامل على الشح به والحرص والشح
 اسهل لكل ذم وسب لكل ثوم لان الشح يمنع من اداء الحقوق ويبعث على القطيعة
 والتعوقى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطى العبد شح هالع وجبن
 خالع وقال بعض الحكماء الغنى البخيل كالقوى الجبان واما الحرص فيسلب فضائل
 النفس لاستيلائه عليها ويجمع من التوفر على العباداة لتشاغله عنها ويبعث
 على التورط في الشبهات لقله تحرزه منها وهذه الثلاث خصال هن
 جامعات الرذائل سالبت الفضائل مع ان الحريص لا يستزيد بجرصه
 زيادة على رزقه سوى اذلال نفسه واستخاط خالفه. وروى عن النبي صلى
 الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاعد والقنوع الزائد يستوفيان اكلهما
 غير منتقص منه شيء فعلام التهافت في النار وقال بعض الحكماء الحرص مفسدة
 للدين والمروءة والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرأيت ان فيه مصطنعا
 وقال آخر الحريص اسير مهانة لا تفك اسره وقال بعض البلغاء المقادير الغالبة
 لا تنال بالمغالبة والارزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمطالبة فذلل للمقادير نفسك
 واعلم بانك غير نائل بالحرص الا حظك وقال بعض الادباء رب حظ اذركه غير
 طالبه ودر احرزه غير جالبه وانشدني بعض اهل الادب لمحمد بن حازم

- * يا اسير الطمع الكاذب في غل الهوان *
- * ان عز الياس خير * لك من ذل الاماني *
- * سماح الدهر اذا عز وخذ صفو الزمان *
- * انما اعدم ذو الحرص * واثرى ذو التواني *

وليس للحرص غاية مقصودة يقف عندها ولا نهاية محدودة يقنع بها لانه اذا
 وصل بالحرص الى ما امل اغراه ذلك بزيادة الحرص والامل وان لم يصل رأى
 اضاعة الغنى لثوما والصبر عليه حزما وصار بما سلف من رجائه اقوى رجاء
 وابسط املا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشيب ابن آدم ويبقى
 معه خصلتان الحرص والامل وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ احرص
 على الدنيا من الشباب قال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب ولو

صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم ان من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضاء بالقضا والقناعة بالقسم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتصدوا في الطلب فان ما رزقتموه اشد طلبا لكم منكم وما حرمتوه فلن تنالوه ولو حرصتم وروى ان جبريل على نبينا وعليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فامر النبي صلى الله عليه وسلم بنسأيا ينسأى من لم يتأدب بادب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وقيل مكتوب في بعض الكتب ردوا ابصاركم عليكم فان لكم فيها شغلا وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى ولتحبينه حياة طيبة قال بالقناعة وقال آثم بن صيفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالفتى والثروة وقال بعض السلف قد يجيب الجاهد الساعى ويظفر الوداع الهادى فاخذه البحرى فقال

* لم التى مقدورا على استحقاقه * فى الحظ اما ناقصا او زائدا *
 * وعجبت للمجهود يحرم ناصبا * كلفا وللمجدود بغم قاعدا *
 * ما خطب من حرم الارادة قاعدا * خطب الذى حرم الارادة جاهدا *
 وقال بعض الحكماء ان من قنع كان غنيا وان كان مقترا ومن لم يقنع كان فقيرا وان كان مكثرا وقال بعض البلغاء اذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة واذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فن اداع الله عز وجل عز نصره ومن لزم القناعة زال فقره وقال بعض الادباء القناعة عز المعسر والصدقة حرز الموسر وقال بعض الادباء

* انى ارى من له فنوع * يدرك ما نال او غنى *
 * والرزق يأتى بلا عناء * وربما فات من تعنى *
 والقناعة قد تكون على ثلاثة اوجه فالوجه الاول ان يقنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل القناعة وقال الشاعر
 * اذا شئت ان تحيى غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها *
 وقال مالك بن دينار ازهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته وقال بعض

الحكماء الرضى بالكفاف يؤدي الى العفاف وقال بعض الادباء يارب ضيق افضل من سعة وعناء خير من دعة وانشدني بعض اهل الادب وذكر انه لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه

* افادتنا القناعة اى عز * وائى غنى اعز من القناعة *
 * فصيرها لنفسك رأس مال * وصير بعدها التقوى بضاعة *
 * تحرز حين تفنى عن تحصيل * وتنعم في الجنان بصبر ساعه *

والوجه الثانى ان تنتهى به القناعة الى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة وهذه اوسط حال المقنع وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب فان قنع واقتصد اتاه رزقه وان هتك الحجاب لم يزد في رزقه وقال بعض الحكماء ما فوق الكفاف اسراف وقال بعض البلغاء من رضى بالمقدور قنع بالميسور وقال البحرى

* نطلب الاكثر في الدنيا وقد * تبلغ الحاجة منها بالاقل *
 * وانشدت لابراهيم بن المدبر *

* ان القناعة والعفا * ف ليغنيان عن الغنى *
 * فاذا صبرت عن المني * فاشكر فقد نلت المني *

والوجه الثالث ان تنتهى به القناعة الى الوقوف على ما سمح فلا يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا يطلب ما تعذر وان كان يسيرا وهذه الحال ادنى منازل اهل القناعة لانها مشتركة بين رغبة ورهبة اما الرغبة فلانه لا يكره الزيادة على الكفاية اذا سمحت واما الرهبة فلانه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة اذا تعذرت وفي مثله قال ذو النون رحمة الله عليه من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة وقد روى الحسن بن على عن ابيه عن جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دول فما كان منها لك اناك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه ومن رضى بما رزقه الله تعالى قرت عينه وقال ابو حازم الاعرج وجدت شيئين شيئا هو لى لن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا هو لغيرى وذلك مما لم الله فيما مضى ولا اناله فيما بقى يجمع الذى لى من غيرى

كما جمع الذي لغزى منى ففى اى هذين افنى عمى واهلك نفسى وقال ابوتامم الطائى

* لا تأخذونى بالزمان وليس لى * تبعا ولست على الزمان كفيلا *
 * من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الامانى لم يزل مهزولا *
 * لوجار سلطان القنوع وحكمه * فى الخلق ما كان القليل قليلا *
 * الرزق لا تكمد عليه فانه * باقى ولم تبعث عليه رسولا *

﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومى ﴾

* جرى قم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون *
 * جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجين *

ونحن نسأل الله تعالى اكرم مشول وافضل مأمول ان يحسن الينا التوفيق فيما منح ويصرف عنا الرغبة فيما منع استكفافا لتبعات الثروة وموبقات الشهوة روى شريك بن ابى نمر عن ابى الجذع عن اعمامه واجداده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير امتى الذين لم يعطوا حتى ينظروا ولم يقترؤا حتى يسألوا وقال ابو تمام الطائى

* عندى من الايام ما لو انه * اضحى بشارب مرقد ما غضا *
 * لا تطلبن الرزق بعد شمسه * فترومه شبا اذا ما غضا *
 * ما عوض الصبر امرؤ الا رأى * ما فاته دون الذى قد عوضا *

﴿ باب ادب النفس وهو الخامس من الكتاب ﴾

اعظم ان النفس مجبولة على شيم مهملة واخلق مرسله لا يستغنى محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالرضى منها عن التهذيب لان لمحمودها انسد اذا مقابلة يسعددها هوى مضاع وشهوة غالبية فان اغفل تأديبها تقويضها الى انعقل او توكل على ان تقاد الى الاحسن بالطبع اعدمه التقويض درك المجتهدين واعقبه التوكل ندم الخاشعين فصار من الادب عاطلا وفى صورة الجهل داخلا لان الادب مكتسب بالتجربة او مستحسن بالعادة واكل قوم مواضعة وذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاينة ويستفاد

بالدربة والمعاطاة ثم يكون العقل عليه قيميا وزكى الطبع اليه مسلما
ولو كان العقل مغنيا عن الادب لكان انبياء الله تعالى عن ادبه مستغنين وبعقولهم
مكتفين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت لاتيهم مكارم
الاخلاق وقيل لعيسى بن مريم على نبينا وعليه للسلام من ادبك قال ما ادبني
احد ولكني رأيت جهل الجاهل بخانته وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه
ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم فحسب الرجل
ان يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال ازدشير بن بابك من فضيلة الادب انه
ممدوح بكل لسان ومترين به في كل مكان وابق ذكره على ايام الزمان وقال
مهجود شبه العالم الشريف القديم الادب بالبينان الخراب الذى كل ما علا سمكه
كان اشد لوحشته وبالزهر اليايس الذى كل ما كان اعرض واعمق كان اشد
لوعورته وبالارض الجيدة المعطلة التى كلما طال خرابها ازداء نباتها غير
المنتفع به التفافا وصار للهوام مسكنا وقال ابن المقفع ما نحن الى ما نتقوى به على
حواسنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى الادب الذى هو لقاح عقولنا فان
الحبة المدفونة فى الثرى لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضارتها الا بالماء الذى
يعود اليها من مستودعها وحكى الاصمعي رحمه الله تعالى ان اعرابيا قال
لابنه يا بني الادب دعامة ايد الله بها الالباب وحلية زين الله بها عواطل
الاحساب فالعاقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته
كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها وقال بعض
الحكماء الادب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقال آخر العقل
بلا ادب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر الثمر وقيل الادب احد
المنصيين وقال بعض البلغاء الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب لان من
ساء اليه ضاع نسه ومن قل عقله ضل اصله وقال بعض الادياء ذلك قلبك بالادب
كما تذى النار بالخطب واتخذ الادب غنما والحرص عليه حظا يرتجيك راغب
ويخاف صوتك راهب ويؤمل نفعك ويرجى عدلك وقال بعض العلماء الادب
وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة وقال بعض الفصحاء الادب يستر
قبح النسب وقال بعض الشعراء فيه

- * فما خلق الله مثل العقو * ل ولا اكتسب الناس مثل الادب *
 * وما كرم المرء الا التقي * ولا حسب المرء الا النسب *
 * وفي العلم زين لاهل الحجا * وآفة ذى الحلم طيش الغضب *
 * وانشد الاصمعي رحمه الله *

* وان يك العقل مولودا فلست ارى * ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب *
 * انى رأيتهما كالماء مختلطا * بالترب تظهر منه زهرة العشب *
 * وكل من اخطأه في موالده * غريزة العقل حاكي بهم في الحسب *
 والتأديب يلزم من وجهين احدهما ما لزم الوالد لولده في صغره والثاني ما لزم
 الانسان في نفسه عند نشوه وكبره فاما التأديب اللازم للاب فهو ان يأخذ ولده
 بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشو عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستثنائه
 بمبادئها في الصغر لان نشو الصغير على الشيء يجعله متطبعا به ومن اغفل في
 الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال ما نحل والد ولده نحلة افضل من ادب حسن يفيد اياه او جهل قبيح يكفه
 عنه ويمنع منه وقال بعض الحكماء بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال
 وتفرق البال وقال بعض الشعراء

- * ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولا يلين اذا قومته الحشب *
 * قد ينفع الادب الاحداث في صغر * وليس ينفع عند الشيبة الادب *

* وقال آخر *

* ينشو الصغير على ما كان والده * ان الاصول عليها تنبت الشجر *
 واما الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فان ادب مواضعة واصطلاح
 وادب رياضة واستصلاح فاما ادب المواضعة والاصطلاح فيؤخذ تقليدا على
 ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الادباء وليس
 لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب
 كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب واتفاقهم على هيئات اللباس حتى ان
 الانسان الآن اذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانيا للادب مستوجبا للذم

لان فراق المؤلف في العادة ومجانبة ما حصار متفتحا عليه بالواضحة مفض الى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث وقد كان جائزا في العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسنا ويرون ما سواه قبيحا فصار هذا مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركة ومخالفا له من حيث انه كان جائزا في العقل ان يوضع على خلافه واما ادب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز في العقل ان يكون بخلافها ولا ان تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فعليه بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط ولا نفس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهيها الله تعالى ارشادا لها قال الله تعالى فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس رضي الله عنه بين لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه فانه اولي به واحق فاول مقدمات ادب الرياضة والاستصلاح ان لا يسبق الى حسن الظن بنفسه فيحني عنه مذموم شيمة ومساوي اخلاقه لان النفوس بالشهوات آمرة وعن الرشد زاجرة وقد قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك ودعت اعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدوك الا نفسك فاخذ بعض الشعراء فقال

* قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر اسقامي واوجاعي *
 * كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين اضلاعي *
 فاذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع الى سلاطنتها وفساد الاخلاق بها فاذا صرف حسن الظن عنها وتوسمها بما هي عليه من التسوية والمكر فاز بطاعتها وانحاز عن معصيتها وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه ساد ناسه فاما سوء الظن بها فقد اختلف الناس فيه فنتهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد مناصحتها فان النفس وان كان لها مكر يردى فلها نصح يهدي فلما كان حسن الظن بها يعجز عن محاسنها ومن عجز عن محاسن نفسه كان كمن عجز عن

مساويها فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا وقد قال الجاحظ في كتاب البيان يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدنا فإنه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فلودعها ذلة المظالمين وان تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن اودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده اهدم ونهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ في صلاحها واوفر في اجتهادها لان للنفس جورا لا ينفك الا بالسخط عليها وغرورها لا يكشف الا بالتهمة لها لانها محبوبة تجور ادلا ولا تفر مكرافا لم يسيء الظن بها غلب عليه جورها وعمو، عليه غرورها فصار يبسورها قائما وبالشبهة من افعالها راضيا وقد قالت الحكماء من رضى عن نفسه اسخط عليه الناس وقال كشاجم

- * لم ارض عن نفسي بخافة سخطها * ورضى الفتى عن نفسه اغضابها *
- * ولو اننى عنها رضيت لقصرت * عما تزيد بمثله آدابها *
- * وتبينت آثار ذاك فاكثرت * عدلى عليه فطال فيه عتابها *

﴿ وقد استحسن قول ابى تمام الطائى ﴾

- * وبيىء بالاحسان ظنا لا كنى * هو بانسه وبشعره مقنون *
- فلم يروا اساءة ظنه بالاحسان ذما ولا استقلال عليه لوما بل رأوا ذلك ابلغ في الفضل وابتعث على الازدياد فاذا عرف من نفسه ما يجنب وتصور منها ما تكن ولم يطاوعها فيما يحب اذا كان غيا ولا صرف عنها ما تكره اذا كان رشدا فقد ملكها بعد ان كان في ملكها وغلبها بعد ان كان في غلبها وقد روى ابو حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد من غلب نفسه وقال عون بن عبد الله اذا عصمتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احبت ولا يفرتك نساء من جهل امرك وقال بعض البلغاء من قوى على نفسه تناسه في القوة ومن صبر عن شهوته بالغ في البروة فيبتذ ياخذ نفسه عند معرفة ما اكنت وخبرة ما اجنت بتقوم عوجها

واصلاح فاسدها وقد روى عن عائشة رضی الله عنها انها قالت يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه ثم يراعى منها ما صلح واستقام من زيع يحدث عن اغفال او ميل يكون عن اهمال ليم له الصلاح وتستديم له السعادة فان المغفل بعد المعاناة ضائع والمهمل بعد المراجعة زائع وسذكر من احوال ادب الرياضة والاستصلاح فصولا تحتوى على ما يلزم مراعاته من الاخلاق ويحب معاناته من الادب وهي ستة فصول متفرعة ﴿ الفصل الاول ﴾ في مجانبة الكبر والاعجاب لانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استولى عليه اصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالمرتلة والعجب يكون بالفضيلة فالتكبر يجعل نفسه عن رتبة التاملين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين فلذلك وجب تقديم القول فيهما بايانة ما يكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم ﴿ فتقول ﴾ اما الكبر فيكسب المقت ويلهى عن التأف ويوغر صدور الاخوان وحسبك بذلك سواء عن استقصاء ذمه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس انهك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحتجب منهما وقال ازدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدر صاحبه اين يذهب به فيصرفه الى الكبر وما اشبه ما قال بالحق وحكى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن ابي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال يا ابا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال المهلب اما تعرفني فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فاخذ بن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال

- * * *
 * * *
 * * *

وقد كان المهلب افضل من ان يخدع نفسه بهذا الجواب الغير صواب ولكنها زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فاما الحق الصريح والجهل القبيح فهو ما حكى عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس في حلقة العلاء بن

عبد الرحمن الخرقى وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال أتدرون لم جلست اليكم قالوا
 جلست لتسمع قال لا ولكنى اردت ان اتواضع لله بالجلوس اليكم فهل يرجى من
 هذا فضل او ينفع فيه عدل وقد قال ابن المعتز لما عرف اهل التقص حالهم عند
 ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل واما
 الاعجاب فيعنى المحاسن ويظهر المساوى ويكسب المذام ويصد عن الفضائل وقد
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجب لياكل الحسنات كما تأكل
 النار الحطب وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه الاعجاب ضد الصواب
 وآفة الالباب وقال بزرجهر النعممة التى لا يحسد صاحبها عليها التواضع
 والبلاء الذى لا يرحم صاحبه منه العجب وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه
 احد حساد عقله وليس الى ما يكسبه الكبر من المقت حد ولا الى ما ينتهى اليه
 العجب من الجهل غاية حتى انه ايطفئ من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل
 ما اشتهر وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة مع ما يثيره من
 حنق ويكسبه من حقد حتى عمر بن حفص قال قيل للحاج كيف وجدت منزلك
 بالعراق قال خير منزل لو كان الله بلاننى قتل اربعة فقربت اليه بدمائهم ولما
 ولى مقاتل بن مسمع سجستان اتاه الناس فاعطاهم الاموال فلما عزل دخل
 مسجد البصرة فبسط الناس له ارجلهم فمشى عليها وقال لرجل يماشيه مثل هذا
 فليعمل العاملون وعبد الله بن زياد بن ظبيان التميمى خوف اهل البصرة امر
 فخطب خطبة اوجز فيها فنادى الناس من اعراض المسجد اكثر الله فينا
 مثلك فقتل لقد كلفتم الله شططا ومعبد بن زراعة كان ذات يوم جالسا فى طريق
 فمرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال يا هناة
 مثلى يكون من عبيد الله وابو شمال الاسدى اضل راحلته فالتسها الناس فلم
 يجدوها فقال والله ان لم يرد الى راحلتى لا صليت له صلاة ايدا فالتسها الناس
 فوجدوها فقالوا له قد رد الله راحلتك فصل فسال ان يمين يمين مصر فانظر
 الى هؤلاء كيف افضى بهم العجب الى حنق صاروا به نكالا فى الاولين ومثلا
 فى الآخريين ولو تصور العجب المتكبر ما فطر عليه من جلبة وبلي به من
 مهنة لخفض جناح نفسه واستبدل لينا من عتوه وسكوتها من نفوره وقال

الاحنف بن قيس عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعراء الانسان فقال

- * يا مظهر الكبر اعجابا بصورته * انظر خلاك فان التثريب
- * لو فكر الناس فيما في بطونهم * ما استشعر الكبر شبان ولا شب
- * هل في ابن آدم مثل اراس مكرمة * وهو بخمس من الاقدار مضروب
- * انف يسيل واذن ريحها سهك * والعين مرفضة والثغر ملعوب
- * يا ابن التراب وما كول التراب غدا * اقصر فانك ما كول ومشروب

واحق من كان للكبر مجانبا وللإعجاب مباينا من جل في الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه قد يستقل بعالي همة كل كثير ويمتصغر معها كل كبير وقال محمد ابن علي لا ينبغي للشريف ان يرى شيئا من الدنيا لنفسه خطيرا فيكون بها نادها وقال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعت في شرفك اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان معنى واحد التواضع والشرف • وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه يخلو اليد وتفوز الامر وقلة مخالطة الاكفاء وحكى ان قوما مشوا خلف علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابعدوا عني خضق نعالكم فانها مفسدة لقلوب نوكي الرجال ومشوا خلف ابن مسعود فقال ارجعوا فانها زلة للتابع وفتنة للمتبع وروى قيس بن حازم ان رجلا اتى به للنبي صلى الله عليه وسلم فاصابته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حينما لمواد الكبر وقطعا لذرائع الإعجاب وكسرا لاشم النفس وتذليلا لسطوة الاستعلاء ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رأيتني اربعي على خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي القبضة من التمر والزبيب فاظل اليوم وامي يوم فقال له عبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين ما زدت علي ان قصرت بنفسك فقال عمر رضي الله عنه ويحك يا ابن عوف اني خلوت فحدثني تقمى فقالت انت امير المؤمنين فغن اذا افضل منك فاردت ان اعرفها تقسها •

وللاعجاب اسباب فمن اقوى اسبابه كثرة مديح المتقربين واطراء المتعلقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبا والتلق خديعة وملبسا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة اغروا اربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكى رجلا فقال له قطعت مطاه لو سمعها ما افلح بعدها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح كإدح نفسه وقال بعض الحكماء من رضى ان يمدح بما ليس فيه فقد امكن الساخر منه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتمايح فانه الذبح ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكى على الله احدا وقيل فيما انزل الله عز وجل من الكتب السالفة عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيركف يفرح وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف بغضب وقال بعض الشعراء

* يا جاهلا غره افراط مادحه * لا يغلبن جهل من اطراك علمك بك *
* اثني وقال بلا علم احاط به * وانت اعلم بالمحصول من ريبك *
وهذا امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه عن ان يستفزها ويمنعها من تصديق المدح لها فان للنفس ميلا لحب الثناء وسماع المدح وقال الشاعر

* يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان *
فاذا ساع نفسه في مدح الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل الممدوحة ولها بها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا يتخذع بهما ميمر وليعلم ان التقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الالباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته وليكن تهمة المادح اغلب عليه فقل مدح كان جيده صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك كره اهل الفضل ان يطلقوا السنتهم بالثناء والمدح تجرزا من التجاوز فيه وتزنيها عن التلق به وقد روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا اعيابين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا ممتاوتين وحكى الاصمعي ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان اذا مدح قال اللهم انت

اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي
ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وقال بعض الشعراء

* اذا المرء لم يمدحه حسن فعاله * فادحه يهذي وان كان مفصحا *

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه ان الناس قد
غفلوا عن فضله واخلوا بحقه واما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء
فيعتقدون ان قوله حق متبع وصدق مستمع واما لتلذذه بسماع الثناء وسرور نفسه
بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا ولا غناء متمنا ولا ي
ذلك كان فهو الجهل الصريح والتقص الفضيح وقد قال بعض الشعراء

* وما شرف ان يمدح المرء نفسه * واكن اعمالا تدم وتمدح *

* وما كل حين يصدق المرء ظنه * ولا كل اصحاب التجارة يربح *

* ولا كل من ترجو لغيرك حافظ * ولا كل من ضم الوديعه يصلح *

وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق الذين هم اصفياء القلوب ومرايا
الحاسن والعيوب على ما يذهبونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها
فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعلون ما يذهبونه عليه من مساويه عوضا عن
تصديق المدح فيه وقد روى انس بن مالك عن النبي الله عليه وسلم انه قال
المؤمن مرآة المؤمن اذا رأى فيه عيبا اصلحه وكان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يقول رحم الله امرء اهدى النساء مساويتنا وقيل لبعض الحكماء أحب ان
تهدى اليك عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روى عن
عمر رضى الله عنه انه قال لابن عباس رضى الله عنهما من ترى ان نوليه حص
فقال رجلا صحيفا منك صحيفا لك قال تكون انت ذلك الرجل قال لا تنتفع بي مع
سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في مشور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد
زكاهها فاذا قطع اسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب
توددا وذلك من اوكد اسباب الكرامة واقيوى مواد النعم وابلغ شافعا الى القلوب
يعطفها الى المحبة ويثنيها على البفض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث
نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من الجخل نال الشرف ومن برئ
من الكبر نال الكرامة وقال مصعب بن ازيير التواضع مصاد الشرف وقيل في

منور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم
اخلاقاً مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولاخري فضايل محمودة يبعث عليها زكاء
شيعهم لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر
مخزونها لا سيما اذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تأهب وقد قال بعض
الحكماء في تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت
ولايته فوق قدره تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض
البلغاء الناس في الولاية رجلا ن رجل يجمل العمل بفضله ومروءته ورجل يجمل
بالعمل لنقصه ودناءته فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ومن جل عنه
عمله ازداد به تجبرا وتكبيرا ❖ الفصل الثاني في حسن الخلق ❖ روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموه
بحسن الخلق والسخاء فانه لا يكمل الا بهما وقال الاحتف بن قيس الا اخبركم
بانوا الداء قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذي وقال بعض الحكماء
من ساء خلقه ضاق رزقه وعله هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغاء الحسن
الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسئ الخلق الناس منه في بلاء
وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء عاشر اهلك باحسن اخلاقك فان
الثواء فيهم قليل وقال بعض الشعراء

* اذا لم تنس اخلاق قوم * تضيق بهم فسحات البلاد *
* اذا ما المرء لم يخلق ليبيسا * فليس اللب عن قدم الولاد *

فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الامور
الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال بعض
الحكماء من سعة الاخلاق كنوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة
الاصفياء المسعدين وقلة الاعداء المحققين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
احبكم الى احسنكم اخلاقا الموطن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وحسن الخلق
ان يكون سهل العريكة لين الجانب طليق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقد بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال اهل الجنة كل هين لين سهل

طليق ولما ذكرنا هذه الاوصاف من حدود مقدرة ومواقع مستحقة كما قال الشاعر
 * اصفو واكدر احبانا لمختبرى * وليس مستحسنا صفو بلا كدر *
 وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق فان ذلك ذم لا يستحسن
 وعيب لا يرتضى وانما يريد الكف والاتقباض في موضع يلام فيه المساعد ويذم
 فيه الموافق فاذا كانت لمحاسن الاخلاق حدود مقدرة ومواقع مستحقة فان
 تجاوز بها الحد صارت ملقبا وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق
 ذل والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا اثر مشكور وقد روى حكيم
 عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف الناس
 ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وروى مكحول عن ابي هريرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لذى الوجهين ان يكون وجهها
 عند الله تعالى وقال سعيد بن عروة لان يكون لى نصف وجهه ونصف لسان على
 ما فيهما من قبح النظر وعجز الخبر احب الى من ان يكون ذا وجهين وذا
 لسانين وذا قولين مختلفين وقال الشاعر

* خلل النفاق لاهله * وعليك فالتمس الطريقا *
 * وارغب بنفسك ان ترى * الا عدوا او صديقا *

❁ وقال ابراهيم بن محمد ❁

* وكم من صديق وده بلسانه * خون بظهر الغيب لا يتذم *
 * يضاحكنى عجبا اذا ما لقيته * ويصدقني منه اذا غبت اسهم *
 * كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا * وفي غيبه ان غاب صاب وعلم *

وربما تغير حسن الخلق والوطاء الى الشراسة والبذاء لاسباب عارضة وامور
 طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا * فمن اسباب ذلك
 الولاية التي تحدث في الاخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا اما من لؤم طبع واما
 من ضيق صدر وقد قيل من تاه في ولايته ذل في عزله وقيل ذل العزل يضحك
 من تيه الولاية ومنها العزل فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر اما لشدة
 اسف او لقلته صبر حتى جيد الطويل ان عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد
 ذلك عليه وقال انى وجدتها حلوة الرضاع غرة الفطام * ومنها الغنى فقد

تغير به اخلاق اللثيم بطرا وتسوء ظرائفه اشرا وقد قيل من نال استطال وانشد
الرياشي

* غضبان يعلم ان المال ساق له * ما لم يسقه له دين ولا خلق *
* فمن يكن عن كرام الناس يسألني * فأكرم الناس من كانت له ورق *
* وقال بعض الشعراء *

* فان تكن الدنيا انا لك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر *
* لقد كشف الاثراء منك خلاثقا * من الأؤم كانت تحت ثوب من الفقر *
وبحسب ما افسده الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتبية بن مسلم الى الحبيص
ان اهل الشام قد التاثوا عليه فكتب اليه ان اقطع عنهم الارزاق ففعل فسأت
حاليهم فاجتمعوا اليه فقالوا أفلنا فكتب الي الحبيص فيهم فكتب اليه ان كنت
انست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى واعلم ان الفقر جسد الله الاكبر
يدل به كل جبار عنيد يتكبر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا
ان الله تعالى اذل ابن آدم بثلاث ما طأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت *
ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق اما انفة من ذل الاستئانة او اسفا على فائت
الغنى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كاذ الفقر ان يكون كفرا وكاذ الحسد
ان يغلب القدر وقال ابو تمام الطائي

* وابعج حالات ابن آدم خلقه * يضل اذا فكرت في كنهه الفكر *
* فيفرح بالشيء القليل بقاؤه * ويحزع مما صنار وهو له زخر *
وربما تسلى من هذه الحسالة بالاماني وان قل صدقها فقد قيل قل ما تصدق
الامنية ولكن قد يعتاض بها سلوة من هم او مسرة برجا وقد قال ابو العناهيم
* حرك منك اذا اغتمت فانهن مراوح *

﴿ وقال آخر ﴾

* اذا غتمت بت الليل مغتبطا * ان المنى راس اموال المغاليس *
ومنها الهموم التي تذهل اللب وتشفل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على
صبر وقد قيل الهم كالسم وقال بعض الادباء الحزن كالداء المنحزون في فؤاد
المنحزون وقال بعض الشعراء

* همومك بالغيث مقرونة * فما تقطع الغيـث الا بهم *

- * اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم *
- * اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم *
- * وحام عليها بشكر الاله فان الاله سريع النعم *
- * حلاوة دنياك مسمومة * فاما تأكل الشهد الا بسم *
- * فكم قدر دب في مهلة * فلم يعلم الناس حتى هجم *

ومنهما الامراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبق الاخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال وقد قال المنبي

- * آله العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولي *
- * واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا *
- * واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا *
- * ابدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا *

❖ ومنها ❖ علو السن وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد كذلك يكون تأثيره في اخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من اثقال فكذلك تجز النفس عن اثقال ما كانت تصير عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه وقال منصور النمرى

- * ما كنت اوفى شبابي كنه عزته * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع *
- * اصبحت لم تطعمي ثكل الشباب ولم * تشجى لفسته فلعذر لا يقع *
- * ما كان اقصر ايام الشباب وما * ابقي حلاوة ذكراه التي تدع *
- * ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنده ومرتدع *
- * قدكدت تقضى على فوت الشباب اسي * لولا يعزيك ان العمر منقطع *

فهذه سبعة اسباب احدثت سوء خلق كان عاما وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورا على المنغض فيؤول الى سوء خلق يخصه دون غيره فاذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالضد ❖ الفصل الثالث في الحياء ❖ اعلم

ان الخير والشر معال كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في امثالها تخبر عن
مجهولة مرآتها وكما قال عمر بن سلم الشاعر

* لا تسأل المرء عن خلأته * في وجهه شاهد من الخير *

فسمه الخير الدعة والحياء وسمة الشر القحة والبذاء وكفى بالحياء خيرا ان يكون
على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا ان يكونا الى الشر سبيلا وقد روى
حسان بن عطية عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء
والحي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ويشبه ان يكون
الحي في معنى الصمت والبيان في معنى التشاؤم كما جاء في الحديث الآخر
ان ابغضكم الى الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وروى ابو سلمة عن
ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان
والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار وقال بعض الحكماء من كساه
الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وقال بعض البلغاء حياة الوجه بحياؤه كما ان حياة
الفرس بمائة وقال بعض البلغاء العلماء يا عجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا
تستحي وتبقى من طول ما لا تبقى وقال بعض الشعراء وهو صالح بن عبد القدوس

* اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير في وجه اذا قل ماؤه *

* حياؤك فاحفظه عليك وانما * يدل على فعل الكرم حياؤه *

وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور فهو يقدم على ما
يشاء وبأنى ما يهوى و بذلك جاء الخبر روى شعبة عن منصور بن ربيعي عن
ابي منصور البدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من
كلام النبوة الاول يا ابن آدم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وليس هذا القول
اغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء كما توهمه بعض من جهل معاني الكلام

ومواضع الخطاب وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر

* اذا لم تخش عاقبة اليبالى * ولم تستحي فاصنع ما تشاء *

* فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء *

* يعيش المرء ما استحي بخير * ويبقى العود ما بقي اللحاء *

واختلف اهل العلم في معنى هذا الخبر فقال ابو بكر بن محمد الشاشي في اصول

الفقه معنى هذا الحديث ان من لم يستحي دعاه ترك الحياء الى ان يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستحي المرء فان الحياء يردعه وسمعت من يحكي عن ابي بكر الرازي من اصحاب ابي حنيفة ان المعنى فيه اذا عرضت عليك افعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها الحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل الحياء حكما على افعاله وكلا القولين حسن والاول اشبه لان الكلام خرج من النبي صلى الله عليه وسلم مخرج الذا لا يخرج المدح لكن قد جاء الحديث بما يضاهاى القول الثانى وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما احببت ان تسمعه اذناك فأتته وما كرهت ان تسمعه اذناك فأجنته ويجوز ان يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الاول فى الحديث المتقدم اصح اذ ليس يلزم ان تكون احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعاني بل اختلاف معانيها ادخل فى الحكمة وابلغ فى الفصاحة اذا لم يصاد بعضها بعضا واعلم ان الحياء فى الانسان قد يكون من ثلاثة اوجه احدها حياة من الله تعالى والثانى حياة من الناس والثالث حياة من نفسه فاما حياة من الله تعالى فيكون بامثال اوامره والكف عن زواجره وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله عز وجل حق الحياء فقيل يا رسول الله فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء قال من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والى فقد استحيى من الله عز وجل حق الحياء وهذا الحديث من ابلغ الوصايا وقال ابو الحسن الماوردى مصنف الكتاب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ذات ليلة فقلت يا رسول الله اوصنى فقال استحي من الله عز وجل حق الحياء ثم قال تغير الناس قلت وكيف ذلك يا رسول الله قل كنت انظر الى الصبي فارى من وجهه البشر والحياء وانا انظر اليه اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها واذهلنى السرور عن حفظها ووددت انى لو حفظتها فلم يبدأ بشئ صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل ما سلبه الصبي من البشر والحياء سببا لتغير الناس وخص الصبي لان ما يأتيه بالطبع من غير تكلف فصلى الله وسلم على من هدى امته وتابع اذارها وقطع اعذارها واوصل تأديبها

وحفظ تهذيبها وجعل لكل عصر حظا من زواجره ونصيبا من اوامره اعانا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق وقد روى ان علقمة بن علانة قال يا رسول الله عظني فقال النبي صلى الله عليه وسلم استحي من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قللة الحياء كفر يعنى من الله لما فيه من مخالفة اوامره وقال صلى الله عليه وسلم الحياء نظام الايمان فاذا انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق واما حياؤه من الناس فيكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقيح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى الله اتى الناس وروى ان حذيفة بن اليمان اتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال لا خير فيمن لا يستحي من الناس وقال بشار ابن برد

- * ولقد اصرف الفؤاد عن الشيء حياء وحبسه في السواد *
- * امسك النفس بالعفاف وامسى * ذاكرا في غد حديث الاعادى *
- وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وخب الثناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أتى جلاب الحياء فلا رغبة له يعنى والله اعلم لقلته مروءته وظهور شهوته وروى الحسن عن ابى هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم ان مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه والقه وجلسه وقال بعض الشعراء
- * ورب قبجة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء *
- * اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب في الامور كما يشاء *

❁ وقال آخر ❁

- * اذا لم تصن عرضا ولم تحش خالقا * وتستحي مخلوقا فاشئت فاصنع *
- واما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات وقال بعض الحكماء ليكن استحيائك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقال بعض الادباء من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يحبهم وقال اتى دخلت البارحة في الاربعين وانا استحي من سنى وقال بعض الشعراء

* فسرى واعلاني وتلك خليقتي * وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري *
 وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فحتى كمل
 حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب
 الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل المذكورا وقال بعض الشعراء
 * واني لثني عن الجهل والحميا * وعن شتم ذى القربى خلائق اربع *
 * حياء واسلام وتقوى وطاعة * لربي ومشلى من يضر وينفع *
 وان اخل باحد وجوه الحياء لحقه من النقص باخلاله بقدر ما كان يلحقه من
 الفضل بكماله وقد قال اليراشي يقال ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان
 يتمثل بهذا الشعر

* وحاجة دون اخرى فد سحنت لها * جعلتها للتي اخفيت عنوانا *
 * انى كأتى ارى من لا حياء له * ولا امانة وسط القوم عريانا *
 ❖ الفصل الرابع في الحلم والغضب ❖ روى محمد بن حارث الهلالى ان جبريل
 نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى اتيتك بمكارم الاخلاق فى
 الدنيا والآخرة خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وروى سفيان
 ابن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية قال يا جبريل ما هذا
 قال لا ادرى حتى اسأل العالم ثم عاد جبريل وقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل
 من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وروى هشام عن الحسن ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال أبعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج
 من منزله قال اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك وروى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال ان الله يحب الحليم الحى ويغض الفاحش البذى وقال عليه
 الصلاة والسلام من حلم ساد ومن تفهم ازداد وقال بعض الادباء من غرس شجرة
 الحلم اجتنى ثمرة السلم وقال بعض البلغاء ما ذب عن الاعراض كالصفيح والاعراض
 وقال بعض الشعراء

* احب مكارم الاخلاق جهدى * واكره ان اعيب وان اجابا *
 * واصفح عن سباب الناس حلما * وشر الناس من يهوى السبابا *
 * ومن هاب الرجال تهيبوه * ومن حقر الرجال فلن يهابا *

فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوى الالباب لما فيه من سلامة العرض
وراحة الجسد واجتلاب الحمد وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول
عوض الخليم عن حبه ان الناس انصاره وخذ الحلم ضبط النفس عن هيجان
الغضب وهذا يكون عن باعث وسبب واسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس
عشرة ﴿ احدها ﴾ الرجعة للجهال وذلك من خير يوافق رقة وقد قيل في مثوره
الحكم من اوكد الحلم رجعة الجهال وقال ابو الدرداء رضى الله عنه لرجل
اسمعه كلاما ياهذا لا تعرفن في سبنا ودع للصالح موضعا فاننا لانكافئ من عصي الله
فيا باكثر من ان نطيع الله عز وجل فيه وشتم رجل الشعي فقال ان كنت
كما قلت فغفر الله لي وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك واغتاضت عائشة
رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما
تركت لذي غيظ شفاء وقسم معاوية رضى الله عنه قطافا فاعطى شيخا من اهل
دمشق قطيفة فلم تجبه فحلف ان يضرب بها رأس معاوية فاتاه فاخبره فقال
له معاوية اوف ببنورك وليرفق الشيخ بالشيخ ﴿ والثاني ﴾ من اسبابه القدرة على
الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة وقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه
وقال بعض الحكماء ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة
وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقتدر وجود المقتدر ﴿ والثالث ﴾ من اسبابه
الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قالت الحكماء شرف
النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المكارم وقد قيل ان الله تعالى سمي يحيى عليه
السلام سيدا حلمة وقد قال الشاعر

* لا يبلغ المجد اقوام وان كرموا * حتى بذلوا وان عزوا لاقوام *
* ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح احلام *
﴿ والرابع ﴾ من اسبابه الاستهانة بالسئ وذلك عن ضرب من الكبر والاعجاب
كما حكى عن مصعب بن الزبير انه لما ولى العراق جلس يوما لعطاء الجند وامر
مناديه فتادى ابن عمرو بن جرموز وهو الذى قتل اباة الزبير فقبل له ايها الامير
انه قد تباعد في الارض فقال اؤبظن الجاهل انى اقيده ياى عبد الله فليظهر

أما لياخذ عطسه موفرا فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره

* أوكلما طن الذباب طردته * ان الذباب اذا على كريم *
وأكثر رجل من سب الاحنف وهو لا يجيبه فقال والله ما منعه من جوابي الا هوانى عليه وفي مثله يقول الشاعر

* نجا بك لو لمك منجى الذبا * ب حته مقاذيره ان ينالا *
واسمع رجلا ابن هبيرة فاعرض عنه فقال له الرجل اياك اعنى فقال له وعنك اعرض وفي مثله يقول الشاعر

* فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل *
❖ وقال عمرو بن على ❖

* اذا نطق السفية فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت *
* سكت عن السفية فظن انى * عيت عن الجواب وما عيت *

❖ والخامس ❖ من اسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكال الروية وقد قال بعض الحكماء احتمال السفية خير من التحلى بصورته والاعضياء عن الجاهل خير من مشاكته وقال بعض الادباء ما افحش حكيم ولا اوحش كريم وقال لقبط بن زرارة

* وقل لبي سعد فالى وما لكم * ترقون منى ما استطعتم واعتق *
* أغركم انى باحسن شية * بصير وانى بالفواحش اخرق *
* وان تك قد فاحشنى فقهرتنى * هنيئا مرشانت بالفحش احنق *

❖ والسادس ❖ من اسبابه التفضل على السباب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم فقال هما بعد العقوبة اعذر فى تقصى وتلبي فكان هذا تفضلا منه وتألفا وقد حكى عن الاحنف بن قيس انه قال ما عادانى احد قط الا اخذت فى امره باحدى ثلاث خصال ان كان اعلى منى عرفت له قدره وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان نظيرى تفضلت عليه فاخذته الخليل فنظمه شعرا فقال

* سألزم نفسى الصفيح عن كل مذنب * وان كثرت منه الى الجرائم *

- * فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم *
- * فاما الذي فوق فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم *
- * واما الذي دوني فاحلم دأبها * اصون به عرضي وان لام لاثم *
- * واما الذي مثلي فان زل او هفا * تفضلت ان الفضل بالفخر حاتم *
- ﴿ والسابع ﴾ من اسبابه استنكاف السبب وقطع السبب وهذا يكون من الحزم كما حكى ان رجلا قال لضرار بن القعقاع والله لو قلت واحدة سمعت عشرا فقال له ضرار والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وحكى ان على ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهري من احق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال وقال الشعبي ما ادرى كمت امي فابرها ولكن لا اسب احدا فيسبها وقال بعض الحكماء في اعراضك صون اعراضك وقال بعض الشعراء
- * وفي الحلم ردع للسفاه عن الاذى * وفي الخرق اغراء فلا تك اخرقا *
- * فتبسم اذا لا تنفعلك ندامة * كما ندم المغبون لما تفرقا *

﴿ وقال آخر ﴾

- * قل ما بدالك من زور ومن كذب * حلمي اصم واذني غير صماء *
- ﴿ والثامن ﴾ من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من ضعف النفس وربما اوجبه الرأي واقتضاه الحزم وقد قيل في منشور الحكم الخلم حجاب الآفات وقال الشاعر
- * ارفق اذا خفت من ذى هفوة خرقا * ليس الخليم كمن في امره خرق *
- ﴿ والتاسع ﴾ من اسبابه الرعاية ليد سالفه وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد وقد قيل في منشور الحكم اكرم الشيم ارحاها للذم وقال الشاعر
- * ان الوفاء على الكريم فريضة * واللؤم مقرون بذى الاخلاق *
- * وترى الكريم لمن يعاشر منصفا * وترى اللئيم بجانب الانصاف *
- ﴿ والعاشر ﴾ من اسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء وقد قيل في منشور الحكم من ظهر غضبه قل كيدته وقال بعض الادباء غضب

الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله وقال بعض الحكماء اذا سكنت عن الجاهل
فقد اوسغته جوابا واوجعته عتبا وقال اياس بن قتادة

* تعاقب ايدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالنكلم
❖ وقال بعض الشعراء ❖

* ولكف عن شتم اللئيم تكريما * اضر له من شتمه حين يشتم
فهذه عشرة اسباب تدعو الى الحلم وبعض الاسباب افضل من بعض وليس اذا
كان بعض اسبابه مفضولا ما يقتضى ان تكون نتيجته من الحلم مذمومة وانما
الاولى بالانسان ان يدعو للحلم افضل اسبابه وان كان الحلم كله فضلا وان عرى
عن احد هذه الاسباب كان ذلا ولم يكن حلالا لنا قد ذكرنا في حد الحلم انه ضبط
النفس عن هيجان الغضب فاذا فقد الغضب لسمع ما يغضب كان ذلك من ذل
النفس وقلة الحمية وقد قالت الحكماء ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن لا يعرف
الجواد الا في العسرة والشجاع الا في الحرب والحليم الا في الغضب وقال الشاعر
* ليست الاحلام في حال الرضى * انما الاخلام في حال الغضب

❖ وقال آخر ❖

* من يدعى الحلم اغضبه لتعرفه * لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب
وانشد النابغة الجعدى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
* ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدر
* ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حلیم اذا ما اورد الامر اصدرا
فلم ينكر صلى الله عليه وسلم قوله عليه ومن فقد الغضب في الاشياء المغضبة حتى
استوت حالته قبل الاغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة
والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من الغضب
فاذا عدمها الانسان هان بها ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع ولا
لوفور حله في القلوب موقع وقد قال المنصور اذا كان الحلم مفسدة كان العفو
مجزة وقال بعض الحكماء العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وقال
عمرو بن العاص اكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم العار والشنار وقال مصعب بن
الزبير ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال ابو تمام الطائي

* والحرب تركب رأسها في مشهد * عدل السفية به بالف حلیم *
وليس هذا القول اغراء بتحکم الغضب والانتقياد اليه عند حدوث ما يغضب
فيكسب بالانتقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يسلبه عدم الغضب من الفضائل
ولكن اذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه واطفاً نأرتيه
بحلمه ووكل من استحق المقابلة الى غيره ولم يعدم مسيئاً مكافياً كما لم يعدم محسناً
مجازياً والعرب تقول دخل بيتنا ما اخرج منه اي ان اخرج منه خير دخله خير وان
اخرج منه شر دخله شر وانشد ابن دريد عن ابي حاتم

* اذا امن الجهال جهلك مرة * فعرضك للجهال غم من الغم *
* فعم عليه الحلم والجهل والقه * بمنزلة بين العداوة والسلام *
* اذا انت جازيت السفية كما جرى * فانت سفية مثله غير ذى حلم *
* ولا تغضب من عرض السفية وداره * بحلم فان اعيا عليك فبالصرم *
* فيرجوك تارات ويخشاك تارة * ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم *
* فان لم تجد بدامن الجهل فاستعن * عليه بجهال فذاك من العزم *

وهذه من احكم ابيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير انما يستعمل
فيما لا يجد الانسان بدامن مقارنته ولا سبيل الى اطراحه ومطاركته اما الخوف
شره او للزوم امره فاما من امكن اطراحه ولم يضر ابعاده فالهوان به اولى
والاعراض عنه اصوب فاذا كان على ما وصفت استفاد بتحرك الغضب فضائله
وامن بكف نفسه عن الانتقياد له رذائله وصار الحلم مدبراً للامور المفضية بقدر
لا يعتره نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب عنه الحلم حتى
انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف رأيه عن خيرة اسبابه ودواعيه
حتى يصير بليد الرأى مغمور ازوية مقطوع الحجة. مسلوب العزاء قليل الخيلة
مع ما يناله من اثر ذلك في نفسه وجسده حتى يصير اضر عليه مما غضب له
وقد قال بعض الحكماء من كثر شططه كثر غلطه وروى ان سلمان قال لعلي
رضي الله عنه ما الذي يساعدني عن غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقال
بعض السلف اقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل اذا غضب وقال
بعض البلغاء من رد غضبه هد من اغضبه وقال بعض الادباء ما هيح جاشك

كعظ اجاشك وقال رجل لبعض الحكماء عظمي قال لا تغضب فيبغى
لذي اللب السوى والحزم القوى ان يتلقى قوة الغضب بحمله فيصدها ويقابل
دواعي شرته بحزمه فيردها ليعطى باجل الخبرة ويسعد بحميد العاقبة وقال بعض
الادباء في اغضابك راحة اعصابك وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس من
دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس من فوقها والغضب يتحرك
من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد الى داخله
فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب ويكون الحزن وصار
الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه والحادث عن الحزن المرض
والاسقام لكمونه ولذلك افضى الحزن الى الموت ولم يفض اليه الغضب فهذا
فرق ما بين الحزن والغضب • واعلم ان لتسكين الغضب اذا هجم اسبابا
يستعان بها على الحلم * منها * ان يذكر الله عز وجل فيدعوه ذلك الى الخوف
منه ويخشه الخوف منه على الطساعة له فيرجع الى ادبه وياخذ بنديه فعند ذلك
يزول الغضب قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال عكرمة يعني اذا غضبت
وقال الله تعالى واما يزنغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله ومعنى قوله يزنغتك
اي يفضت بك فاستعد بالله انه هو السميع العليم يعني انه سميع بجهل من جهل
عليم بما يذهب عنك الغضب وذكر ان في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرني
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا تحمقك فيمن اصحق وحكى ان بعض ملوك
الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له وقال اذا غضبت فناولنيه وكان فيه مالك
والغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحك من في السماء وقال بعض
الحكماء من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله وقال عبد الله بن
مسلم بن محارب لهارون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي انت بين يديه اذل
منى بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عنى فعنى
عند لما ذكره قدرة الله تعالى وروى ان رجلا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوائف
اذا غضب التي عنده مفايح ترب الملوك فيزول غضبه ولذلك قال عمر رضى الله
عنه من اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير * ومنها * ان ينتقل عن

الحالة التي هو فيها الى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الاحوال والتقل
من حال الى حال وكان هذا مذهب المؤمن اذا غضب او شتم وكانت انفس
تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا غضب الجالس فليقم ﴿ ومنها ﴾ ان يتذكر
ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وكتب ابرويز الى ابنه شيرويه ان
كلمة منك تسفك دما واخرى منك تحقن دما وان نفاذ امرك مع كلامك فاحترس
في غضبك من قولك ان تحطى ومن لوتك ان يتغير ومن جسدك ان يخف فان
الملوك تعاقب قدرة وتعفو حملا وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز
وعلى من تملك لؤم وقال بعض الادباء اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذل
العذر وقال بعض الشعراء

* واذا ما اعتراك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعذار *
﴿ ومنها ﴾ ان يذكر ثواب العفو وجزاء الصفيح فيقهر نفسه على الغضب
رغبة في الجزاء والثواب وجزا من استحقاق الدم والعقاب روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى مناد يوم القيامة من له اجر على الله عز
وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا من عفا واصلح فاجره على الله
وقال رجاء بن حية لعبد الملك بن مروان في اسارى ابن الاشعث ان الله قد
اعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الخير ثلاث خصال فمن كن فيه فقد استكمل الايمان
من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل واذا غضب لم يخرج غضبه من حق واذا
قدر عني واسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما فقال عمر اردت ان يستغزني
الشیطان لعزة السلطان فانال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف رجك الله
﴿ ومنها ﴾ ان يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه فلا يرى اذاعة
ذلك بتغير الناس عنه فيرغب في التألف وجيل الثاء وروى ابن ابي ليلى عن
عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد احد بعفو
الاجرا فاعفوا بعزكم الله وقال بعض البلغاء ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام
ولا من شروط الكرم ازالة النعم وقال المؤمن لابراهيم بن المهدي اني شاورت
في امرك فاشاروا على بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكهرت القتل

للإلزام حرمتك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة
الا انك ايدي ان تغلب التصبر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك
نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشأ يقول

- * البر بي منك وطأ العذر عندك لي * فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم *
- * وقام علمك بي فاحجج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم *
- * لئن جحدتك معروفا مننت به * اني لفي اللؤم احظى منك بالكرم *
- * تعفو بعدل وتسطون سطوت به * فلا عدمنك من عاف ومنتقم *

❦ الفصل الخامس في الصدق والكذب ❦ قال الله تعالى وهو اصدق القائلين
ثم نبه على لعنة الله على الكاذبين وقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بآيات الله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للحسن بن علي
رضي الله عنه ما دع ما يريك الى ما لا يريك فان الكذب ريبة والصدق طمأنينة
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحمه الله امرء اصلح من لسانه واقصر من
عنانه وازم طريق الحق مقوله ولم يعود الخطل مفصله وروى صفوان بن سليم
قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ايكون المؤمن جبانا قال نعم قيل افيكون بخيلا
قال نعم قيل افيكون كذابا قال لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولا
تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل في مشور الحكم
الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال بعض الحكماء
الحرس خير من الكذب وصدق اللسان اول السعادة وقال بعض البلغاء الصادق
مصان خليل والكاذب مهان ذليل وقال بعض الادباء لا سيف كالحق ولا عون
كالصدق وقال بعض الشعراء

- * وما شئ اذا فكرت فيه * باذهب للهموة والجمال *
 - * من الكذب الذي لا خير فيه * وابعد بالبهاء من الرجال *
- والكذب جاع كل شروا اصل كل ذم لسوء عواقبه وخبت نتائجه لانه يتبع
النميمة والنميمة تتبع البغضاء والبغضاء تؤول الى العداوة وليس مع العداوة امن
ولا راحة ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه والصدق والكذب يدخلان

الاخبار الماضية كما ان الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلية فالصدق هو الاخبار عن الشيء على ما هو عليه والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ولكل واحد منها نواع فدواعي الصدق لازمة ودواعي الكذب عارضة لان الصدق يدعو اليه عقل موجب وشرع مؤكدا فللكذب يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع ولذلك جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة حتى تصير متواترة ولم يجوز ان تستفيض الاخبار الكاذبة لان اتفاق الناس في الصدق والكذب انما هو لاتفاق الدواعي فدواعي الصدق يجوز ان يتفق الجمع الكثير عليها حتى اذا تناقوا خبرا وكانوا عددا ينتفي عن مثلهم الموافاة وقع في النفس صدقه لان الدواعي اليه نافعة واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن ولا يجوز ان يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن موافاة مثلهم على نقل خبر يكون كذبا لان الدواعي اليه غير نافعة وربما كانت ضارة وليس في جاري العادة ان يتفق الجمع الكثير على دواع غير نافعة ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق لجواز اتفاق دواعيهم ولم يجوز ان يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم واذا كان للصدق والكذب دواع فلا بد من ذكر ما سخر به الحماطر من دواعيها • اما دواعي الصدق ﴿ فيها ﴾ العقل لانه موجب لقبح الكذب لاسيما اذا لم يجلب نفعها وام يدفع ضررا والعقل يدعو الى فعل ما كان مستحسنا ويمنع من اتيان ما كان مستقبحا وليس ما استحسنت من عبارات الشعراء حتى صار كذبا صراحا استحسانا للكذب في العقل كالذي انشدني الازدي لبعض الشعراء

- * توهه، فكري فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من فكرتي اثر *
- * وصاحفه كني فآلم كفه * فن لمس كفي في انامله عقر *
- * ومربقي خاطر اجرحتـه * ولم ار شيئا قط يجرحه الفكر *
- ﴿ وكقول العباس بن الاحنف وان كان دون هذه البالغة ﴾
- * تقول وقد كتبت دقيق خطي * اليها لم تجنبت الجليلا *
- * فقلت لها نحت فصار خطي * مساعدا لكتابه نحلا *

لانه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر وان شواهد الحال تخرجه عن تلبس الكذب وكذلك ما استحسنت في الصنعة ولم يستعج

في العقل وان كان الكذب مستقبجا فيه ❖ ومنها ❖ الدين الوارد بتابع الصدق وحظر الكذب لان الشرع لا يجوز ان يرد بارخاص ما حظره العقل بل قد جاء الشرع زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب لان الشرع ورد بحظر الكذب وان جر نفعاً او دفع ضرراً والعقل انما حظر ما لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً ❖ ومنها ❖ الروية فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها قد تمتع من فعل ما كان مستكرها فاولى من فعل ما كان مستقبجا ❖ ومنها ❖ حب الشئ والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم وقد قال بعض البلغاء ليكن مرجعك الى الحق ومنزعتك الى الصدق فالحق اقوى معين والصدق افضل قرين وقال بعض الشعراء

* عود لسائك قول الصدق يحظه به * ان اللسان لما عودت معتاد *
 * موكل بتقاضى ما سنت له * في الخير والشرف انظر كيف تتراد *
 واما دواعى الكذب ❖ فيها ❖ اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى ان الكذب اسلم واغتم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافا للطمع وربما كان الكذب ابعد لما يؤمل واقرب لما يخاف لان القبيح لا يكون حسنا والشري لا يصير خيرا وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الخنظل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رأيتم ان فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لان يضعنى الصدق وقلما يفعل احب الى من ان يرفنى الكذب وقلما يفعل وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خفتك والكذب مرديك وان امنتك وقال الجاحظ الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضدادهن سبب كل فرقة واصل كل فساد ❖ ومنها ❖ ان يؤثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يستظرف فيستحلي الكذب الذى ليست غرائبه معوزة ولا ظرائفه معجزة وهذا النوع اسوأ حالا مما قيل لانه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الا لصغر قدر نفسه عنده وقال ابن المقفع لا تنهون بارسال الكذبة من الهزل فانها تسرع الى ابطال

الحق ﴿ ومنها ﴾ ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبايح يخترعها عليه ويصفه بفضائح ينسبها اليه ويرى ان معرفة الكذب غنم وان ارسالها في العدو سهم وسم وهذا اسوأ حالا من النوعين الاولين لانه قد جمع بين الكذب البعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه ﴿ ومنها ﴾ ان تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه متقادة حتى لورام مجانبية الكذب عسر عليه لان العادة طبع ثن وقد قالت الحكماء من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه وقيل في منشور الحكم لا يلزم الكذاب شيء الاغلب عليه • واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه ﴿ فمنها ﴾ انك اذا لقته الحديث تاقنه ولم يكن بين ما لقتته وبين ما اورده فرق عنده ﴿ ومنها ﴾ انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد يرجع فيه، ولولاك ما تتخالجه الشك فيه ﴿ ومنها ﴾ انك اذا رددت عليه قوله حصر واربتك ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الكذاب كالسراب ﴿ ومنها ﴾ ما يظهر عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة التوهمين لان هذه امور لا يمكن الانسان دفعها عن نفسه لما في الطبع من آثارها ولذلك قالت الحكماء العينان اتم من اللسان وقال بعض البلغاء الوجوه مر ايا تريك اسرار البرايا وقال بعض الشعراء

* تريك اعينهم ما في صدورهم * ان العيون يؤدي سرها النظر *
 واذا اتسم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة واضيفت الى اكاذيبه زيادات مقلعة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرفة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

* حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكي عليه *
 * فاذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه *
 ثم انه ان تحمى الصدق اتهم وان جانب الكذب كذب حتى لا يعتقد له حديث يصدق ولا كذب مستنكر وقد قال الشاعر
 * اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكذب * يصدق في شيء وان كان صادقا *

* ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه اذا حفظ اذا كان صادقا *
وقدم ورنيت السنة بارخاص الكذب في الحرب واصلاح ذات البين على وجه
التورية والتأويل دون التصريح به فان السنة لا يجوز ان ترد بلاحة الكذب
لما فيه من التنفير وانما ذلك على طريق التورية والتعريض كما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تطرف برداء وانفرد عن اصحابه فقال له رجل ممن انت
قل من ماء فوري عن الاخبار بنسبه يا امرئ يحتمل فظن السائل انه عن القبيلة
المسوبة الى ذلك وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من الماء الذي
يخلق منه الانسان فبلغ ما احب من اخفاء نفسه وصدق في خبره وكالذي حكى
عن ابي بكر الصديق رضی الله عنه ان كان يسير خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين هاجر معه فلتقاه العرب وهم يعرفون ابا بكر ولا يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقولون يا ابا بكر من هذا فيتول هادي يهديني السبيل فيضنون
انه يعني هداية الطريق وهو انما يريد هداية سبيل الخير فيصدق في قوله ويورى
عن مرانه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعارض
لندوحة عن الكذب وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه ان في المعارض ما
يكفي ان يعف الرجل عن الكذب وقال بعض اهل التأويل في قوله تعالى لا
تواخذني بما نسيت انه لم ينس ولكنه معارض الكلام وقال ابن سيرين الكلام
اوسع من ان يصرح فيه بالكذب واعلم ان من الصدق ما يقوم مقام الكذب في
القبح والمعرة ويزيد عليه في الاذى والمضرة وهي الغيبة والنميمة والسعاية فاما
الغيبة فانها خيانة وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال الله تعالى ولا يقب
بعضكم بعضا يحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا يعني انه كما لا يحل لحم ميتا
لا تحل غيبته حيا وروى ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صامتا
عما احل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما وروت اسماء بنت يزيد قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حقا على
الله عز وجل ان يحرم لحمه على النار وقال عدی بن حاتم الغيبة رعى اللثام وكان
الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة النساء وقال رجل لابن

سبرين رحمة الله انى اغتبتك فاجعلنى فى حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم
الله عليك وقال ابن السماك لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك وقال الشاعر
* لا تلتبس من مساوى الناس ما ستروا * فيهتك الله سترا من مساويك *
* وادكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا * ولا تعب احدا منهم بما فيك *
وربما عذر الغتاب نفسه بانه يقول حقا ويعلن فسقا ويستشهد بما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة الامام الجائر وشارب الخمر
والمعلن بفسقه فيبعد من الصواب ويحجب الادب لانه وان كان بالغيبة صادقا
فقد هتك سترا كان بصونه اولى وجاهر من اسر واخفى وربما دعى المقتاب
ذلك الى اظهار ما كان يستره والمجاهرة بما كان يضمره فلم يفد ذلك
الافساد اخلاقه من غير ان يكون فيه صلاح غيره وقد قيل لانوشروان
ما الذى لا خير فيه قال ما ضرني ولم ينفع غيرى او ضر غيرى ولم ينفعنى فلا
اعلم فيه خيرا وقيل فى منشور الحكم لا تبذ من العيوب ما ستره علام الغيوب
وقد روى العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال هى ان تقول لاختك ما فيه فان كنت
صادقا فقد اغتبتته وان كنت كاذبا فقد بهتته وقال عبد الرحمن بن زيد فى قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم انه
استهزاء المسلم بمن اعلن بفسقه ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم
مستفتية فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ما اقصرها فقال
مهلا اياك والغيبة فقالت يا رسول الله انما قلت ما فيها قال اجل ولولا ذلك لكان
بهتاننا وسئل بعض الابداء عن صفة اللئيم فقال اللئيم اذا غاب عاب واذا حضر
اغتاب فاما الخبر فمحمول على الانكار لافعال هؤلاء ولا يكون الانكار غيبة
لانه نهى عن منكر وفرق بين انكار المجاهر وغيبة المسائر واما النجاسة فهى
ان تجمع الى مذمة الغيبة رداة وشرا وتضم الى ثومها دناءة وغدرا ثم تؤول
الى تقاطع المتواصلين وتباغض المتحابين ورى شهر بن حوشب عن اسماء
بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم بشرا ركم قالوا بلى
يا رسول الله قال من شراركم المشاؤون بالنجاسة المفسدون بين الاحبة الباغون

العيوب وروى محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شقار ملعون كل قتات ملعون كل قتات النمام وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فيهم حديثهم والقتات هو الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون فيهم حديثهم والمنان هو الذي يصنع الخير ويمن به وقيل في منشور الحكم النيمة سيف قاتل وقال بعض الابداء لم يمش ماش شر من واش فاما السعاية فهي شر الثلاثة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النيمة التفرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء سمي بذلك لانه يأتي الرجل الممكن عند الامير فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال بعض الحكماء الساعي بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فمخالف المروءة وقال بعض الحكماء الصدق يزين كل احد الا السعاة فان الساعي اذم وآثم ما يكون اذا صدق وقال بعض البلغاء النيمة دنائة والسعاية رداءة وهما رأس الغدر واساس الشر فجنب سبلهما واجتنب اهلها ووقع الفضل بن سهل على قصة ساع سعى اليه نمحن نرى قبول السعاية شرا منه لان السعاية دلالة والقبول اجازة فاتقوا الساعي فانه ان كان في سعائته صادقا كان في صدقه آثما اذ لم يحفظ الحرمه وبستر العورة وقال الاسكندر لرجل سعى اليه برجل أئجب ان تقبل منك ما تقول فيه على ان تقبل منه ما يقول فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وروى ان الله اوحى الى موسى على نبيسا وعليه السلام ان في بلدك ساعيا ولست اخبرك وهو في ارضك فقال يا رب دلني عليه حتى اخرجه فقال يا موسى اكره النيمة واتم ﴿الفصل السادس في الحسد والمنافسة﴾ اعلم ان الحسد خلق ذميم مع اضراره بالبدن وفساده للدين حتى لقد امر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وناهيك بحال ذلك شرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دب اليكم داء الائم قبلكم البغضاء

والحسد هي الحالفة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا ابئتمكم بما إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد وان التحابب يفيده وان السلام يبعث على التحابب فصار السلام اذا نافيا للحسد وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال مجاهد معناه ادفع بالسلام اساءة السيئ وقال الشاعر

* قد يلبث الناس حيناً ليس بينهم * ود فيرزعه التسليم واللطف *
وقال بعض السلف الحسد اول ذنب عصى الله به في السماء يعني حسد ابليس لا دم عليه السلام واول ذنب عصى الله به في الارض يعني حسد ابن آدم لآخيه حتى قتله وقال بعض الحكماء من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه احد ومن قنع بعظائه لم يدخله حسد وقال بعض البلغاء الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود وقال بعض الادباء ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم وهم لازم وقلب هائم فاخذ بعض الشعراء فقال

* ان الحسود الظلوم في كرب * يخاله من يراه مظلوما *
* ذا نفس دائم على نفس * يظهر منها ما كان مكتوما *

ولولم يكن من ذم الحسد الا انه خلق ذنبي يتوجه نحو الاكفاء والاقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كراما والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما افضى بصاحبه الى التلف من غير تكتابة في عدو ولا اضرار بحسود وقد قال معاوية رضى الله عنه ليس في خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود وقال بعض الحكماء يكفيك من الحاسد انه يغم في وقت سرورك وقيل في مشور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه وقال الاصمعي قلت لاعرابي ما اطول عمرك قال تركت الحسد فقيت وقال رجل لشریح القاضي اني لاحسدك على ما ارى من صبرك على الخصوم ووقوفك على غامض الحكم فقال ما نفعك الله بذلك ولا ضرني وقال عبد الله بن المعتز رجه الله تعالى

* اصبر على كيد الحسو * د فان صبرك قاتله *

* فالتار تأكل بعضها * ان لم تجسد ما تاكله *

وحقيقة الحسد شدة الاسبى على الخيرات تكون للناس الافاضل وهو غير المنافس
وربما غلط قوم فظنوا ان المنافس في الخير هي الحسد وليس الامر على ما ظنوا
لان المنافس طلب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر عليهم والحسد
مصروف الى الضرر لان غايته ان يهدم الافاضل فضلهم من غير ان يصير
الفضل له فهذا الفرق بين المنافس والحسد فالمنافس اذا فضيلة لانها داعية
الى اكتساب الفضائل والافتداء باختيار الافاضل وقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال الشاعر

* نافس على الخيرات اهل العلا * فانما الدنيا احاديث *

* كل امرئ في شأنه كادح * فوارث منهم وموروث *

واعلم ان دواعى الحسد ثلاثة * احدها * بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة
تظهر او منقبة تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاما
وان كان اضرها لانه ليس يبغض كل الناس * والثاني * ان يظهر من المحسود
فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف
عنه وهذا اوسطها لانه لا يحسد الاكفاء من دنا وانما يختص بحسد من علا
وقد يترج بهذا النوع ضرب من المنافس ولكنهها مع عجز فلذلك صارت
حسدا * والثالث * ان يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست اليه
فيمنع منها ولا يبده فيدفع عنها لانها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط
على الله عز وجل في قضائه ويحسد على ما منح من عطائه وان كانت
نعم الله عز وجل عنده اكثر ومنحه عليه اظهر وهذا النوع من الحسد
اعمها واخبثها اذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فان اقترن بشر
وقدرة كان بورا وانتقاما وان صادف عجزا ومهانة كان كدنا وسقاما وقد
قال عبد الحميد الحسود من الهم كساقى السم فان سرى سمه زال عنه همه واعلم
ان بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان كثر
فضله كثر حساده وان قل قلوا لان ظهور الفضل يثير الحسد وحدث النعمة

يضاعف الكمد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج
بسترها فان كل ذي نعمة محسود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كانت
نعمة الله على احد ان وجد لها حاسدا فلو كان الرجل اقوم من القديح لما
عدم فامرا وقد قال الشاعر

* ان يحسدوني فاني غير لامهم * قلبى من الناس اهل الفضل قد حسدوا *
* فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد *
وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص المحسود كما قال ابو تمام الطائي
* واذا اراد الله نشر فضيلة * ظويت اتاح لها لسان حسود *
* لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود *
* لولا الخوف للعواقب لم يزل * للحاسد التعمى على المحسود *
فاما ما يستعمله من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه اليه مائلا لينتفي عنه ويكفاه
ويسلم من ضرره وعداوته فامور هي له حسم ان سادفها عزم * فيها *
اتباع الدين في اجتنابه والرجوع الى الله عز وجل في آدابه فيقهر نفسه على
مذموم خلقها ويتلها عن لئيم طبعها وان كان نقل الطباع عسرا لكن
بالرياضة والتدريج يسهل منها ما اشعب ويحبب منها ما اتعب وان تقدم قول
القاتل من ربه خلقه كيف يخلى خلقه غير انه اذا عانى تهذيب نفسه تظاهر
بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق قال ابو تمام الطائي
* فلم اجد الاخلاق الا تخلقا * ولم اجد الافضال الا تفضلا *
* ومنها * العقل الذي يستعجب به من تتألمج الحسد ما لا يرضيه ويستنكف
من هجته مساويه فيذلل نفسه انفة ويقهرها حمية فتدعن لرشدها وتجيئ الى
صلاحها وهذا انما يصح لذى النفس الالية والهمة العلية وان كان ذو الهمة
يجل عن دناءة الحسد وقد قال الشاعر

* ابى له نفسان نفس زكية * ونفس اذا ما خافت الظلم تشمس *
* ومنها * ان يستدفع ضرره ويتوقى اثره ويعلم ان مكانته في نفسه ابلغ ومن
الحسد ابعد فيستعمل الحزم في دفع ما كده واكده ليكون اطيب نفسا واهنا
عيشا وقد قيل العجب لعقلة الحساد عن سلامة الاجساد وقد قال الشاعر

* بصير بأعقاب الامور كأنما * يرى بصواب الرأى ما هو واقع *
 ﴿ ومنها ﴾ ما يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم اما على نفسه من
 عداوة او على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ويراهم ان صلحوا اجدى
 نفعا واخلص ودا وقال ابن العميد رحمه الله تعالى

* داوى جوى بجوى وائس بحازم * من يستكف النار بالخلفاء *
 ﴿ وقال المؤمل بن اميل ﴾

* لا تحسبوني غنيا عن مودتكم * انى اليكم وان ايسرت مفقر *
 ﴿ ومنها ﴾ ان يساعد القضاء ويستسلم للقدر ولا يرى ان يغالب قضاء الله
 فيرجع مغلوبا ولا ان يعارضه في امره فيرد محروما مسلوبا وقد قال ازدشير
 ابن بابك اذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه وقال محمود الوراق

* قدر الله كائن * حين يقضى وروده *
 * قدمضى فيك عليه * وانتهى ما يريده *
 * فأرد ما يكون ان * لم يكن ما تريده *

فان اظفرته السعادة باحد هذه الاسباب وهدته المرشد الى استعمال الصواب سلم
 من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم جدا
 ولين استنزل نفسه عن مذمة فصرفها عن لائمة هو اظهر حزما واقوى
 عزما ممن كفته النفس جهادها واعطته قيادها ولذلك قال على بن ابي طالب
 رضى الله عنه خياركم كل مغتن ثواب وان صدته الشهوة عن مر اشده
 واصنله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللثيم وغلب عليه الخلق الذميم
 حتى ظهر حسده واشتد كده فقد باء باربع مدام ﴿ احداهن ﴾ حسرات
 الحسد وسقام الجسد ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ولا يؤمل لسقامه شفاء وقال ابن
 المعتز الحسد داء الجسد ﴿ والثانية ﴾ انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة لانحراف
 الناس عنه ونفورهم منه وقد قيل في منشور الحكم الحسود لا يسود ﴿ والثالثة ﴾
 مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا فيصير
 بالعداوة مأثورا وبالمقت مزجورا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شمر الناس

من يبغيض الناس ويغضونه ﴿ والرابعة ﴾ استخاط الله تعالى في معارضته واجتناب الاوزار في مخالفته اذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لعمه من الناس اهلا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال عبد الله بن المعتز الحاسد معتاض على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب ما لا يجده واذا بلي الانسان بمن هذه حاله من حساد النعم واعداء الفضل استعاذ بالله من شره وتوقى مصارع كيده وتحرز من غوائل حسده وابتعد عن ملابسته وادناؤه لعضل ذاته واعواز دوائه فقد قيل حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها وقال بعض الحكماء من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه فان قلب الاعيان صعب المرام وقال عبد الحميد اسد تقاربه خير من حسود تراقبه وقال محمود الوراق

* اعطيت كل الناس من نفسى الرضى * الا الحسود فانه اعيانى *
 * ما ان لى ذنبا اليه علمته * الا تظاهر نعمة الرحمن *
 * واني فما يرضيه الا ذلتي * وذهب اموالى وقطع لساني *
 وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يسلم احد منهم الطيرة وسوء الظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تتحقق واذا حسدت فلا تبغ

﴿ فصل ﴾ واما آداب المواضعة والاصطلاح فضربان احدهما ما تكون المواضعة في فروع، والعقل موجب لاصوله والثاني ما تكون المواضعة في فروعه واصوله وذلك متضح في الفصول التي نذكرها اذا سبرت وهي ثمانية ﴿ الفصل الاول في الكلام والصمت ﴾ اعلم ان الكلام ترجان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده فحق على العاقل ان يحترز من زلله بالامسك عنه او بالاقلال منه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله من قال خيرا ففعم او سكت فسلم وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فعليك اولك وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اللسان معيار اطاشه الجهل وارجحه العقل وقال بعض الحكماء الزم الصمت تعد حكيميا جاهلا كنت او غالما وقال بعض الادباء

سعد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال بعض العلماء من اعوذ ما يتكلم به العاقل ان لا يتكلم الا لحاجته او محجته ولا يفكر الا في عاقبته او في آخرته وقال بعض البلغاء الزم الصمت فانه يسكبك صفو المحبة ويؤمنك سوء الغيبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مونة الاعتذار وقال بعض النحباء اعقل لسالك الاعن حق تو ضحه او باطل تدحضه او حكمة تنشرها او نعمة تذكرها وقال الشاعر

- * رأيت العز في ادب وعقل * وفي الجهل المزلة والهوان *
- * وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان *
- * كني بالراء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان *

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعرى من النقص الا بعد ان يستوفيها وهي اربعة فالشرط الاول ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر والشرط الثاني ان يأتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته والشرط الثالث ان يقتصر منه على قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد او هن فضيلة باقيا وسنذكر تعليل كل شرط منها بما ينبي عن لومه * فاما الشرط الاول * وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هجر ومن ساج نفسه في الكلام اذا عن ولم براع صحة دواعيه واصابة معانيه كان قوله مردولا ورأيه معلولا كالذي حكى ابن عائشة ان شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء فقال يا ابن اخي ليتنا تركك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشني

- * وكائن ترى من صاحب لك محجب * زيادته او نقصه في التكلم *
- * لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم *
- * وكالذي حكى عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف ألا تسأل قال بلى متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس

قال فان لم تعرب الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف رحمه الله وتمثل ببيتى
الخطيبي جد جرير

* عجت لازراء العبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالعلم اعلمها *
* وفي الصمت ستر للغي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلمها *

ومما اطرفك به عني اني كنت يوما في مجلسي بالبصرة وانا مقبل على تدريس
اصحابي اذ دخل علي رجل مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها فقال لي قد قصدتك
بمسألة اخترتك لها فقلت اسأل عافاك الله وظنته يسأل عن حادث نزل به فقال
اخبرني عن نجم ابليس ونجم آدم ما هو فان هذين لعظم شانهما لا يسأل عنهما
الا علماء الدين فحجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبدر اليه قوم منهم بالانكار
والاستخفاف فكفقتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله الا يجواب مثله
فاقلت عليه وقلت يا هذا ان النجمين يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا
بعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله فحينئذ اقبل علي وقال جزاك
الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان بعد ايام عاد وقال ما وجدت الى وقتي هذا
من يعرف مولد هذين فانظر الى هؤلاء كيف اباتوا بالكلام عن جهلهم
واعربوا بالسؤال عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولا روية فيما تكلموا به
ولو صدر عن روية ودعا اليه داع لسلموا من شينه ورتوا من عيبه ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع الى
قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم
بكل ما عرض له وقال عمر بن عبد العزيز من لم يعد كلامه من عمله كثر
خطاياهم وقال بعض الحكماء عقل المرء مخبوء تحت لسانه وقال بعض البلغاء احبس
لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شيء اولى بطول حبس من لسان
يقطر عن الصواب ويسرع الى الجواب وقال ابو تمام الطائي

* ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من تبع الفؤاد *

وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام ويقول اذا جالست الجهال فانصت
لهم واذا جالست العلماء فانصت لهم فان في انصاتك للجهال زيادة في الخلم وفي
انصاتك للعلماء زيادة في العلم واما الشرط الثاني فهو ان يأتي بالكلام في

موضعه لان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بانه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضى التأخير كان مجمله وخرقا وان اخر ما يقتضى التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا وقد قال الشاعر

* تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعدها نزر *
 واما ❖ الشرط الثالث ❖ وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فان الكلام ان لم ينحصر بالحاجة ولم يقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا اقدره نهاية وما لم يكن من الكلام محصورا كان حصرا ان قصر وهذرا ان كثر وروى ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب قال شفتاي واسناني قال فان الله عز وجل يكره الانبعاث في الكلام فنضر الله وجه امرئ اوجز في كلامه فاقصر على حاجته وحكي ان بعض الحكماء رأى رجلا يكثر الكلام ويقول السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكماء من كثر كلامه كثرت آثامه وقال ابن مسعود انذركم فضول المنطق وقال بعض البلغاء كلام المرء بيان فضله وترجان عقله فاقصره على الجليل واقتصر منه على القليل وانيك ما يسخط سلطانك ويوحش اخوانك فن اسخط سلطانه تفرض للمنية ومن اوحش اخوانه تبرأ من الحرية وقال بعض الشعراء

* وزن الكلام اذا نطقت فانما * يبدى عيوب ذوى العيوب المنطق *
 ومخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا وتكثير يكون هذرا وكلاهما شين وشين الهذر اشنع وربما كان في الصالب اخوف قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يبك الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنهم وقال بعض الحكماء مقتل الرجل بين فكبيه وقال بعض البلغاء الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحجة والهذر يتلف المحجة وقد قال الشاعر
 * رأيت اللسان على اهله * اذا ساسه الجهل ليثامغيرا *
 وقال بعض الادباء يارب السنة كالسيوف تقطع اعناق اصحابها وما ينقص من

هيئات الرجال يزيد في بهائها وأبوابها وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام اذا
كثر عن قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية وكان صوابا لا يشوبه خطب وسليما
لا يتعوده زلل فهو البيان والسحر الحلال وقال سليمان بن عبد الملك وقد ذم
الكلام في مجلسه كلا ان من تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن وليس
من سكت فاحسن قدر على ان يتكلم فيحسن ووصف بعضهم الكاتب فقال
الكاتب من اذا اخذ شبرا كفاه واذا وجد طومارا املاه وانشد بعضهم
في خطباء اباء

* يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء *
وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا اقلت من الكلام اكثر من الصواب
فقال يا ابني فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا فقال يا بني ما رأيت
موعوظا احق بان يكون واعظا منك وانشدت لابي الفتح البستي
* تكلم وسدد ما استطعت فلما * كلامك حى والسكوت جاد *
* فان لم تجد قولاً سديداً تقوله * فصمتك عن غير السداد سداد *
وقيل لياس بن معاوية ما فيك عيب الاكثر الكلام فقال أقنسمعون صوابا
او خطأ قالوا لا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وقال ابو عثمان الجاحظ
للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى
الاستقلال والمبالاة فذلك الفاضل هو الهذر وصدق ابو عثمان لان الاكثار
منه وان كان صوابا يمل السامع ويكل الخاطر وهو صادر عن اعجاب به
لولا قصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه والمسترسل في الكلام كثير
الزلل دائم العثار وقال بعض الحكماء من اعجب بقوله اصيب بعقله وليس لكثرة
الهذر رجاء يقابل خوفه ولا نفع يوازي ضره لانه يخاف من نفسه الزلل ومن
سامعه الملل وليس في مقابلة هذين حاجة داعية ولا نفع مرجو وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغضكم الى المتفهب المكثار والملح المهذار
وسأل رجل حكيماً فقال متى اتكلم قال اذا اشتيت الصمت فقال متى اصمت قال
اذا اشتيت الكلام وقال جعفر بن يحيى اذا كان اليجاز كافيا كان الاكثار
عيا وان كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا وقيل في منشور الحكم اذا تم العقل

نقص الكلام وقال بعض الادباء من اطلال صمته اجتب من الهيبة ما ينفعه
ومن الوجشة ما لا يضره وقال بعض البلغاء عى تسل منه خير من منطق تدم
عليه فافتد من الكلام على ما يقيم حجتك ويبلغ حاجتك واياك وفضوله
فانه يزل التدم ويورث التدم وقال بعض الفصحاء فم العاقل لمجم اذا هم
بالكلام اجم وفي الجاهل مطلق كلما شاء اطلق وقال بعض الشعراء
* ان الكلام يعد القوم جلوته * حتى يلج به عى واكثر *

واما * الشرط الرابع * وهو اختيار اللفظ الذى يتكلم به فلأن اللسان
عنوان الانسان يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصوله فيلزم ان يكون بتهذيب
الفاظه حريا وتقوم لسانه مليا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعنه
العباس يعجبني جمالك قال وما جال ازجل يا رسول الله قال لسانه وقال خالد
ابن صفوان ما الانسان لولا اللسان هل الا بهيمة او صورة ممثلة وقال
بعض الحكماء اللسان وزير الانسان وقال بعض الادباء كلام المرید وافد اديه
وقال بعض البلغاء يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله وقال
بعض الشعراء

* وان لسان المرء ما لم تكن له * حصاة على عوراته لدليل *

وليس يصح اختيار الكلام لا لمن اخذ نفسه بالبلاغة وكلفها لزوم الفصاحة
حتى يصير متدربا بها معتادا لها فلا يأتى بكلام مستكره اللفظ ولا مخجل المعنى
لان البلاغة ليست على معان مفردة ولا لالفاظها غاية وانما البلاغة ان تكون
بالمعاني الصحيحة مستودعة في الفاظ فصيحة فتكون فصاحة الالفاظ مع صحة
المعاني هنى البلاغة وقد قيل لليوناني ما البلاغة قال اختيار الكلام والتصحيح
الاقسام وقيل ذلك للرومى فقال حسن الاختصار عند البديهة والعرارة يوم
الاطالة وقيل للهندي فقال معرفة الفصل من الوصل وقيل للعربي فقال
ما حسن ايجازه وقيل مجازه وقيل للبدوي فقال ما دون السحر وفوق الشعر
يفت الحردل ويحط الجندل وقيل للمحضرى فقال ما كثر اعجازه وتناسبت صدره
وامجازه وقال ابن المقفع البلاغة قلة الحصر والجرأة على البشر وسأل الحجاج
ابن القزيرة عن اليجاز قال ان تقول فلا تبطنى وان تصيب فلا تخطئى وقال الشاعر

- * خير الكلام قليل * على كثير دليل *
 * والعجى معنى قصير * يحويه لفظ طويل *
 * وفي الكلام فضول * وفيه قال وقيل *

واما صحة المعاني فتكون من ثلاثة اوج، احدها ابضاح تفسيرها حتى لا تكون مشكلة ولا جملة والثاني استيفاء تقسيمها حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج عنها ما هو فيها والثالث صحة مقابلاتها والمقابلة تكون من وجهين احدهما مقابلة المعنى بما يوافقها وحيثية هذه المقاربة لان المعاني تصير متشاكلة والثاني مقابله بما يضاده وهو حقيقة المقابلة وليس للمقابلة الا احدهذين الوجهين الموافقة في الائلاف والمضادة مع الاختلاف فاما فصاحة الالفاظ فتكون بثلاثة اوجه ❖ احدها ❖ مجازية الغريب الوحشى حتى لا يجع سمع ولا ينفر منه طبع ❖ والثاني ❖ تنكب اللفظ المستبدل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصى ولا ينو عن فهم عامى كما قال الجاحظ في كتاب البيان اما انا فلم ار قوما امثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك انهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا ❖ والثالث ❖ ان يكون بين الالفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة اما المطابقة فهي ان تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها وقال بشر بن العتمر في وصيته في البلاغة اذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها ولا صائرة الى مستقرها ولا حالة في مركزها بل وجدتها قلقة في مكانها نافرة عن موضعها فلا تكسرهما على القرار في غير موضعها فانك ان لم تعاض قريض الشعر الموزون ولم تكلف اختيار الكلام المشور لم يعبك بترك ذلك احد واذا انت تكلفتهما ولم تكن خائفا فيهما عابك من انت اقل عيبا منه وازرا عليك من انت فوقه واما المناسبة فهي ان يكون المعنى يليق ببعض الالفاظ اما لعرف مستعمل او لاتفاق مستحسن حتى اذا ذكرت تلك المعاني بعد تلك الالفاظ كانت نافرة عنها وان كانت افصح واوضح لاعتيادها سواها وقال بعض البلغاء لا يكون البليغ بليغا حتى يكون معنى كلامه اسبق الى فهمك من لفظه الى سمعك واما معاطاة الاعراب ومجنّب اللحن فانما هو من صفات الصواب والبلاغة اعلى منه رتبة واشرف منزلة وليس لمن لحن في كلامه مدخل

في الادب فضلا عن ان يكون في عداد البلغاء • واعلم ان للكلام آدابا ان اغظها التكلم اذهب رونق كلامه وطمس بهجة بيانه ولها الناس عن محاسن فضله بمساوي ادبه فعدلوا عن مناقبه بذكر مثالبه ﴿ فن آدابه ﴾ ان لا يتجاوز في مدح ولا يسرف في ذم وان كانت النزاهة عن الذم كرما والتجاوز في المدح ملتا يصدر عن مهانة والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر وكلاهما شين وان سلم من الكذب يروى انه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تيمم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاثم عن قيس بن عاصم فذمه فقال قيس والله يا رسول الله لقد علم اني خير مما وصف ولكن حسدني فذمه عمرو وقال والله يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى لاني رضيت في الاولى فقلت احسن ما علمت وسخطت في الاخرى فقلت اقبح ما علمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا على ان السلامة من الكذب في المدح والذم متعذرة لا سيما اذا مدح تقريبا وذم تحقرا وحكى عن الاحنف بن قيس انه قال سهرت ليلتي افكر في كلمة ارضى بها سلطاني ولا اسخط بها ربي فاوجدتها وقال عبيد الله بن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه قبل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله عز وجل وسمع ابن الرومي رجلا يصف رجلا ويبالغ في مدحه فانشأ يقول

* اذا ما وصفت امرء الامرئ * فلا تغل في وصفه واقصد *
 * فالك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد *
 * فيضال من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد *

﴿ ومن آدابه ﴾ ان لا تبعثه الرغبة والرغبة على الاسترسال في وعد او وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه وارسل فيهما عنانه ولم يستقل من القول ما يستقله من العمل صار وعده نكثا ووعيده عجزا وحكى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرن ما يقول لها قالوا لا يا نبي الله قال انه يخطفها لنفسه ويقول لها زوجيني نفسك اسكنك ابي غرف دمشق شئت وقال سليمان كذب العصفور فان غرف دمشق مبنية بالصخور لا يقدر ان يسكنها هناك ولكن كل

خاطب كاذب ❖ ومن آدابه ❖ ان قال قولاً حقه بفعله واذا تكلم بكلام صدقه بعمله فان ارسال القول اختيار والعمل به اضطرار ولئن يفعل ما لم يقل اجل من ان يقول ما لم يفعل وقال بعض الحكماء احسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى الكلام اي يكتفى بالفعل من القول وقال محمود الوراق

* القول ما صدقه الفعل * والفعل ما وكده العقل *
 * لا يثبت القول اذا لم يكن * يقله من تحسه الاصل *
 ❖ ومن آدابه ❖ ان يراعى مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيباً قرنه باللين واللطف وان كان ترهيباً خلطه بالخشونة والعنف فان لين اللفظ في الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمتصود بهما فيصير الكلام لغوا والغرض المتصود لهما وقد قال ابو الاسود الدبلي لابنه يا بني ان كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمتوك ولا بكلام من هو دونك فيزدوك ❖ ومن آدابه ❖ ان لا يرفع بكلامه صوتاً مستكراً ولا يترجم له انزعاجاً مستهجنًا وليكف عن حركة تكون طيشاً وعن حركة تكون عيافاً فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة وقد حكى ان الحجاج قال لاعرابي اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر الرد وتشير باليد وتقول اما بعد ❖ ومن آدابه ❖ ان يخافى هجر القول ومستفح الكلام وليعدل الى الكناية عما يستفح صريحه ويستهجن فصيحاً ليلبغ الغرض ولسانه نزه وادبه مصون وقد قال محمد بن علي في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراماً قال كانوا اذا ذكروا الفروج كانوا عنها وكما انه يصون لسانه عن ذلك فهكذا يصون عنه سمعه فلا يسمع خفاء ولا يصغى الى فحش فان سماع الفحش داع الى اظهاره وذريعة الى انكاره واذا وجد عن الفحش معرضاً كف قائله وكان اعراضه احد التكرين كما ان سماعه احد الباعثين وانشدني ابو الحسن بن الحارث الهاشمي

* تحرم الطرق اوساطها * وعدت عن الموضع المشبه *
 * وسمعت صن عن قبيح الكلا * م كصون اللسان عن النطق به *
 * فانك عند استماع القبيح شريك لمقائله فانتبه *
 *
 *
 *

ومما يجرى مجرى فحش القول وهجره في وجوب اجتنابه ولزوم تكبته ما كان شنيع
البدية مستنكر الظاهر وان كان عقب التأمل سليما وبعد الكشف والروية
مستقيما كالذي رواه الازدي عن الصولي لبعض المتكلمين من الشعراء

* انى شيخ كبير * كافر بالله سبرى *

* انت ربي والهى * رازق الطفل الصغير *

يريد بقوله كافر اى لايس لان الكفر التغطية ولذلك سمي الكافر بالله كافرا
لانه قد غطي نعمة الله بمعصيته وقوله بالله سبرى يقسم عليها ان تسير وقوله
انت ربي يعنى ربي ولدك من البرية والهى رازق الطفل الصغير كما انه رازق
الولد للكبير فانظر الى هذا التكلف الشنيع والتعمق البشع ما اعتاض من حيث
البدية اذا سلم بعد الفكر والروية الا لو ما ان حسن فيه الظن او ذما ان قوى
فيه الارتياب وقاسا يكون ذلك الامن خليع بطر او مرتاب اشرفا ما الحديث
الروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا على النبي فخرج من هذا
النوع من التلبس وفي تأويله وجهان احدهما انه اراد النبي عن الصلاة
في المكان المرتفع المجددوب مأخوذ من النبوة والثاني انه اراد الطريق ومنه
سمى رسل الله انبياء لانهم الطرق اليه وانما زال عنه التلبس اذ قاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان كان من قول غيره تلبسا شنيعا لان موضوع خطابه
وشواهد احواله بصرفان كلامه عن التجوز والاسترسال في امر او نهى الى ما
يجوز ان يرد به شرع وينهى عنه نبي وليس يمنع ذلك في غيره ولذلك افترق
وجوده منه ومن غيره ومن آدابه ان يجتنب امثال العامة الغوغاء ويختص
بامثال العلماء الادباء فان لكل صنف من الناس امثالا تشاكلهم فلا تجدل ساقط
الا مثلا ساقطا وتشبيها مستقبجا وللسقاط امثال فتها تمثلهم للشئ المريب كما قال
الصنوبرى

* اذا ما كنت ذا بول صحيح * أفاضرب به وجه الطيب *

ولذلك علتان احدهما ان الامثال من هواجس الهمم وخطرات النفوس
ولم يكن لذى الهمة الساقطة الامثل مردول وتشبيه معلول والثانية ان الامثال
مستخرجة من احوال الممثلين بها فيحسب ما هم عليه تكون امثالهم فلهاتين

العتين. وقع الفرق بين امثال الخاصة وامثال العامة وربما الف المتخصص مثلا
 عاميا او تشبيها ركيكا لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة الاراذل فيسترسل في
 ضربه مثلا فيصير به مثلا كالذي حكى عن الاصمعي ان الرشيد سأله يوما عن
 انساب بعض العرب فقال على الخبير سقطت يا امير المؤمنين فقال له الفضل بن
 الربيع استعط الله جنبيك أخطاب امير المؤمنين بمثل هذا الخطاب فكان الفضل بن
 الربيع مع قلة علمه اعلم بما يستعمل من الكلام في محاورة الخلفاء من الاصمعي الذي
 هو واحد عصره وقرع دهره وللأمثال من الكلام موقع في الاسماع وتأثير في القلوب
 لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لان المعاني بها لأثمة والشواهد
 بها واضحة والنفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة
 فلذلك ضرب الله الامثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسلة واضح بها
 الحجة على خلقه لانها في العقول معتولة وفي القلوب مقبولة ولها اربعة شروط
 احدها صحة التشبيه والثاني ان يكون العلم بها سابقا والشكل عليها موافقا
 والثالث ان يسرع وصولها للفهم ويجعل تصورها في الوهم من غير ارتياء
 في استخراجها ولا كد في استنباطها والرابع ان تناسب حال السامع لتكون ابلغ
 تأثيرا واحسن موقعا فاذا اجتمعت في الامثال المضروبة هذه الشروط الاربعة
 كانت زينة للكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للافهام ﴿ الفصل الثاني في الصبر
 والجزع ﴾ اعلم ان من حسن التوفيق وامارات السعادة الصبر على الملمات
 والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى يا ايها الذين
 آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني اصبروا على ما
 افترض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه تأويلان احدهما على الجهاد
 والثاني على انتظار الصلوات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم
 ألا ادلكم على ما يحبط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله
 قال اسباغ الوضوء عند المسكاره وكثرة الخطا الى المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
 فذلكم الرباط فقول الكتاب بتأكيد الصبر فيما امر به ونهى اليه وجعله من
 عزائم القوى فيما افترضه وحث عليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب وقيل على بن ابي طالب كرم

الله وجهه الصبر مطية لا تكبو والفتنة سيف لا يذب وقال عبد الحميد لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان الصبر والشكر بعيران ما باليت ايهما ركبت وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما افضل العده الصبر على الشدة وقال بعض البلغاء من خير خلاك الصبر على اختلافك وقيل في مشور الحكم من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبوراً وقال بعض الحكماء بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ وقال بعض الشعراء وهو عبيد بن الارص

- * صبر النفس عند كل مله * ان في الصبر حيلة المحتال *
- * لا تضيعن في الامور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال *
- * ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال *

وقال ابن المقفع في كتاب التيمية الصبر صبران فاللثام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفات الجبر ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللأمور متحملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا واعلم ان الصبر على ستة اقسام وهو في كل قسم منها محمود ❖ فاول اقسام ❖ واولاها الصبر على امتثال ما امر الله تعالى به والانتهاه عما نهى الله عنه لان به تخلص الطاعة وبها يصح الدين وتؤدى الفروض ويستحق الثواب كما قال في محكم الكتاب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر ولا نصيب من صلاح ومن لم ير لنفسه صبورا يكسبها ثوابا ويدفع عنها عقابا كان من سوء الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا بالضلال وقد قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه أترجون ان تلحق من الآخرة ما لا تطلبه وقال ابو العاتية رحمه الله تعالى

- * اراك امرءا ترجو من الله عفو * وانت على ما لا يجب مقيم *
 - * تدل على التقوى وانت مقصد * فيا من يداوى الناس وهو سقيم *
- وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من خاف الله

عز وجل صبر على طاعته ومن جزع من عقابه وقف عند امره ﴿ والقسم الثاني ﴾ الصبر على ما تقتضيه اوقاته من رزية قد اجهده الحزن عليها او حادثة قد اكده اللهم بها فان الصبر عليها يعقبه الراحة منها ويكسبه المثوبة عنها فان صبر طائعا والا احتمل هما لازما وصبر كارها آثما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليختر ربا سواي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت مأجور وان جرت عليك القلم وانت مأزور وقد ذكر ذلك ابو تمام في شعره فقال

* وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم *
 * أتصبر للبلوى عزاء وخشية * فتؤجر او تسلو سلو البهائم *
 وقال شيب بن شيبة للمهدى ان احق ما تصبر عليه ما لم تجد الى دفعه سبيلا وانشد
 * ولئن تصبكت مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتل لا يصبر *
 ﴿ وقال آخر ﴾

* تصبرت مغلوبا وانى لموجع * كما صبر الظمآن في البلد القفر *
 * وليس اصطباري عنك صبر استطاعة * ولا كنه صبر امر من الصبر *
 ﴿ والقسم الثالث ﴾ الصبر على ما فات ادراكه من رغبة مرجوة واعوز نيله من مسرة مأمولة فان الصبر عنها يعقب السلو منها والاسف بعد اليأس خرق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى فشكر ومنع فصبر وظلم ففقر وظلم فاستغفر فاولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله وقال بعض الشعراء

* اذا ملك القضاء عليك امرا * فليس يحله غير القضاء *
 * فمالك والمقام بدار ذل * ودار العز واسعة القضاء *
 وقال بعض الحكماء ان كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل اليك فاخذه بعض الشعراء فقال
 * لا تطل الحزن على فائت * فقلنا يجدي عليك الحزن *

* سبان محزون على فائت * ومضمر حزنا لما لم يكن *
 * والقسم الرابع * الصبر فيما يحشى حدوثه من رهبة يخافها او يحذر حلوله
 من نكبة يخشاها فلا يتجمل هم ما لم يأت فان أكثر الهموم كاذبة وان الاغلب
 من الحسوف مدفوع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بالصبر
 يتوقع الفرج ومن يدمن قرع باب يلج وقال الحسن البصرى رحمه الله لا تحملن
 على يومك هم غدك فحسب كل يوم همه وانشد الجاحظ لخراتة بن زيد

* اذا الهم امسى وهو داء فأمضه * ولست بمضيه وانت تعادله *
 * ولا تنزلن امر الشديدة بأمرئ * اذا هم امرا عوقته عواذله *
 * وقل للضواد ان تجديك ثروة * من الروع فافرح أكثر الهم باطله *
 * والقسم الخامس * الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها ويتنظر من نعمة
 يأملها فانه ان ادهشه التوقع لها واذهله التطلع اليها انسدت عليه سبل المطالب
 واستغفره تسويل المطامع فكان ابعده لرجائه واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة
 وقورا وعند الطلب صبورا انجلت عنه عماية الدهش وانجابت عنه حيرة
 الوله فابصر رشده وعرف قصده وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 الصبر ضياء يعنى والله اعلم انه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور وقال
 أكرم بن صيفي من صبر ظفر وقال ابن المقفع كان مكتوبا في قصر ازديشير
 الصبر مفتاح الدرك وقال بعض الحكماء بحسن التأني تسهل المطالب
 وقال بعض البلغاء من صبر نال المني ومن شكر حصن النعمى وقال محمد
 ابن بشير

* ان الامور اذا سدت مطالبها * فالصبر يفتق منها كل ما ارتجبا *
 * لا تياسن وان طالت مطالبه * اذا استغنت بصبر ان ترى فرجا *
 * اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا *
 * والقسم السادس * الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف
 فبالصبر في هذا تنقح وجوه الآراء وتستدفع مكائد الاعداء فان من قبل صبره
 عزب رأيه واشتد جزعه فصار صريع همومه وفريسة غمومه وقد قال الله تعالى
 واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروى عن ابن عباس رضى الله

عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا • واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الصبر مستأصل الحدثنان والجزع من اعوان الزمان وقال بعض الحكماء بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور وقال بعض البلغاء عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج وروى ابن عباس رضى الله عنهما ان سليمان بن داود عليهما السلام لما استكد شياطينه في البناء شكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال أستم تذهبون فرغا وترجعون مشاغيل قالوا بلى قال في ذلك راحة فبلغ ذلك سليمان على نبينا وعليه السلام فשלغهم ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال أستم تستريحون بالليل قالوا بلى قال في هذا راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان عليه السلام فשלغهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال الآن جاءكم الفرج فابلى ان اصيب سليمان عليه السلام ميتا على عصاه فاذا كان هذا في نبي من انبياء الله يعمل بامرہ ويقف على حده فكيف بما جرت به الاقدار من ايد عادية وساقه القضاء من حوادث نازلة هل تكون مع التناهي الا منقرضة وعند بلوغ الغاية الامحسرة وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضى الله عنه

* خليلي لا والله ما من ملة * تدوم على حى وان هى جلت *
 * فان نزلت يوما فلا تخضعن لها * ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت *
 * فكم من كريم قد بلى بنوائب * فصارها حتى مضت واضمحلت *
 * وكم غمرة هاجت بامواج غمرة * تلقيتها بالصبر حتى تجملت *
 * وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأيت صبرى على الذل ذلت *
 * فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت *
 ولتسهيل المصائب وتخفيف الشدائد اسباب اذا قارنت حزما وصادفت عزما
 هان وقعها وقل تأثيرها وضررها ﴿ فيها ﴾ اشعار النفس بما تعلمه
 من نزول الفناء وتقضى المسار وان لها اجالا منصرمة ومددا منقضية اذ ليس

للدنيا حال تدوم ولا مخلوق فيها بقاء وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مثلى ومثل الدنيا الا كمثل راكب مال الى ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وسئل على بن ابي طالب رضى الله عنه عن الدنيا فقال تغر وتضر وتمر وسأل بعض خلفاء بني العباس جليسا له عن الدنيا فقال اذا اقبلت ادبرت وقال عمرو بن عبيد الدنيا امد والآخرة ابد وقال انوشروان ان احببت ان لا تقم فلا تقم ما به تهتم فاخذته بعض الشعراء فقال

* ألم تر ان الدهر من سوء فعله * يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى *
 * فن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا *
 * وانشد بعض الحكماء *

* لحكمتنا بقراط خير قضية * ووصية تنفي الهموم الركداء *
 * قال الهموم تكون من طبع الورى * فى لبث ما فى طبعه ان نفدا *
 * فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلا * للكسر فانكسرت فلا تك مكبدا *
 * وانشدنى بعض اهل العلم لسعيد بن مسلم *

* انما الدنيا هبات * وعوار مسترده
 * شنة بعد رخاء * ورخاء بعد شدة

ولما قتل بزرجهر وجد فى جيب قميصه رقعة فيها مكتوب اذا لم يكن جد فقيم الكد وان لم يكن للامر دوام فقيم السرور واذا لم يرد الله دوام ملك فقيم الحيلة وقال ابن الرومى

* رأيت حياة المرء رهنا بموته * وصحته رهنا كذلك بالسقم *
 * اذا طاب لى عيش تنفص طيبه * بصدق يقينى ان سيذهب كالحلم *
 * ومن كان فى عيش يراعى زواله * فنلك فى بؤس وان كان فى نعم *

﴿ ومنها ﴾ ان يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم وانها تنقدر باوقات لا تنصرم قبلها ولا تستديم بعدها فلا تقصر بجزع ولا تطول بصبر وان كل يوم يمر بهما يذهب منها بشطر ويأخذ منها بنصيب حتى تتجلى وهو عنها غافل وحكى ان الرشيد حبس رجلا ثم سأل عنه بعد زمان فقال للموكل به قل له

كل يوم يمضى من نعمه يمضى من يؤسى مثله والامر قريب والحكم لله تعالى فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

* لو ان ما انتمو فيه يدوم لكم * ظننت ما انا فيه دائما ابدا *
* لكننى عالم انى وانكم * سنسجد خلاف الخاليتين غدا *
* وانشدت لبعض الشعراء *

* عواقب مكروه الامور خييار * وايام ضر لا تدوم قصار *
* وليس بياق يؤسها ونعيمها * اذا كرليل ثم كره نهار *
* وانشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة *

* ألم تر ان ربك ليس تحصى * اباديه الحديثة والقديه *
* تسئل عن الهموم فليس شئ * يقوم ولا همومك بالقويه *
* لعل الله ينظر بعد هذا * اليك بنظرة منه رحيمه *

* ومنها * ان يعلم ان فى ما وفى من الزايا وكفى من الحوادث ما هو اعظم من
رزقته واشد من حادثته ليعلم انه ممنوح بحسن الدفاع ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان لله تعالى فى اثناء كل محنة منحة وقيل للشعبى فى نأبة كيف اصبحت
قال بين نعمتين خير منشور وشر مستور وقال بعض الشعراء

* لا تكروه المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه *
* كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طي الكاره كامنه *

* ومنها * ان يتأسى بذوى الغير ويتسلى باولى العبر ويعلم انهم الاكثرون عددا
والاسرعون مددا فيسجد من سلوة الاسى وحسن العزا ما يخفف شجوهه ويقل
هلمه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألتصقوا بذوى الغير تسع قلوبكم وعلى
مثل ذلك كانت مرأى الشعراء قال البهترى

* فلا عجب للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادى من فصيح واجمى *
* فخرية وحشى سقت حزة الردى * وموت على من حسام ابن ملجم *
* وقال ابو نواس *

* المرء بين مصائب لا تنقضى * حتى يوارى جسمه فى رسمه *
* فتوجل يلقى الردى فى اهله * ومجمل يلقى الردى فى نفسه *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان النعم زائرة وانها لا محالة زائلة وان السرور بها اذا اقبلت مشوب بالخدر من فراقها اذا ادبرت وانها لا تفرح باقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا فعلى قدر السرور يكون الحزن وقد قيل في منشور الحكم المروح به هو المحزون عليه وقيل من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره وقال بعض الحكماء من علم ان كل نائبة الى اتقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء وقيل للحسن البصرى رحمه الله كيف ترى الدنيا قال شغلنى توقع بلائها عن الفرح برحائها فاخذ ابو العاتية فقال

* تزيده الايام ان اقبلت * شدة خوف لتصاريفها *
* كأنها فى حال اسعافها * تسمعه وقعة تخويفها *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان سروره مقرون بمساةة غيره وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره اذ كانت الدنيا تنقل من صاحب الى صاحب وتصل صاحبها بفراق صاحب فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما فرعت عصى على عصى الا فرح لها قوم وحزن آخرون وقال البحرى متى ارت الدنيا نباهة خامل * فلا ترتب الا حول نبيه *

﴿وقال المتنى﴾

* بدا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد *
﴿وانشد بعض اهل الادب﴾

* ألا انما الدنيا غضارة ايكمة * اذا اخضر منها جانب جف جانب *
* فلا تفرحن منها لشيء تفيده * سيذهب يوما مثل ما انت ذاهب *
* وما هذه الايام الا فجائع * وما العيش واللذات الا مصائب *

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان طوارق الانسان من دلائل فضله ومحمته من شواهد نبهه ولذلك احدى علتين اما لان الكمال معوز والنقص لازم فاذا تواتر الفضل عليه صار النقص فيما سواه وقد قيل من زاد فى عقله نقص من رزقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انتقصت جارحة من انسان الا كانت ذكاء فى عقله وقال ابو العاتية

* ما جاوز المرء من اطرافه طرفا * الا تخونه النقصان من طرف *

❖ وانشدني بعض اهل الادب لابراهيم بن هلال الكاتب ❖

* اذا جمعت بين امرئين صناعة * فاحببت ان تدرى الذي هو احذق *
 * فلا تنفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق *
 * فيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق *
 واما لان ذا الفضل محسود وبلاذى مقصود فلا يسلم في بره من معاد واشتطاط
 مناو وقال الصنوبرى

* محن الفتى يجبرن عن فضل الفتى * كالنار مخبرة بفضل العنبر *
 وقل ما تكون محنة فاضل الامن جهة ناقص وبلوى عالم الاعلى يد جاهل
 وذلك لاستحكام العداوة بينهما بالباينة وحدوث الانتقام لاجل التقدم وقد قال
 الشاعر

* فلا غرو ان يبنى عدو بجاهل * فمن ذنب التنين تنكسف الشمس *
 ❖ ومنها ❖ ما يعناضه من الارتياض بنوائب عصره ويستفيده من الخنكة ببلاء
 دهره فيصلب عوده ويستقيم عموده ويكمل بادنى شدته ورخائه ويتعظ بمحالتى
 عفوهِ وبلائه حكى عن ثعلب قال دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه
 خلع الرضى بعد التكة فلما مثلت بين يديه قال لى يا ابا العباس اسمع ما اقول

* نوائب الدهر ادبتنى * وانما يوعظ الاديب *
 * قد ذقت حلوا وذقت مرا * كذلك عيش الفتى ضروب *
 * لم يمض بؤس ولا نعيم * الا ولى فيها نصيب *
 * كذلك من صاحب اليبالى * تغذوه من درها الخطوب *

فقلت لمن هذه الايات قال لى ❖ ومنها ❖ ان يخبر امور زمانه ويتنبه على
 صلاح شانهِ فلا يغتر برخاء ولا يطمع فى استواء ولا يؤمل ان تبقى الدنيا على حالة
 او تخلو من ثقل واستحالة فان من عرف الدنيا وخبر احوالها هان عليه بؤسها
 ونعيمها وانشد بعض الادباء

* اتى رأيت عواقب الدنيا * فتركت ما اهوى لما اخشى *
 * ففكرت فى الدنيا وعالمها * فاذا جميع امورها تفتى *
 * وبلوت اكثر اهلها فاذا * كل امرئ فى شانهِ يسعى *

* اسنى منازلها وارفعها * في العز اقربها من المهوى *
 * تعفو مساويها محاسنها * لافرق بين النعي والبشرى *
 * ولقد مررت على القبور فا * ميرت بين العبد والمولى *
 * أراك تدرى كم رأيت من الاحياء ثم رأيتهم موتى *
 فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانه
 فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزاء وقال بعض الحكماء من حاذر لم يهلع
 ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا لم يكن متوجعا وقال بعض الشعراء
 * ما يكون الامر سهلا كله * انما الدنيا سرور وحزون *
 * هون الامر نعيش في راحة * قل ما هونت الا سيهون *
 * تطلب الراحة في دار الفنا * ضل من يطلب شيئا لا يكون *

فان اغفل نفسه عن دواعي السلوة ومنعها من اسباب الصبر تضعف عليه
 من شدة الاسى وهم الجزع ما لا يطيق عليه صبرا ولا يجد عنه سلوا وقال ابن
 الرومي

* ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف صار غير مطاق *
 فاذا ساعده جزعه بالاسباب الباعثة عليه وامده هلمه بالذرائع الداعية اليه
 فقد سعى في حفته واطان على تلفه ❖ فمن اسباب ذلك ❖ تذكر المصاب حتى
 لا يتناساه وتصوره حتى لا يعزب عنه ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخط مع
 التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تستفرز الدموع بالتذكر
 وقال الشاعر

* ولا يبعث الاحزان مثل التذكر *

❖ ومنها ❖ الاسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفا ولا يجد لمفقوده
 بدلا فيزداد بالاسف ولها وبالحسرة هلمها ولذلك قال الله تعالى لكيلا تأسوا
 على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال بعض الشعراء

* اذا بليت فتق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله *
 * اذا قضى الله فاستسلم لقدرة * ما لامرئ حلية فيما قضى الله *
 * اليأس يقطع احيانا بصاحبه * لا تياسن فان الصانع الله *

ومنها

﴿ ومنها ﴾ كثرة الشكوى وبث الجزع فقد قيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما صبر من بث وحكى كعب الاحبار انه مكتوب في التوراة من اصابته مصيبة فشكى الى الناس فلما يشكوره وحكى ان اعرابية دخلت من البادية فسمعت صراخا في دار فقالت ما هذا قيل لها مات لهم انسان فقالت ما اراهم الامن ربهم يستغيثون وبفضائه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون وقد قيل في منشور الحكم من ضاق قلبه اتسع لسانه وانشد بعض اهل العلم

* لا تكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق *

* لا يخرج الغريق بالغريق *

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

* لا تشك دهرك ما صححت به * ان الغنى هو صحة الجسم *

* هبك الخليفة كنت منتفعا * بغضارة الدنيا مع السقم *

﴿ ومنها ﴾ الياس من خير مصابه ودرك طلابه فيقرن بحزن الحادثة فتوط الياس فلا يبقى معها صبر ولا يتسع لها صدر وقد قيل المصيبة بالصبر اعظم المصيبين وقال ابن الرومي

* اصبري انتهسا النفس فان الصبر اجي *

* ربما خاب رجاء * واتي ما ليس يرجى *

﴿ وانشدني بعض اهل العلم ﴾

* آتحمسب ان البؤس للحر دائم * ولودام شيء عده الناس في العجب *

* لقد عرفك الحادئات بؤسها * وقد ادبت ان كان ينفعك الادب *

* ولو طلب الانسان من صرف دهره * دوام الذي ينحى لاعياه ما طلب *

﴿ ومنها ﴾ ان يعرى بملاحظة من حبطت سلامته وحرست نعمته حتى التحف بالامن والدعة واستمتع بالثروة والسعة ويرى انه قد خص من بينهم بالرزية بعد ان كان مساويا وافرد بالحارثة بصد ان كان مكافيا فلا يستطيع صبرا على بلوى ولا يلزم شكرا على نعمي ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في

الرزية وسواها في الحادثة لتكافأ الامران فهان عليه الصبر وحان منه الفرج
وانشدت لامرأة من العرب

* ايها الانسان صبرا * ان بعد العسر يسرا *
* كم رأينا اليوم حرا * لم يكن بالامس حرا *
* ملك الصبر فاضحي * مالكا خيرا وشرا *
* اشرب الصبر وان كا * ن من الصبر امرآ *
* وانشدت لبعض اهل الادب *

* براع الفتى للخطب تبده صدره * فيأسى وفي عقبه يأتي سروره *
* ألم تر ان الليل لما تراكمت * دجاء بدا وجه الصباح ونوره *
* فلا تعجبين اليأس ان كنت عالما * لييا فان الدهر شتى اموره *
واعلم انه قل من صبر على حادثة وتماسك في نكبة الا كان انكشافها وشيكا
وكان الفرج منه قريبا اخبرني بعض اهل الادب ان ابا ايوب الكاتب حبس
في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض
اخوانه يشكو له طول حبسه فرد عليه جواب رققته بهذا

* صبرا ابا ايوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب فن لها *
* ان الذي عقد الذي انعقدت له * عقد الكاره فيك يملك حلها *
* صبرا فن الصبر يعقب راحة * ولعلها ان تجلي ولعلها *
* فاجابه ابو ايوب يقول *

* صبرتنى ووعظتنى وانا لها * وستجلى بل لا اقول لعلها *
* ويحلها من كان صاحب عقدها * كرمابه اذ كان يملك حلها *
فم يلبث بعد ذلك في السجن الا ايلما حتى اطلق مكرما وانشد ابن دريد
عن ابي حاتم

* اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لمابه الصدر الرحيب *
* واوطنت المكارة واظمأنت * وأرست في مكاتها الخطوب *
* ولم تر لانكشاف الضر وجهها * ولا اغنى بميلته الارب *
* * * * *

* اتك على قنوط منك غوث * عين به اللطيف المستجيب *

* وكل الحادثات اذا تناهت * فوصول بها الفرج القريب *

﴿ الفصل الثالث في المشورة ﴾ اعلم ان من الحزم لكل ذي لب ان لا يبرم امرا ولا يمشي عزما الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فان الله تعالى امر بالمشورة نبيه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفل به من ارشاده ووعد به من تأييده فقال تعالى وشاورهم في الامر قال قتاده امره بمشاورتهم تألفا لهم وتطريبا لانفسهم وقال الضحاك امره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى امره بمشاورتهم ليستق به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وان كان عن مشورتهم غنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المشورة حصن من الندامة وامان من الملامة وقال علي بن ابي طالب رضی الله عنه نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه الرجال ثلاثة رجل ترد عليه الامور فيسدها برأيه ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يأمره اهل الرأي ورجل حائر يأمره لا يأمر رشدا ولا يطيع مرشدا وقال عمر بن عبد العزيز ان المشورة والمنظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأى ولا يفقد معهما حزم وقال سيف بن ذي يزن من اعجب برأيه لم يشاور ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا وقال عبد الحميد المشاور في رأيه ناظر من ورائه وقيل في منشور الحكم المشاورة راحة لك وتعب على غيرك وقال بعض الحكماء الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال بعض الادباء ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال بعض اللغاة من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء فالرأى الفرد ربما زل والعقل الفرد ربما ضل وقال بشار بن برد

* اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح او نصيحة حازم *

* ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى قوة للتوادم *

فاذا عزم على المشاورة ارتاد لها من اهلها من قد استكتمت فيه خمس خصال ﴿ احدها ﴾ عقل كامل مع تجربة سالفة فان بكثرة التجارب تصح الروية وقد روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتدموا وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا فانه يوشك ان يورطك بمشورته فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأننا الف حازم وكان يقال اياك ومشورة رجلين شاب مجب بنفسه قليل التجارب في غيره او كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه وقيل في مشور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب ولذلك قيل الايام تهتك لك عن الاستار الكامنة وقال بعض الحكماء التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة وقال بعض الحكماء من استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول وقال ابو الاسود الدبلي

* وما كل ذى نصيح بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بليب *
 * ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب * فحق له من طاعة بنصيب *
 * والخصلة الثانية * ان يكون ذا دين وتقى فان ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد امرافشاور فيه امرء مسلما وفقه الله لارشده اموره * والخصلة الثالثة * ان يكون ناصحا ودودا فان النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأى وقد قال بعض الحكماء لا تشاور الا الحازم غير الحسود والليب غير الحقود وياك ومشورة النساء فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن وقال بعض الادباء مشورة المشفق الحازم ظفر ومشورة غير الحازم خطر وقال بعض الشعراء

* اصف ضميرا لمن تعاشره * واسكن الى ناصح تشاوره *
 * وارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره *
 * من يكشف الناس لا يجد احدا * تنصح منهم له سراثره *
 * اوشك ان لا يدوم وصل اخ * فى كل زلاته تنافره *
 * والخصلة الرابعة * ان يكون سليم الفكر من هم قاطع ونغم شاغل فان من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر وقد قيل فى

منثور الحكيم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وكان كسرى اذا دهمه امر بعث الى مرزبته فاستشارهم فان قصروا في الرأي ضرب قهارمته وقال ابطأتم بارزاقهم فأخطوا في آرائهم وقال صالح بن عبد القدوس * ولا مشير كذى نصيح ومقدرة * في مشكل الامر فاختر ذاك منتحيا *
 * والحصلة الخامسة * ان لا يكون له في الامر المستشار غرض يتابعه ولا هوى يساعده فان الاغراض جاذبة والهوى صاد والرأى اذا عارضه الهوى وجاذبته الاغراض فسد وقد قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب * وقد يحكم الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب *
 * ويحمد في الامر الفتى وهو مخطى * ويعذل في الاحسان وهو مصيب *
 فاذا استبكت هذه الخصال الخمس في رجل كان اهلا للمشورة ومعدنا للرأى فلا تعدل عن استشارته اعتمادا على ما توهمه من فضل رأيك وثقة بما تستشعره من صحة رويك فان رأى غير ذى الحاجة اسلم وهو من الصواب اقرب لخالوص الفكر وخلو الخاطر مع عدم الهوى وارتفاع الشهوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وما استغنى مستبد برأيه وما هلك احد عن مشورة فاذا اراد الله بعبد هلكة كان اول ما يهلكه رأيه وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال لقمان الحكيم لابنه شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالفلاء وانت تأخذ مجانا وقال بعض الحكماء نصف رأيك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الرأى وقال بعض الادباء من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل وقال بعض البلغاء الخطأ مع الاسترشاد احدم من الصواب مع الاستبداد وقال الشاعر

* خليلي ليس الرأى في صدر واحد * اشيرا على بالذى تريان *
 ولا ينبغي ان يتصور في نفسه انه ان شاور في امره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رويته حتى افتقر الى رأى غيره فان هذه معاذير النوى وليس يراد الرأى للباهاة به وانما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز من الخطأ عند زلله وكيف يكون عارا ما ادى الى صواب وصد عن خطأ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

ليقولوا عقولكم بالذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة وقال بعض الحكماء
 من كمال عقلك استظهارك على عقلك وقال بعض البلغاء اذا اشكلت عليك الامور
 وتغير لك الجمهور فارجع الى رأى العقلاء وافزع الى استشارة العلماء ولا تأذف من
 الاسترشاد ولا تستكف من الاستمداد فلان تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد
 وتديم وينبغي ان تكثر من استشارة ذوى الالباب لاسيما في الامر الجليل
 فقلما يضل عن الجماعة رأى او يذهب عنهم صواب لارسال الخواطر الثاقبة
 واجالة الافكار الصادقة فلا يعرب عنها يمكن ولا يخفى عليها جائز وقد قيل في
 منشور الحكم من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادما وعند الخطأ عاذرا
 وان كان الخطأ من الجماعة بعيدا فاذا استشار الجماعة فقد اختلف اهل رأى فى
 اجتماعهم عليه وانفراد كل واحد منهم به فذهب الفرس ان الاولى اجتماعهم على
 الارتباء واجالة الفكر ليدكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره واتجه فكره حتى اذا كان
 فيه قدح عورض او توجه عليه رد نوقض كالجدل الذى تكون فيه المناظرة وتقع فيه
 المنازعة والمشاجرة فانه لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل الاظهر ولا زلل
 الابان وذهب غيرهم من اصناف الامم الى ان الاولى استسرار كل واحد بالمشورة
 ليحبل كل واحد منهم فكره فى رأى طمعا فى الخطوة بالصواب فان القرائح اذا
 انفردت استكدها الفكر واستفرغها الاجتهاد واذا اجتمعت فوضت وكان الاول
 من بدائنها متبوعا ولكل واحد من المذهبين وجه ووجه الثانى اظهر والذى
 اراه فى الاولى غير هذين المذهبين على الاطلاق ولكن ينظر فى الشورى فان
 كانت فى حال واحدة هل هى صواب ام خطأ كان اجتماعهم عليها اولى لان ما
 تردد بين امرين فالمراد منه الاعتراض على فساده او ظهور الحقبة فى صلاحه
 وهذا مع الاجتماع ابلغ وعند المناظرة اوضح وان كانت الشورى فى خطب
 قد استبهم صوابه واستعجم جوابه من امور خافية واحوال غامضة لم يحصرها
 عدد ولم يجمعها تقسيم ولا عرف لها جواب يكشف عن خطائه وصوابه
 فالاولى فى مثله انفراد كل واحد بفكره وخلوه بخاطره ليجهد فى الجواب ثم
 يقع الكشف عنه أخطأ هو ام صواب فيكون الاجتهاد فى الجواب منفردا
 والكشف عن الصواب مجتمعا لان الانفراد فى الاجتهاد اصح والاجتماع على

المناظرة: ابلغ. فهكذا هذا وينبغي ان يسلم اهل الشورى من حسد او تناقص فيعنيهم من تسليم الصواب لصاحبه ثم يعرض المستشار ذلك على نفسه مع مشاركتهم في الارتياء والاجتهاد فاذا تصفح اقاويل جميعهم كشف عن اصولها واسبابها ويبحث عن نتائجها وعواقبها حتى لا يكون في الامر مقلدا ولا في الرأي مفوضا فانه يستفيد بذلك مع ارتياضه بالاجتهاد ثلاث خصال احدها من معرفة عقله وصحة رويته والثانية معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه والثالثة وضوح ما استجهم من الرأي وافتتاح ما اغلق من الصواب فاذا تقرر له الرأي امضاه فلم يؤاخذهم بعواقب الاكداء فيه فان ما على الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمان النصح لاسيما والمقادير غالبية ومتى عرف منه تعقب المشير وكل الى رأيه واسلم الى نفسه فصار فردا لا يعان برأى ولا يمد بمشورة وقد قالت القرص في حكمها اضعف الحيلة خير من اقوى الشدة واول التاني خير من اكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الملك برأيه عميت عليه المرشد واذا ظفر برأى من خامل لا يراه للرأى اهلا ولا للمشورة مستوجبا اغتمه عفوا فان الرأى كالضالة تؤخذ اين وجدت ولا يهون لمهانة صاحبه فيطرح فان الدرلة لا يضعها مهانة غائضا والضالة لا تترك لذلة واجدها وليس يراد الرأى لمكان المشير به فيراعى قدره وانما يراد لانتفاع المستشار وانشد ابو العيلاء عن الاصمعي

* النصح اخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم *
 * ان النصائح لا تخفى منها هجها * على الرجال ذوى الالباب والفهم *
 ثم لا وجه لمن تقرر له رأى ان يني في امضائه فان الزمان قادر والفرص منهزة والثقة عجز وقيل لملك زال عنه ملكه ما الذى سلبك ملكك قال تأخيري عمل اليوم لقد وقال الشاعر

* اذا كنت ذا رأى فكن ذاعرية * ولا تك بالترداد للرأى مفسدا *
 * فاق رأيت الربيب في العزم هجينة * وانفاذ ذى الرأى العزيمة ارشدا *
 وينبغي لمن انزل منزلة المستشار واحل محل الناصح المواد حتى صار مأمول النصح مرجو الصواب ان يؤدي حق هذه التهمة باخلاص السريرة ويكافئ على الاستسلام ببذل النصح فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قاله ان من حق

المسلم على المسلم اذا استصحه ان ينصحه وربما ابطرته المشاورة فاعجب برأيه فاحذره في المشاورة فليس للمعجب رأى صحيح ولا روية سليمة وربما شخ في الرأى لعداوة او حسد فورى او مكر فاحذر العدو ولا تثق بحسود ولا عذر لمن استشاره محذو او صديق ان يكتم رأيا وقد استرشد ولا ان يخون وقد ائتمن روى محمد بن المنكدر عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المستشار والمستشار مؤتمن وقال سليمان بن دريد

* وأجب اخاك اذا استشارك ناصحا * وعلى اخيك نصيحة لا تردد *
ولا ينبغي ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مس ولا ان يتبرع بالرأى الا فيما لم يمس فانه لا ينفعك من ان يكون رأى متبهما او مطرحا وفي اى هذين كان وصمة وانما يكون الرأى مقبولا اذا كان عن رغبة وطلب او كان لباعث وسبب روى ابو بلال العجلي عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال لقمان لابنه يا بني اذا استشهدت فاشهد واذا استعنت فأعن واذا استشرت فلا تجمل حتى تنظر
وقال بهيس الكلابى

* من الناس من ان يستشرك فجتهد * له الرأى يستغشك ما لا يتابعه *
* فلا تتحمن للرأى من ليس اهله * فلا انت محجود ولا الرأى نافعه *
* الفصل الرابع فى كتمان السر * اعلم ان كتمان الاسرار من اقوى اسباب اسباب النجاح وادوم لاحوال الصلاح روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه سر ك اسيرك فان تكلمت به صرت اسيره وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال فى موضع الحق ضئينا بالاسرار عن جميع الخلق فان اجد جود المرء الانفاق فى وجه البر والبخل بمكثوم السر وقال بعض الادباء من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه وقال بعض البلغاء ما اسرك ما كتمت سر ك وقال بعض الفصحاء ما لم تغيبه الاضالع فهو مكشوف ضائع وقال بعض الشعراء وهو انس بن اسيد

* ولا تفس سر ك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا *
* فان رأيت وشاة الرجا * ل لا يتركون ادما صحيفا *

وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آتانا وفي عواقبه سالما ولنجاح حوائجه راجيا وقال انوشروان من حصن سره فله بمحصنه خصتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات واظهار الرجل سر غيره اقمج من اظهاره سر نفسه لانه يبوء باحدى وصتين الخيانة انه كان مؤتمنا او النيمة ان كان مستودعا فلما الضرر فرجا استويا فيه وتفاضلا وكلاهما مذموم وهو فيهما ملوم وفي الاسترسال ببدء السر دلائل على ثلاثة احوال مذمومة احداها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر وقال الشاعر

* اذا المرء افشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو احق *
 * اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السراضيق *
 والثانية الغفلة عن تحذر العقلاء والسهو عن يقظة الاذكياء وقد قال بعض الحكماء ان فرد بسرك ولا تودعه حازما فيرل ولا جاهلا فيخون والثالثة ما ارتكبه من الغدر واستعمله من الخطر وقد قال بعض الحكماء سر ك من دمك فاذا تكلمت به فقد ارقته • واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم واستشارة ناصح مسلم فليختر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمه سبيلا وليتحرر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال امينا كان على الاسرار مؤتمنا والعفة عن الاموال ايسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان قد يذبح سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشخ باليسير من ماله حفظا له وضنا به ولا يرى ما اذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخلى عليه فن اجل ذلك كان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال وكان حفظ المال ايسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال صنيفة واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب اوعية الاسرار والشفاه افعالها والالسن مفتاحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره • ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل صاد ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تتمع من الاذاعة وتوجب

حفظ الامانة فن كلك فيه فهو عنقاء مغرب وقيل في منشور الحكم قلوب العقلاء
حصون الاسرار وليحذر صاحب السر ان يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر
الوقوف عليه فان طالب الوديعة خائن وقيل في منشور الحكم لا تنكح خادبا
سرك وقال صالح بن عبد القدوس

* لا تدع سرا الى طالب * منك فالغالب للسر مذبح *

وليحذر كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة
لامر من احدهما ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز ولا بد اذا
كثروا من ان يكون فيهم من اخل ببعضها والثاني ان كل واحد منهم يجد
سبيلا الى نفي الاذاعة عن نفسه واحاطة ذلك على غيره فلا يضاف اليه ذنب
ولا يتوجه عليه عتب وقد قال بعض الحكماء كلما كثرت خزائن الاسرار ازدادت
ضايحا وقال بعض الشعراء

* وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي *

﴿ وقال آخر ﴾

* فلا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوز الاثني فاشي *

ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطالتهم فان لمن ظفر بسر من
فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما ان لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل
كان اشد من ذل الرق وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من افشى سره كثر
عليه التأمرون فاذا اختار وارجو ان يوفق للاختيار واضطر الى استبداع
سره وليته كفى الاضطرار وجب على المستودع له آداء الامانة فيه بالحفظ
والتناسي له حتى لا يضطر له ببال ولا يدور له في خلد ثم يرى ذلك نجاسة يراها
ولا يدل ادلال اللئام وحكي ان رجلا اسر الى صديق له حديثا ثم قال افهمت
قال بل جئت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لرجل كيف كتبناك للسر قال
اجحد الخبر واحلف للمستخبر وقال بعض الشعراء

* ولو قدرت على نسيان ما اشتكت * من المخلوع على الاسرار والخبر *

* لكنك اول من ينسى سراره * اذ كنت من شرها يوما على خطر *

وحكى ان عبدالله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ابنه
 * ومستودعي سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشى قبرا *
 * ولكننى اخفيه عنى كأننى * من الدهر يوما ما اخطت به خبرا *
 * وما السر في قلبى كيت بحفرة * لاني ارى المدفون ينظر النشرا *
 * الفصل الخامس في المزاح والضحك * اعلم ان للمزاح ازاحة عن الحفوق
 ومخرجا الى القطيعة والعقوق بصم المازح ويؤذى الممازح فوصية المازح ان
 يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجرى عليه الغوغاء والسفهاء واما اذية الممازح
 فلانه معقوق بقول كربه وفعل ممض ان امسبك عنه احزن قلبه وان قابل عليه
 جانب ابنه فحق على العاقل ان يتقيه ويزه نفسه عن وصمة مساويه وقد روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المزاح استدراج من الشيطان واخذاج من
 الهوى وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا المزاح فانهما حقة تورث ضغينة وقال
 بعض الحكماء انما المزاح سباب الا ان صاحبه يضحك وقيل انما سمي المزاح
 مزاحا لانه يزيج عن الحق وقال ابراهيم النخعي المزاح من سخف او بطر وقيل
 في منشور الحكم المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب وقال بعض الحكماء من
 كثر مزاحه زالت هيئته ومن كثر خلافه طابت غيبته وقال بعض البلغاء من
 قل عقله كثر هزله وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال يصك احدكم صاحبه
 باشد من الجنيد وينشقه احرق من الخردل ويفرغ عليه اجر من المرجل ثم يقول
 انما كنت امازحك وقال بعض الحكماء خير المزاح لا ينال وشره لا يقال فنظمه
 السابوري في قصيدته الجامعة للأدب فقال وزاد

* شر مزاح المرء لا يقال * وخيره يا صاح لا ينال *
 * وقد يقال كثرة المزاح * من الفتى تدعو الى التلاح *
 * ان المزاح بدؤه حلاوه * اكنا آخره عداوه *
 * يحد منه الرجل الشريف * ويجترى بسخفه السخيف *

وقال ابونواس

* خـل جـيـك زام * وامض عند بسلام *

- * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام *
 * انما السالم من ألجم فاه بلسام *
 * ربما استفتح بالزح مضاليق الحمام *
 * والنسايآ آكلات * شاربات للانام *

واعلم انه قلما يعرى من المزاح من كان سهلا فالعاقل يتوخى بزاحه احدى
 حالتين لاثالث لهما ﴿ احدهما ﴾ ائناس المصاحبين والتودد الى المخالطين
 وهذا يكون بما انس من جبل القول وبسط من مستحسن الفعل وقد قال سعيد
 ابن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب اليهء ويجرى
 عليك السفهاء وان التقصير فيه يفض عنك المؤانس ويوحش منك المصاحبين
 ﴿ والحالة الثانية ﴾ ان ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم واحداث به من هم
 فقد قيل لا بد للمصدور ان ينفث وانشدت لابي الفتح البستي

- * أفد طبعك المكثود بالجُد راحة * تجسم وعلايه بشئ من الزح *
 * ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح *
 وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح على هذا الوجه روى عنه صلى الله عليه
 وسلم انه قال انى لامزح ولا اقول الا حقا • فمن مزاحه صلى الله عليه وسلم
 ما روى ان عجوزا من الانصار اتته فقالت يا رسول الله ادع لى بالغرفة فقال أما
 علمت ان الجنة لا يدخلها العجائز فصرخت فنبسم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال أما قرأت قول الله عز وجل انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
 عريا اترابا • واتته اخرى فى حاجة لزوجهها فقال لها ومن زوجك فقالت
 فلان فقال لها الذى فى عينه بياض فقالت لا فقال بلى فانصرفت عجلى الى
 زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها ما شأنك فقالت اخبرنى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها •
 واتى رجل على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال انى احتلمت على اى فقال
 اقيموه فى الشمس واضربوا ظله الحد • وسئل الشعبي عن اكل لحم الشيطان
 فقال نحن نرضى منه بالكفاف وقيل له ما اسم امرأة ابليس لعنه الله فقال ذلك
 نكاح ما شهدناه وقال رجل لغلام بكم تعمل معى قال بطعامى فقال له احسن

قليلًا قال فاصوم الاثنين والخميس وحكى عن ابي صالح بن حسان وكان محدثًا
انه قال يوما لاصحابه افقه الناس وضاح اليمن في قوله

* اذا قلت هاتى نولينى تبرمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم *
* بما نولت حتى تضرعت عندها * وانباتها ما رخص الله في اللحم *
فاما الخروج الى حد الخلاعة فهجنة ومنمة كالذى حكى عن ابي معاوية
الضرير وكان محدثًا انه خرج يوما الى اصحابه وهو يقول

* واذا المعدة جاشت * فارمها بالنجنيق *
* بثلاث من نبيذ * ليس بالخلو الرقيق *

أما ترى كيف طرق بخلاعه التهمة على نفسه بهذا المزح فيما لعله برئ منه
وبعيد عنه وقد كان ابو هريرة رضى الله عنه مسترسلًا في مزاحه • روى
ابن قتيبة في المعارف ان مروان ربما كان يستخلفه على المدينة فيركب حمارا
قد شد عليه رذعة فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الامير وربما اتى
الصبيان وهم يلعبون لعبة الاعراب فلا يشعرون حتى يلقى نفسه بينهم ويضرب
برجله فيفرع الصبيان فينفرون وهذا خروج عن القدر المستسمح به ويوشك
ان يكون لهذا الفعل منه تأويل سائغ وقد كان صهيب بن سنان مزاحا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنأكل تمرًا وبك رمد فقال يا رسول الله انما امضغ على
الناحية الاخرى وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمزح في جوابه لان استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمن المزح فاجابه عن
استخباره بما يوافق مساعده لغرضه وتقربا من قلبه والافليس لاحد ان يجعل
جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا لان المزح هزل ومن جعل جواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم البين عن الله عز وجل احكامه المؤدى الى خلقه
او امره هزلا ومزحا فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان اطوع لله سبحانه
وتعالى من ان يكون بهذه المنزلة فقد قال صلى الله عليه وسلم انا سابق العرب
وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش • ومن مستحسن
المزح ومستسمح الدعابة ما حكى الزبير بن بكار عن الكندي ان القشيري وقف
على شيخ من الاعراب فقال يا اعرابي ممن انت فقال من عقيل قال من اى عقيل

قال من بنى خفاجة فقتال القشيري رأيت شيخنا من بنى خفاجة فقتال الاعرابي
 ما شأنه قال له اذا جن الغلام حاجة فقتال الاعرابي ما هي قال كحاجة الديك
 الى الدجاجة فاستعبر الاعرابي ضاحكا وقال قاتلك الله ما اعرفك بسر اثر القوم
 فانظر كيف بلغ بهذا المزح غايته ولسانه نزه وعرضه مصون وهذا غاية ما يتسامح
 به الفضلاء من الخلاعة وان كان مستكره الفحوى والنزاهة عن مثله اولى وليحذر
 ان يسترسل في ممازحة عدو فيجعل له طريقا الى اعلان المساوى وهو مجد
 ويفضح له في التثني مزحا وهو محق وقد قل بعض الحكماء اذا مازحت عدوك
 ظهرت له عيوبك • واما الضحك فان اعتياده شاغل عن النظر في الامور
 المهمة مذهل عن الفكر في النوائب الملمة وليس لمن اكثر منه هيبه ولا وقار ولا
 لمن وصم به خطر ولا مقدار روى ابو ادريس الخولاني عن ابي نذر الغضاري
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب
 وينذهب نور الوجه وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ما لهذا الكتاب
 لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة الضحك وقل عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه من كثر ضحكك قلت هيبته وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
 اذا ضحك العالم ضحكة حج من العلم بحجة وقيل في منشور الحكم ضحكة المؤمن غفلة
 من قلبه والقول في الضحك كالتقول في المزاح ان تجافاه الانسان نقر عنه واوحش
 منه وان الفه كانت حاله ما وصفنا فليكن بدل الضحك عند الايناس تبسما
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه التسم دعابة وهذا البغ في الايناس من
 الضحك الذى هو قد يكون استهزاء وتعبجا وليس ينكر منه المرة التادرة لطارىء
 استغفل النفس عن دفعه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لهلك الخلق
 لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه وانما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على
 الوجه الذى ذكرناه ﴿ الفصل السادس في الطيرة والقال ﴾ اعلم انه ليس شئ
 اضر بالرأى ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيب
 غراب يرد قضاء او يدفع مقديورا فقد جهل وقد روى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ﴿ فالعدوى ﴾ ما يظنه
 الناس من تعدى العليل والامراض فاخبر انها لا تعدى فقيل يا رسول الله

انا ترى النعطة من الجرب في مشفر البعير فتعدى الى جميعه فقال صلى الله عليه وسلم يا اعدى الاول واما ﴿ الهامة ﴾ فهو ما كانت العرب في الجاهلية تعتقده من ان القتل اذا طل دمه فلم يدرك بثاره صاحته هامة في القبر اسقوني قال الزرقان بن بدر يعينها

* يا عمرو ألا تدع شمتي ومنعتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني *
 ﴿ وقال ابراهيم بن هرمة ﴾

* وكيف وقد صاروا عظاما واقبرا * يصيح صداها بالعشي وهمها *
 * تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة * سريع الى ورد الغناء كرامها *
 واما ﴿ الصفر ﴾ فهو كالحية يكون في الجوف يصيب المشية والناس وهو اعدى عندهم من الجرب وفيه يقول الشاعر

* لا يسك الساق من اين ولا عصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر *
 وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ظنتم فلا تتحققوا واذا احسرتم فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا وقال الشاعر

* ظيرة الناس لا ترد قضاء * فاعذر الدهر لا تشبه بلوم *
 * اى يوم تخصصه بسعود * والنساي يزلن في كل يوم *
 * ليس يوم الا وقبه سعود * ونحوس تجرى لقوم وقوم *
 وقد كانت الفرس اكثر الناس طيرة وكانت العرب اذا ارادت سفرا نفرت اول حائر تلقاه فان طار يئمة سارت وتيمت واذا طار يسرة رجعت وتشامت فتهدى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير على وكنائنها وحكى عكرمة قال كذا جلوسا عند ابن عباس رضى الله عنهما فر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر وقال لبيد

* لعمر ك ما تدرى الضوارب بالخصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع *
 واعلم انه قيلما يملو من الطيرة احد لا سيما من عارضته المقادير في ارادته وصدده القضاء عن طلبه فهو يرجو واليأس عليه اغلب ويأمل والخوف اليه لقرب فاذا عاقه القضاء وخانه الرجاء جعل الطيرة عذر خيته وغفل عن قضاء الله عن

وجل ومشيئته فاذا تطير اجم عن الاقدام ويئس من الظفر وظن ان القياس فيه
 مطارذوان العبرة فيه مستمرة ثم يصبر ذلك له عادة فلا ينجح له سعي ولا يتم له قصد
 فاما من ساعدته المقادير وواقفه القضاء فهو قليل الطيرة لاقدامه ثقة باقباله
 وتعويلا على سعادته فلا يصدده خوف ولا يক্ষে، حزن ولا يؤوب الا ظافرا ولا
 يعود الا منجحا لان الغنم بالاقدام والحية مع الاجام فصارت الطيرة من سمات
 الادبار واطراحها من امارات الاقبال فينبغي لمن منى بها وبلى ان يصرف عن
 نفسه وساوس التوكي ودواعي الحية وذرائع الحرمان ولا يجعل للشيطان سلطانا
 في تقض عزائمهم ومعارضة خالقه ويعلم ان قضاء الله تعالى عليه غالب وان
 رزقه له طالب الا ان الحركة سبب فلا يثنيه عنها ما لا يضر مخلوقا ولا يدفع
 مقدورا وليض في عزائمهم واثقا بالله تعالى ان اعطى وراضيا به ان منع فقد روى
 ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الانسان ثلاثة الطيرة
 والظن والحسد فخرجه من الطيرة ان لا يرجع ومخرجه من الظن ان لا يتحقق
 ومخرجه من الحسد ان لا يبغى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة الطيرة
 التوكل على الله تعالى وقيل في منشور الحكم الخير في ترك الطيرة وليقل ان عارضه
 في الطيرة ريب او خامرته فيها وهم ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 من تطير فليقل اللهم لا باتى بالخيرات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول
 ولا قوة الا بالله وقد روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
 الله انا تزنا دارا فكثرت فيها عددنا وكثرت فيها امواتنا ثم تحولنا عنها الى اخرى
 فقلت فيها امواتنا وقل فيها عددنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذروها فهي ذميمة
 وليس هذا القول منه صلى الله عليه وسلم على وجه الطيرة ولكن على طريق
 التبرك بما فارق وترك ما استوحش منه الى ما انس به • واما الفال ففيه تقوية
 للعزم وباعث على الجد ومعونة على الظفر فقد تضاءل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في غزواته وحروبه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سمع كلمة فاجتبه فقال اخذنا فالك من فيك فينبغي لمن تفاعل ان يتأول الفال
 باحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا فقد قال النبي صلى الله
 عليه وسلم ان البلاء موكل بالنطق روى ان يوسف عليه السلام شكى الى الله

تعالى طول الحبس فآوحى الله تعالى اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت
رب السجن احب اليّ ولو قلت العافية احب اليّ لعوفيت وحيى ان المؤمل بن
اميل الشاعر لما قال يوم الحرة

* شف المؤمل يوم الحرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر *
عمى فاتاه آت في منامه فقال له هذا ما طلبت وحيى ان الوليد بن يزيد بن
عبد الملك تفاعل يوما في المحصف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيذ فزق المحصف وانشأ يقول

* أتوعد كل جبار عنيد * فيها انا ذاك جبار عنيد *
* اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد *
فلم يلبث الا اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده
فعوذ بالله من البغي ومصارعه والشيطان ومكائده وهو حسبا وعليه
توكلنا ﴿ الفصل السابع في الروءة ﴾ اعلم ان من شواهد الفضل ودلائل
الكرم الروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم فالروءة مراعاة الاحوال التي
تكون على افضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه اليها ذم
باستحقاق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم
وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته
ووجبت اخوته وقال بعض البلغاء من شرائط الروءة ان يتعفف عن الحرام
ويتصلف عن الآثام وينصف في الحكم ويكف عن الظلم ولا يطمع فيما
لا يستحق ولا يستطيل على من لا يسترق ولا يعين قويا على ضعيف ولا يؤثر
دينا على شريف ولا يسر ما يعقبه الوزر والاثم ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم
وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والروءة فقال العقل يأمرك بالانفع
والروءة تأمرك بالاجل ولن نجد الاخلاق على ما وصفنا من حد الروءة منطبعة
ولا عن المراعاة مستغنية وانما المراعاة هي الروءة لا ما انطبعت عليه من فضائل
الاخلاق لان غرور الهوى ونازع الشهوة بصرفان النفس ان تترك الافضل
من خلائقها والاجل من طرائقها وان سلمت منها وبعيد ان تسلم الامن استكمل
شرف الاخلاق طبعا واستغنى عن تهذيبها تكلفا وطبعها وقال الشاعر

* من لك بالمحض وليس محض * يجتث بعض ويطيب بعض *
 ثم لو استكمل الفضل طبعاً وفي المعوز ان يكون مستكملاً لكان في المستحسن من
 عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من حقوق المروءة وشروطها ما
 لا يتوصل اليه الا بالعناء ولا يوقف عليه الا بالتفقد والمراعاة ثبت ان مراعاة
 النفس على افضل احوالها هي المروءة واذا كانت كذلك فليس يتقاد لها مع ثقل
 كلفها الا من تسهلت عليه المشاق رغبة في الحمد وهانت عليه الملاذ حذرا من
 الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام الطائي

* والحمد شهد لا يرى مشاره * يجنيه الا من تقيع الخنظل *
 * غل لحامله ويحبه الذي * لم يوه عاقه خفيف الحمل *
 ❖ وقد لحظ النبي ذلك في قوله ❖
 * لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفتقر والاقدام قتال *
 ❖ وله ايضا ❖

* واذا كانت النفوس كبارا * تجت في مرادها الاجسام *
 والداعي الى استسهال ذلك شيان احدهما علو الهمة والثاني شرف
 النفس اما ❖ علو الهمة ❖ فلانه باعث على التقدم وداع الى التخصيص انفة
 من خمول الضعة واستنكارا المهانة النقص ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره ذنوبها وسفاسفها وروى عن عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا تصفرن همتكم فاني لم اراقعد عن المكرمات
 من صغر الهمة وقال بعض الحكماء الهمة راية الجد وقال بعض البلغاء علو
 الهمة بذر النعم وقال بعض العلماء اذا طلب رجلان امرا ظفر به اعظمهما مروءة
 وقال بعض الادباء من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل جسيما واما
 ❖ شرف النفس ❖ فان به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهديب
 لان النفس ربما جمحت عن الافضل وهي به عارفة ونفرت عن التأديب وهي له
 مستحسنة لانها عليه غير مطبوعة وله غير ملائمة فتصير منه انفر ولضده الملائم
 آثر وقد قيل ما اكثر من يعرف الحق ولا يطيعه واذا شرفت النفس كانت
 للآداب طالبة وفي الفضائل راغبة فاذا ما زجها صادف طبعها ملائمة فنجى واستقر

فاما من منى بعلو الهمة وسلب شرف النفس فقد صار عرضة لامر اعوزته
آلته وافسدته جهالته فصار كضريز يروم تعلم الكتابة واخرس يريد الخطبة فلا
يزيده الاجتهاد الا عجزا والطلب الا عوزا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هلك امرؤ عرف قدره وقيل لبعض الحكماء من اسوأ الناس حالا قال من
بعدت همته واتسعت امنيته وقصرت آتته وقلت مقدرته وقال افنون الشعلي

* ولا خير فيما يكذب المرء نفسه * وتقواله للشئ يا ليت ذالبا *

* لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا *

وقال بعض الحكماء تجنبوا المني فانها تذهب بيهجة ما خولتم وتستصغرون بها
نعمة الله عليكم وقيل في مشور الحكم المني من بضائع النوى فان صادف بهيمته
حظا نال به املا كان فيما ناله كالمغتصب وفيما وصل اليه كالتغلب اذ ليس في
الخطوظ تقدير لحق ولا تمير مستحق وانما هي كالسحاب الذي يمك عن منابت
الاشجار الى مغايص البحار ويترك حيث صادف من خبيث وطيب فان صادف
ارضا طيبة نفع وان صادف ارضا خبيثة ضرر كذلك الخط ان صادف نفسا
شريفة نفع وكان نعمة عامة وان صادف نفسا ذنية ضرر وكان نقمة طامة
وحكى ان موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعذاب فاوحى اليه قد
ملكتم سفنها على اعلاها فقال يا رب كنت احب لهم عذابا عاجلا فاوحى الله تعالى
اليه اوايس هذا كل العذاب العاجل الاليم فاما شرف النفس اذا تجرد عن علو
الهمة فان الفضل به عاقل والقدر به خامل وهو كالقوة في الجلد الكسل والجبان
الفشل تضعيف قوته بكسله وجلده بفشله وقد قيل في مشور الحكم من دام كسله
خاب امله وقال بعض الحكماء نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة ونكح
الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان وقال بعض الشعراء

* اذا انت لم تعرف لنفسك حقها * هو انا بها كانت على الناس اهونا *

* فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن * عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا *

* واياك والسكنى بمنزل ذلة * يعد مسيئا فيه من كان محسنا *

وشرف النفس مع صغر الهمة اولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من علت همته
مع دناءة نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه ومخطيا الى التماس ما لا يستوجبه

ومن شرفت نفسه مع صفر همته فهو تارك لما يستحق ومقصر عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب وقد قيل لبعض الحكماء ما اصعب شيء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم الاسرار فدا اجتماع الامران واقترن بشرف النفس علو الهمة كان الفضل بهما ظاهرا والادب بهما وافر او مشاق الحمد بينهما سهلة وشروط الرواة بينهما متينة وقد قال الحصين ابن المنذر الرقاشي

- * ان الرواة ليس يدركها امرؤ * ورث المكارم عن اب فاضاعها *
- * امرته نفس بالدناءة والحناء * ونهته عن سبل العلا فاطاعها *
- * فاذا اصاب من المكارم خلة * بيني الكريم بها المكارم باعها *

واعلم ان حقوق الرواة اكثر من ان تحصى واخفى من ان تظهر لان منها ما يقوم في الروم حسا ومنها ما يقتضيه شاهد الحلال حدسا ومنها ما يظهر بالفضل ويخفى بالتعاقف فلذلك اعوز استيفاء شروطها الا جلا يتنبه الفاضل عليها يفظته ويستدل العاقل عليها بفطرته وان كان جميع ما تضمنه كتابنا هذا من حقوق الرواة وشروطها وانما نذكر في هذا الفصل الاشهر من قواعدها واصولها والاظهر من شروطها وحقوقها محصورا في تقسيم جامع وهو ينقسم قسمين احدهما شروط الرواة في نفسه والثاني شروطها في غيره * فاما شروطها في نفسه بعد التزام ما اوجبه الشرع من احكامه فيكون بثلاثة امور وهي العفة والزاهة والصيانة فاما العفة فنوعان احدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم فاما العفة عن المحارم فنوعان احدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الاعراض فاما ضبط الفرج عن الحرام فلائنه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرفة فاضحة وهتكه داخضة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من وقى شر ذنبه وبلقعه وبقبجه فقد وقى يريد بذنبه الفرج وبلقعه اللسان وبقبجه البطن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله تعالى عفاف الفرج والبطن وحكى ان معاوية رضى الله عنه سأل عمر عن الرواة فقال تقوى الله تعالى وصلته ارحم وسأل المغيرة فقال هي العفة عما حرم الله تعالى والحزفة فيما احل الله تعالى وسأل يزيد فقال

هي الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو عند القدرة فقال معاوية
 انت منى حقا وقال انوشروان لابنه هرمز من الكامل المروءة فقال من حصن
 دينه ووصل رحمه وكرم اخوانه وقال بعض الحكماء من احب المكارم اجتنب
 المحارم وقيل عار الفضيحة يكدر لذتها وقد انشدنى بعض اهل الادب للحسن
 ابن على رضى الله عنهما

* الموت خير من ركوب العار * والعار خير من دخول النار *
 * والله من هذا وهذا جارى *

والداعى الى ذلك شيان احدهما ارسال الطرف والثانى اتباع الشهوة وقد
 روى عن النبي عليه السلام انه قال لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه يا على
 لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك وفي قوله لا تتبع النظرة
 النظرة تأويلان احدهما لا تتبع نظر عينيك نظر قلبك والثانى لا تتبع الاولى التى
 وقعت سهوا بالنظرة الثانية التى توقعها عمدا وقال عيسى بن مريم عليه السلام
 اياكم والنظرة بعد النظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها
 فتنة وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه العيون مصايد الشيطان وقال
 بعض الحكماء من ارسل طرفه استدعى حتفه وقال بعض الشعراء

* وكنت متى ارسلت طرفك رأدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر *
 * رأيت السدى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر *

واما الشهوة فهى خادعة العقول وغادرة الالباب ومحسنة القبائح ومسولة الفضائح
 وليس عطب الا وهى له سبب وعليه الب ولذلك قال النبي عليه السلام اربع
 من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب
 وحين يرهب وحين يشتهى وحين يفضب وقهرها عن هذه الاحوال يكون
 بثلاثة امور ﴿ احدها ﴾ غص الطرف عن اثارها وكفه عن مساعدتها
 فانه الرائد المحرك والقائد المهلك روى سعيد بن سنان عن انس بن مالك عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا الى بست اتقبل اليكم بالجنة قالوا وما هى
 يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اتمن فلا
 يخون غصوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم ﴿ والثانى ﴾ ترغيبها فى

الحلال عوضا واقناعها بالبإباح بدلا فان الله ما حرم شيئا الا واغنى عنه بما
 من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة وتركيب الفطرة ليكون ذلك عوننا على طاعته
 وحاجزا عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما امر الله تعالى بشيء
 الا واعان عليه ولا نهى عن شيء الا واغنى عنه * والثالث * اشعار النفس
 تقوى الله تعالى في اوامره واتقائه في زواجره والزامها ما الزم من طاعته
 وتحذيرها ما حذر من معصيته واعلامها انه لا يخفى عليه ضمير ولا يعزب عنه
 قطمير وانه يجازى المحسن ويكافئ المسيء وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله روى
 ابن مسعود ان آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
 كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون وآخر ما نزل من التوراة اذا لم تستحي
 فاصنع ما شئت وآخر ما نزل من الانجيل شر الناس من لا يبالي ان يراه الناس
 مسيئا وآخر ما نزل من الزبور من يزرع خيرا يحصد زرعه غبطة فاذا اشعرها
 ما وصفت انقادت الى الكف واذعنت بالاتقاء فسلم دينه وظهرت مروءته فهذا
 شرط واما كف اللسان عن الاعراض فلائنه ملاذ السفهاء وانتقام اهل النوغاء
 وهو مستسهل الكلف اذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بجماره
 وتخبط بمضاره وظن انه تجافى الناس عنه حتى يتقى ورتبة ترتقى فهلاك واهلك
 فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام
 عليكم حرام عليكم بجمع بين الدم والعرض لما فيه من ايقار الصدور وابداء
 الشرور واطهار البذاء واكتساب الاعداء ولا يبقى مع هذه الامور وزن لموموق
 ولا مروءة للمحوظ ثم هو بها موزور موزور ولاجلها مهجور مزجور وقد روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه
 وقال بعض الحكماء انما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال وما قدح
 في الاعراض من الكلام نوعان احدهما ما قدح في عرض صاحبه ولم يتجاوز
 الى غيره وذلك شيطان الكذب وغش القول والثاني ما تجاوزه الى غيره وذلك
 اربعة اشياء الغيبة والنميمة والسعاية والسب بقذف او شتم وربما كان السب
 انكاسا للقلوب وابانها اثرا في النفوس ولذلك ما زجر الله عنه بالحد تغليظا
 وبالتفسيق تشديدا وتصعبا وقد يكون ذلك لاحد شيئين اما انتقام يصدر عن

سفه اوبذاء يحدث عن لثوم وقد روى ابو سلمة عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن غر كريم والفاجر خب لثيم وقال ابن المقفع الاستطالة لسان الجهالة وكف النفس عن هذه الحال بما يصددها من الزواجر اسم وهو بذوى الروء اجل فهذا شرط واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف عن المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاسرار بخيانة فاما المجاهرة بالظلم فعنو مهلك وظعيان متلف وهو يؤول ان استمر الى فتنة او جلاء فاما الفتنة في الاغلب قمحيط بصاحبها وتنعكس عن البادئ بها فلا تكشف الا وهو بها مصروع كما قال الله تعالى ولا يحق المكر السيئ الا باهله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفتنة نائمة فمن ايقظها صار طعاما لها وقال جعفر بن محمد الفتنة حصاد للظالمين وقال بعض الحكماء صاحب الفتنة اقرب شئ اجلا واسوأ شئ عملا وقال بعض الشعراء

* وكنت كعز السوء قامت لحنفها * الى مدينة تحت الثرى تستثيرها *

واما الجلاء فقد يكون من قوة الظالم وتطاول مدته فيصير ظلمه مع المكنة جلاء وفناء كالنار اذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقى معها مع تمكنها شيئا حتى اذا اذنت ما وجدت اضمحلت وخذت فكذا حال الظالم مهلك ثم هالك والباعث على ذلك شيطان الجرأة والقسوة ولذلك قال النبي عليه السلام اطلبوا الفضل والمعروف عند الرجاء من امتي تعيشوا في اكنافهم والصاد عن ذلك ان يرى آثار الله تعالى في الظالمين فان له فيهم عبرا ويتصور عواقب ظلمهم فان فيهما مزدجرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح ولم ينو ظلم احد غفر الله له ما اجترم وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتق دعوة المظلوم فانه انما يسأل الله حقه وان الله لا ينجح ذا حق حقه وقيل في منشور الحكم ويل للظالم من يوم المظالم وقال بعض البلغاء من جار حكمه اهلكه ظلمه وقال بعض الشعراء

* وما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سبلى بظالم *

واما الاستمرار بالخيانة فضعة لانه بذل الخيانة مهين وقللة الثقة به مستكين وقد قيل في منشور الحكم من يخن يهن وقال خالد الربيعي قرأت في بعض

الكتب السالفة ان مما تجمل عقوبة ولا تؤخر الامانة فحان والاحسان يكفر
والرحم تقطع والبغى على الناس ولولم يكن من ذم الخيانة الا ما يجده الخائى في
نفسه من المنذلة لكفاه زاجرا ولو تصور عقبي امانته وجدوى ثقته لعلم ان ذلك
من اربح بضائع جاهه واقوى شغعا، تقدمه مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل
عليه من الاعظام وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اَدَّ الامانة الى
من اتمتك ولا تخن من خالك وروى سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ومن
اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده
اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل يعنون
ان اموال العرب حلال لهم لانهم من غير اهل الكتاب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذب اعداء الله ما من شئ كان في الجاهلية الا وهو تحت
قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ولا يجعل ما يتظاهر به من الامانة
زورا ولا ما يبيديه من العفة غورا فينهتك الزور وينكشف الغرور فيكون مع
هتكه للتدليس اقبح ولعرة الرياء افضح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال بعض الحكماء
من التمس اربع باربع التمس ما لا يكون ومن التمس الجزاء بارياء التمس ما لا يكون
ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون ومن التمس وفاء الاخوان بغير
وفاء التمس ما لا يكون ومن التمس العلم براحة الجسد التمس ما لا يكون والداعى الى
الخيانة شيثان المهانة وقلة الامانة فاذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ظهرت
مروءته فهذا شرط قد استوفينا فيه اقسام العفة • واما النزاهة فنوعان
احدهما النزاهة عن المطامع الدنية والثاني النزاهة عن مواقف الريبة فاما
المطامع الدنية فلان الطمع ذل والدناة لؤم وهما ادفع شئ للبروءة وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى طبع
وقال بعض الشعراء

- * لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين *
* واسترزق الله مما في خزائنه * فانما هو بين الكاف والنون *
والباعث على ذلك شيثان الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما اوتي وان كان كثيرا

لاجل شرهه ولا يستنكف مما منع وان كان حقيرا لقلته انفته وهذه حال من لا يرى لنفسه قدرا ويرى المال اعظم خطرا فيرى بذل اهون الامرين لاجلها معهما وليس لمن كان المال عنده اجل ونفسه عليه اقل اصغاء لتأنيب ولا قبول لتأديب وروى ان رجلا قال يا رسول الله اوسنى قال عليك بالياس مما في ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال بعض الشعراء

* ومن كانت الدنيا مناه وهمه * سبته المني واستعبده المطامع *

وحسم هذه المطامع شيان اليأس والقناعة وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لا تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجلوا في الطلب ولا يحملكم ابطاء الرزق على ان تطلبوه بمعاصي الله تعالى فان الله عز وجل لا يدرك ما عنده الا بطاعته فهذا شرط * واما مواقف الريبة فهي التردد بين منزلتي جد و ذم والوقوف بين حالي سلامة وستم فتوجه اليه لائمة المتوهمين ويناله ذلة المريين وكفى بصاحبها موقفا ان صح اقتضح وان لم يصح امتهن وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسئل محمد بن علي عن المروءة فقال ان لا تعمل في السر عملا تستحي منه في العلانية وقال حسان بن ابي سنان ما وجدت شيئا هو اهون من الورع قيل له وكيف قال اذا ارتبت بشيء تركته والداعي الى هذه الحال شيان الاسترسال وحسن الظن والمنازع منهما شيان الخياء والحذر وربما انتفت الريبة بحسن الثقة وارتفعت التهمة بطول الخبرة وقد حكى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه رآه بعض الحواريين وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور فقال يا روح الله ما تصنع هنا فقال الطيب انما يداوى المرضى ولكن لا ينبغي ان يجعل ذلك طريقا الى الاسترسال وليكن الحذر عليه اغلب والى الخوف من تصديق التهم اقرب فا كل ريبة ينفيها حسن الثقة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابعد خلق الله من الريب واصونهم من التهم وقف مع زوجته ذات ليلة على باب مسجد يحادثها وكان معتكفا فر به رجلان من الانصار فلما رأياه اسرعا فقال لهما على رسلكما انهما

ضفية بنت حبي فقلا سبحان الله أو فيك شك يا رسول الله فقال له إن الشيطان
يجري من احدكم مجرى لحمه ودمه فخشيت ان يقذف في قلبكما سوءا فكيف من
تعالجت فيه الشكوك وتقاتلت فيه الظنون فهل يعرى من في مواقف الريب من
قايح محقق ولائم وصدق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
لم يشق المرء الاجماع عمل فقد سعد واذا استعمل الحزم وغلب الخذر وترك مواقف
الريب ومظان التهم ولم يقف موقف الاعتذار ولا عذر المختار لم يخرج في نزاهته
شك ولم يقذف في عرضه افك وقد قال الشاعر

* اصولك ان ادل عليك ظانا * لان الظن مفتاح اليقين *
وقال سهل بن هارون مؤنة المتوقف ايسر من تكلف المعسف وقال بعض الحكماء
من يحسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع وانشدني بعض اهل الادب
لابي بكر الصولي رجه الله قوله

* احسنت ظني باهل دهري * فحسن ظني بهم دهاني *
* لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف الا من الامان *

فهذا شرط استوفينا فيه نوعي النزاهة • واما الصيانة وهي الثالث من شروط
المروءة فتوعان احدهما صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير مآزنها والشكاني
ضياتها عن تحمل المن من الناس والاسترسال في الاستعانة واما التماس الكفاية
وتقدير المادة فلان المحتاج الى الناس كل مهتضم وذليل مستنقل وهو لما فطر
عليه محتاج الى ما يستجده ليقوم اود نفسه ويدفع ضرورته وقتته وقد قالت العرب
في امثالها كلب جوال خير من اسد رابض وما يستجده نوعان لازم ونذب فاما
اللازم فا اقام بالكفاية وافضى الى سد الخلة وعليه في طلبه ثلاثة شروط
يخرج احدها • استغنيته من الوجوه المباحة وتوقي المحظورة فان المواد المحرمة
مستحبة الاصول محموقه المحصول ان صرفها في بر لم يؤجر وان صرفها في مدح
لم يشكر ثم هو لاوزارها محتقب وعليها معاقب وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يعجبك رجل كسب مالا من غير حله فان انقته لم يقبل منه وان
امسكه فهو زاهه الى النار وقال بعض الحكماء شر المال ما لزمك ثم مكسه
وعرمت اجر انقاه ونظر بعض الخوارج الى رجل من اصحاب السلطان

يتصدق على مسكين فقال انظر اليهم حسنتهم من سيئاتهم وقال علي بن الجهم
 * سر من عاش ماله فاذا حا * سبه الله سره الاعدام *
 * والثاني * طلبه من احسن جهاته التي لا يلحظه فيها غض ولا يتدنس له بها
 عرض فان المال يراد لصيانة الاعراض لا لابتذالها ولعن النفوس لا لاذلالها
 وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا حبذا المال اصون به عرضي وارضى
 به ربي وقال ابو بشر الضريز

* كفى حزنا انى اروح واخذى * ومالى من مال اعسون به عرضى *
 * واكثر ما اتى الصديق بمرحبا * وذلك لا يبكى الصديق ولا يرضى *
 وسئل ابن عائشة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا الجوائع من حسان
 الوجوه فقال معناه من احسن الوجوه التي تحمل * والثالث * ان يتأني في
 تقدير مادته وتدبير كفايته بما لا يلحظه خلل ولا يثناه زلل فان يسير المال مع حسن
 التقدير واصابة التدبير اجدى نفعا واحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير
 وفساد التقدير كالبنذر في الارض اذا روى يسيره زكا ولن اهمل كثيره اضمحلا
 وقال محمد بن علي رضي الله عنه الكمال في ثلاثة العفة في الدين والصبر على
 النوائب وحسن التدبير في المعيشة وقيل لبعض الحكماء فلان غنى فقال لا اعرف
 ذلك ما لم اعرف تدبيره في ماله فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستتمه من قدر
 الكفاية فقد ادى حق المروءة في نفسه وسئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال
 العفة والحرفة وقال بعض الحكماء لا يتأني يا بني لا تكن على احد كلافك تزداد
 ذلا واضرب في الارض عودا وبدءا ولا تأسف لمال كان فذهب ولا تعجز عن
 الطلب لو صب ولا نضب فهذا حال اللازم وقد كان ذورا اللهم العلية والنفوس
 الاية يرم من ما وصل الى الانسان كسبا افضل مما وصل اليه ارثا لانه في الارث
 في جدوى فيره وبالكسب مجد الى غيره وفرق ما بينهما في الفضل ظاهر وقال
 كشاجم

* لا استلذ العيش لم ادأب له * طالما وسعيا في الهواجر والغلس *
 * وارى حراما ان يواتيني الغنى * حتى يحاول بالعناء ويلتس *
 * فاصرف نوالك عن اخيك موفرا * فالليل ليس يسبغ الا ما افترس *

واما النذب فهو ما فضل عن الكفاية وزاد على قدر الحاجة فان الامر فيه معتبر بحال طالبه فان كان ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء وتناصر عن مطاولة النظراء وانقبض عن منافسة الاكفاء فحسبه ما كفاه فليس في الزيادة الا شره ولا في الفضول الا نفهم وكلاهما مذموم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الدنيا كل على العاقل وقال عبد الله بن مسعود المستغنى عن الدنيا بالدنيا كطفي النار بالبن وقال بعض الحكماء اشتر ماء وجهك بالقناعة وتسل عن الدنيا لتجافيهها عن الكرام فان كان ممن متى بعلو الهمم وتحركت فيه اريحة الكرم وآثر ان يكون رأسا ومقدما وان يرى في النفوس معظما ومفخما قال الكفاية لا تقله حتى يكون ماله فاضلا ونائله فائضا فقد قيل لبعض العرب ما المروءة فيكم قال طعام ما اكول ونائل مبذول وبشر مقبول وقد قال الاخنف بن قيس

* فلو مد سروى جمال كثير لجدت وكنت له باذلا *
 * فان المروءة لا تستطعا * ع اذا لم يكن مالهها فاضلا *

واما صيانتها عن تحمل المن والاسترسال في الاستعانة فلائن المنة استرفاق الاحرار تحدث ذلة في الممنون عليه وسطوة في المان به والاسترسال في الاستعانة تذييل ومن ثقل على الناس هان ولا قدر عندهم لمهان وقال رجل لعمر رضي الله عنه خدمك بنوك فقال اغثناني الله عنهم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن في وصيته له يا بني ان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا فان البشير من الله تعالى اكرم واعظم من الكثير من غيره وان كان كل منه كثيرا وقال زياد لبعض الدهاقين ما المروءة فيكم قال اجتناب الريب فانه لا ينبل مرئيب واصلاح الرجل ماله فانه من مروءته وقيامه بحوائجه وحوائج اهله فانه لا ينبل من احتاج الى اهله ولا من احتاج اهله الى غيره وانشد ثعلب

* من عف خف على الصديق لقساؤه * واخواله حوائج وجهه مملول *
 * واخوك من وفرت ما في كيسه * فاذا عبت به فانت ثقيل *

وان كان الناس لجة لا يستغنون عن التعاون ولا يستقلون عن المساعد والمظافر
 فاما ذلك تعاون ائتلاف يتكافؤن فيه ولا يتفاضلون وربما كان المستعين فيه
 مفضلا والمعين مستفصلا كاستعانة السلطان بجنده والمزارع باكرته فليس من هذا
 بد ولا لاحد عنه غنى واما الذي يتصون عنه الكرام تعاون التفضيل فيتقبضون
 عن ان يستعينوا لئلا يكون عليهم يد ويسارعون ان يعينوا لان يكون لهم يد ومن
 اقدم من غير اضطرار على الاستعانة بجاه او جمال فقد اوهى مروءته واستبدل
 صيانه ومن دعاه الاضطرار لنائب الم او حادث هجم الى الاستعانة بمن ينفس
 به من خناق كربه ويتخلص به من وثاق نوابه فلا لوم على مضطر فان اغتته
 الاستعانة بالجاه عن الاستعانة بالمال فلا عذر له في التعرض للمال ويعدل الى
 ولاة الامور فان الحوائج عندهم انجح وهي عليهم اسهل وهم لذلك مندوبون
 فهم لا يجدون لهم مسا وليصبرن على ابطائهم فان تراكم الامور عليهم يشغلهم
 الا عن الملح الصبور ولذلك قيل قدم لحاجتك بعض لجاجتك وقال ابو سارة
 سحيم بن الاعرف

* تعد قرابة وتعد صهرا * ويسعد بالقرابة من رعاها *
 * وما زرنالك من عدم ولكن * يهش الى الامارة من رجاها *
 * واياها فعلت فان نفسى * تعد صلاح نفسك من غناها *

فان تعذر عليه صلاح حاله الاجمال يستعين به على نوابه كان له مع الضرورة
 فسحة لكن ان وجده قرضا مردودا لم يأخذه صلة وجودا فان القرض مستسبح
 به في المروءات هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اعلى الله من قدره وفضله
 على خلقه قد اقترض ثم قضى فاحسن وقال صلى الله عليه وسلم من اعياه رزق
 الله تعالى حلالا فليستدن على الله وعلى رسوله وقال صلى الله عليه وسلم المستدين
 تاجر الله في ارضه وقال البخترى

* ان لم يكن كثر فعل عطية * يبلغ بها باغى الرضا بعض الرضا *
 * او لم يكن هبة فقرض سيرت * اسبابه وكواهب من اقرضا *

ولئن كان الدين رقا فهو اسهل من رق الافضال وقد روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء ويخفف الزداء قيل وما في خفة الرداء من البقاء قال قللة الدين فان اعوزه ذلك الا استسماحا فهو لرق للمذل ولذلك قيل لا مروءة لمقل وقال بعض الحكماء من قيل صلتك فقد باعك مروءته واذل لقدرك عزه وجلالته والذي يماسك به الباقي من مروءة الراغبين واليسير النافه من صيانة المسائلين وان لم يبق لدى رغبة مروءة ولا لسائل تصون اربعة امور هي جهد المضطر * احدها * ان يتحافى ضرع المسائلين وابهة المستقلين فيذل بالضرع ويحرم بالابهة وليكن من التجميل على ما يقتضيه حال مثله من ذوى الحاجات وقد قيل لبعض الحكماء متى يفحش زوال الهم قال اذا زال معها التجميل وانشد بعض اهل الادب لعلي بن الجهم

* هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر ايام تجبور وتعتدل *
 * وعاقبة الصبر الجميل جميلة * واحسن اخلاق الرجال التفضل *
 * ولا عار ان زالت عن الحرنة * ولكن عارا ان يزول التجميل *

والثاني * ان يقتصر في السؤال على ما دعته اليه الضرورة وقادته اليه الحاجة ولا يجعل ذلك ذريعة الى الاغتنام فيحرم باغتنامه ولا يعذر في ضرورته وقد قال بعض الحكماء من الف المسألة الف، للنع * والثالث * ان يعذر في المنع ويشكر على الاجابة فانه ان منع فعما لا يملك وان اجيب فالى ما لا يستحق فقد قال النهر بن توب

* لا تعضبن على امرئ في ماله * وعلى كرائم صلب مالك فاغضب *
 * والرابع * ان يعتمد على سؤال من كان للمسألة اهلا وكان التبحر عنده مأمولا فان ذوى الميكنة كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الخير كثير وقليل فاعله والمرجو للاجابة من تكاملت فيه خصاها وهي ثلاث * احدها * كرم الطبع فان الكريم مساعد واللئيم معاند وقد قيل المخدول من كانت له الى اللثام حاجة * والثانية * سلامة الصدر فان العدو الب على نكبتك وحرب في نأبتك وقد قيل من اوغرت صدره استدعت

شره فان رقى لك بكرم طبعه ورحك بحسن ظفره فاعظم بهما محنة ان يصير
عدوك لك راجا وقد قال الشاعر

* وحسبك من طادت بامرئ * ترى حاسديه له راحينا *

❖ والثالث ❖ ظهور المكنة فان من سأل ما لا يمكن فقد احال وكان كمنتهض
السجون ومستعف المديون وكان بالرد خليفا وبالحرمان حقيقا وقد قال علي
كرم الله وجهه من لا يعرف لا حتى يقال له لا فهو احق ووصى عبد الله بن
الاختم ابنه فقال يا بني لا تطلب الطوائج من غير اهلهما ولا تطلبها في غير
حينها ولا تطلب ما لست له مستحقا فلنك ان فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان
وقال الشاعر

* ولا تسألن امرا حاجبة * يحاول من ربه مثلها *

* فيترك ما كنت حملته * ويبدأ بحاجته قبلها *

فهذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه واما شروط المروءة في غيره فتلاثة
الموازرة والمياسرة والافضال اما ❖ الموازرة ❖ فتوعان احدهما الاسعاف
بالجاه والثاني الاسعاف في الثواب فاما الاسعاف بالجاه فقد يكون من الاعلى
قدرا والانفذ امرا وهو ارحص المكارم ثنا والظف الصنائع موقعا وربما كان
اعظم من المال نفعا وهو الظل الذي يلجأ اليه المضطرون والحمى الذي يأوى
اليه الخائفون فان اوطأه اتسع بكثرة الانتصار والشيع وان قبضه انقطع بنفور
الغاشية والتبع فهو بالبذل ينجى ويزيد بالكف يتعص ويبيد فلا عذر لمن منح
جاها ان يبخل به فيكون اسوأ حالا من البخل بماله الذي قد بعده لنوابه
ويستبجيه للذمة ويكثره لذريته وبضد ذلك من بخل بجاهه لانه قد اضاعه
بالشح وبدده بالبخل وحرم نفسه غنيمة مكتبه وفرصة قدرته فلم يعقبه الا ندماعلى
فانت واسفا على ضائع ومقا يستحكم في النفوس وذما قد يتشرف في الناس وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله واحب خلق الله
تعالى اليه احسنهم صنيعا الى عياله وقال بعض الحكماء اصبح الخير عند امكاته
يبقى لك نجاهه عند زواله واحسن والدولة لك يحسن لك والدولة عليك واجعل
زمان رخائك عدة زمان بلاتك وقال بعض البلغاء من علامة الاقبال اصطناع

الرجال وقال بعض الادباء بذل الجاه احد الحبايين وقال ابن الاعرابي العرب تقول من امل شيئا هابه ومن جهل شيئا عابه وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمة وضده من ضده وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلا مشكورا وانما هو بائع جاهه ومعاوض على نعم الله تعالى وآلئه فكان بالذم احق وانشد بعض الادباء لعلي بن عباس الرومي رحمه الله

* لا يبذل العرف حين يبذله * ككشترى الحمد او كعتضاه *

* بل يفعل العرف حين يفعله * لجوهر العرف لا لاعراضه *

وعلى من اسعد بجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها المزيد من الاجر * احدها * ان يستسهل المعونة مسرورا ولا يستقلها كارها فيكون نعم الله تعالى متبرما ولا حسانه منسخطا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عظمت نعمة الله تعالى عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال * والثاني * مجانبية الاستطالة وترك الامتنان فانهما من لؤم الطبع وضيق الصدر وفيهما هدم الصنيع واجباط الشكر وقد قيل للحكيم اليوناني من اضيق الناس طريقا واقامهم صديقا قال من عاشر الناس بعوس وجهه واستطال عليهم بنفسه * والثالث * ان لا يقرن بشكور سعيه تقريبا بذنب ولا توبخا على هفوة فلا يبق مضض التوبخ بادراك النجح وبصير الشكر وجدا والحمد عيبا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم وقال النابغة الجعدي

* ألم تعلم ان اللامة نفعها * قليل اذا ما الشئ ولى قادبرا *

واما الاسعاف في التوايب فلان الايام غادرة والنوازل غائرة والحوادث عارضة والتوايب راکضة فلا يعذر فيها الاعلم ولا يستنقذه منها الا سليم وقد قال عدي بن حاتم

* كفى زاجرا للره ايام دهره * تروح له بالواعظات وتفتدى *

فاذا وجد الكريم مصابا بحوادث دهره حثه الكرم وشكر النعم على الاسعاف فيها بما استطاع سبيلا اليه ووجد قدرة عليه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله وقيل لبعض الحكماء هل شئ

خير من الذهب والفضة قال معطيها والاسعاف في النوائب نوعان واجب وتبرع
فاما الواجب فاخص بثلاثة اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران اما
الاهل فلحاسة الرحم وتعاطف النسب وقد قيل لم يسد من احتاج اهله الى غيره
وقال حسان بن ثابت

* وان امرءا نال المنى ثم لم ينل * قريبا ولا ذا حاجة لزهيد *
* وان امرءا عادى الرجال على الغنى * ولم يسأل الله الغنى لحسود *
واما الاخوان فلمستحكم الود ومتأكد العهد سئل الاحنف بن قيس عن
المروءة فقال صدق اللسان ومواساة الاخوان وذكر الله تعالى في كل مكان وقال
بعض حكماء الفرس صفة الصديق ان يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند
النكبة ويحفظك عند المغيب ورأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لا يفترقان
فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما بال احدهما فقير والآخر غني
واما الجار فلدنو داره واتصال مزاره قال على كرم الله وجهه ليس حسن
الجوار كف الاذى بل الصبر على الاذى وقال بعض الحكماء من اجار جاره
اعار الله واجاره وقال بعض البلغاء من احسن الى جاره فقد دل على حسن تجاره
وقال بعض الشعراء

* وللجار حق فاحترز من اذائه * وما خير جار لا يزال مؤاذيا *
فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمل ائصالهم
واسعافهم في نوابهم ولا فسحة لذى مروءة مع ظهور المكنة ان يكلمهم الى غيره
او يلجئهم الى سؤاله وليكن سائل كرم نفسه عنهم فانهم عيال كرمه واصياف
مروءته فكما انه لا يحسن ان يلجئ عياله واصيافه الى الطلب والرغبة فهكذا
من عاله كرمه واصافته مروءته وقال بعض الشعراء

* حق على السيد الرجو نائله * والمستجار به في العرب والعجم *
* ان لا ينيل الاقصى صوب راحته * حتى يخص به الاذنى من الخدم *
* ان الفرات اذا جاشت غواربه * روى السواحل ثم امتد في الامم *
واما التبرع فبين عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء الذين لا يدلون بنسب ولا
يتعلقون بسبب فان تبرع بفضل الكرم وفائض المروءة قهض في حوادثهم وتكفل

بنوابهم فقد زاد على شروط المروءة وتجاوزها الى شروط الرأسة وقيل لبعض الحكماء اى شئ من افعال الناس يشبه افعال الاله قال الاحسان الى الناس وان كف تشاغلا بما لزم فلا لوم ما لم يلجأ اليه مضطر لان القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع متعذر فهذا حكم الموازنة • واما ❖ المياسرة ❖ فنوعان احدهما العفو عن الهفوات والثانى المسامحة فى الحقوق فاما العفو عن الهفوات فلانه لا مبرأ من سهو وزلل ولا سليم من تقص او خلل ومن رام سليما من هفوة والتمس بريئا من نبوة فقد تعدى على الدهر بشططه وخادع نفسه بفلاطه وكان من وجود بغيته بعيدا وصار باقتراحه فردا وحيدا وقد قالت الحكماء لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقيل لانوشروان هل من احد لا عيب فيه قال من لا موت له واذا كان الدهر لا يوجد ما طلب ولا ينيله ما احب وكان الوحيد فى الناس مرفوضا قصيا والنقطع عنهم وحشيا لزمه مساعدة زمانه فى القضاء ومياسرة اخوانه فى الصفع والاغضاء روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى امرنى بمدارة الناس كما امرنى باداء الفرائض وقال بعض الادباء ثلاث خصال لا تجتمع الا فى ككرم الحاضر واحتمال الزلة وقلة الملل وقال ابن الرومى

* فعذرک مبسوط لذنب مقدم * وودك مقبول بأهل ومرحب *
 * ولو بلغتني عنك اذني اقتنها * لدى مقام الكاشح المتكذب *
 * فلست بتليب اللسان مصارما * خليلا اذا ما القلب لم يتقلب *
 واذا كان الاغضاء حتما والصفع كراما ترتب بحسب الهفوة وتنزل بقدر الذنب والهفوات نوعان صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة والنفوس بها معذرة لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون منها فكان الوجد فيها مطرحا والغب مستقبها وقد قال بعض العلماء من هجر اخاه من غير ذنب كان كمن زرع زرا ثم حصده فى غير اوانه وقال ابو العتاهية

* وشرا الاخلاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم *
 * يريك النصيحة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم *
 واما الكبائر فنوعان ان يهفو بها خاطيا ويذل بها ساهيا فالخرج فيها مرفوع

والعقب

والعيب عنها موضوع لان هفوة الخاطر هدر ولومه هذر وقال بعض الحكماء لا تقطع احاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه وقال الاخنف بن قيس حق الصديق ان تحمل له ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وحكى ابن عون ان غلاما هاشميا عريد على قوم فاراد عمه ان يسيء به فقال يا عم انى قد اسأت وليس معى عقلى فلا تسيء بى ومعك عقلك وقال ابو نواس

* لم او اخذك اذ جنيت لانى * واثق منك بالاخاء الصحيح
* فجميل العدو غير جليل * وقبيح الصديق غير قبيح
فان تشبه خطأه بالعمد وسهوه بالقصد تثبت ولم يلم بالتوهم فيكون ملوما ولذلك قيل الثبت نصف العفو وقال بعض الحكماء لا يفسدك الظن على صديق اصلحك اليقين له وقال بعض شعراء هذيل

* فبعض الامر تصلحه ببعض * فان الفث يحمله السمين
* ولا تجعل بظنك قبل خبر * فعند الخبر تقطع الظنون
* ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما اضمروا الفضل المين
* كلون الماء مشتبها وليست * تخبر عن مذاقه العيون

والثانى ان يعتمد ما اجترم من كباره ويقصد ما اجترح من سيئاته ولا يخلو فيما اتاه من اربع احوال * فالحال الاولى * ان يكون مواتورا قد قابل على وتره وكافأ على مسائه فاللائمة على من وتره عائدة والى البسائى بها راجعة لان المكافئ اعذر وان كان الصفع اجل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمشاركة فانها تميم الغيرة وتحبى الغرة وقال بعض الحكماء من فعل ما شاء لقي ما لم يشأ وقال بعض الادباء من نالته اساءتك همة مساءتك وقال بعض البلغاء من اولع بقبح المعاملة اوجع بهج المقابلة وقال صالح بن عبد القدوس

* اذا وترت امرا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصده عنباً
* ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا رأى منك يوماً فرصة وثباً
والاغضاء عن هذا اوجب وان لم تكن المكافأة ذنبالاه قد رأى عقيب اسبائه فان واصل الشر واصلته المكافأة وقد قيل باعترالك الشر يعترلك ومحسن

النصفة تكون المواصلون وقال بعض الحكماء من كنت سببا لبلائه وجب عليك التلطف له في علاجه من دأه وقد قال اوس بن حجر
 * اذا كنت لم تعرض عن الجهل والخبثا * اصبحت حليما او اصابك جاهل *
 والحال الثانية ان يكون عدوا قد استحكمت شحناؤه واستوعرت شراؤه واستخسنت ضراؤه فهو يتربص بدوائر السوء انتهاز فرصه ويتجرجع بمهانة العجز حرارة غصصه فاذا ظفر بنائبة ساعدها واذا شاهد نعمة عاندها فابعد منه حذرا اسلم والكف عنه متاركة اغتم فانه لا يسلم من عواقب شره ولا يفلت من غوائل مكروه وقد قالت الحكماء لا تعرض لعدوك في دولته فاذا زالت كفت شره وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال ان الشر بالشر يطقا فان كان صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفى احدهما الاخرى وانما يطفى الخير الشر كما يطفى الماء النار وقال جعفر بن محمد كفاك من الله نصرا ان ترى عدوك بعضى الله فيك وقال بعض الحكماء بالسيرة العادلة يقهر المعادى وقال
 البحتري

* واقسم لا اجزيك بالشر مثله * كفى بالذى جازيتني لك جازيا *
 * والحال الثالثة * ان يكون لئيم الطبع خبيث الاصل قد اغراه لؤم الطبع على سوء الاعتقاد وبغشته خيبة الاصل على اتيان الفساد فهو لا يستقيج الشر ولا يكف عن المكروه فهذه الحالة اطم لان الاضرار بها اعم ولا سلامة من مثله الا بالبعد والانتقباض ولا خلاص منه الا بالصفح والاعراض فانه كالسبع الضارى في سوارح الغنم وكالنار المتأججة في يابس الحطب لا يقربها الا تالف ولا يدومنها الا هالك روى مكحول عن ابى امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الناس كشجرة ذات جنى ويوشك ان يعودوا كشجرة ذاك شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيسل يا رسول الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فافتك وقال عبد الله بن العباس الغافل الكريم صديق كل احد الا من ضره والجاهل اللئيم عدو كل احد الا من نفعه وقال شر ما فى الكريم ان يمنع خيره وخير ما فى اللئيم ان يكف عنك شره وقال بعض البلغاء اعداؤك داؤك وفى البعد عنهم شفاؤك وقال بعض البلغاء

شرف الكريم تغافلته عن اللئيم ووصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني اذا سلم
الناس منك فلا عليك ان لا تسلم منه فانه قل ما اجتمعت هاتان الثعتمان وقال
عبد المسيح بن نفيثة

* الخير والشر مقرونان في قرن * فالخير مستتبع والشر محذور *
* والحال الرابعة * ان يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيرا او اخا قد
استجد جفوة وتشكرا فابدى صفحة عقوقه واطرح لازم حقوقه، وعدل عن بر
الاخاء الى جفوة الاعداء فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض
في الاجسام السليمة فان عولجت اقلعت وان اهملت اسقمت ثم اتلفت ولذلك
قالت الحكماء دواء المودة كثرة التعاهد وقال كشاجم

* اقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمة *
* وتسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو وينتهه سليمة *
ومن الناس من يرى ان متاركة الاخوان اذا نفروا اصحح واطراحهم اذا فسدوا
اولى كاعضاء الجسد اذا فسدت كان قطعها اسلم فان شخ بها سرت الى نفسه
وكالثوب اذا خلق كان اطراحه بالجديد له اجل وقد قال بعض الحكماء رغبتك
فمين يزهد فيك ذل نفس وزهدك فمين يرغب فيك صفرهمة وقد قال بزرجهر
من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته وقال نصر بن احمد
الخبز ارزى

* صل من ذنى وتناس من بعدا * لا تكرهن على الهوى احدا *
* قد اكثرت حواء اذ ولدت * فاذا جفا ولد فخذ ولدا *
فهذا مذهب من قل وفاؤه وضعف اخاؤه وساءت طرائقه وضافت خلائقه
ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولا صبر على الادلال فقابل على الجفوة وعاقب على
الهفوة واطرح سالف الحقوق وقابل العقوق بالعقوق فلا بالفضل اخذ ولا الى
العفو اخلد وقد علم ان نفسه قد تطغى عليه فتزديه وان جسمه قد يسقم عليه
فيؤله ويؤذيه وهما اخص به واحنى عليه من صديق قد تميز بذاته وانفصل
باداوته فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه لنفسه هذا عين المحال ومحض
الجهل مع ان من لم يحتمل بقى فردا وانقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من

كان صديقا اعظم من عداوة من لم يزل عدوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اوصياتي ربي بسبع الاخلاص في السر والعلانية وان اغضو عن ظلمي واعطى من حرمني واصل من قطعني وان يكون حتى فكرا ونظمي ذكرا ونظري عبرة وقال لقمان لابنه يا بني لا تترك صديقك الا اول فلا يطعن اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق والالف قيل ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير وقيل للهلب بن ابي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بايهما شئت وانشد ثعلب

* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد * بكفك في ادياره متعبا
* اذا انت لم تترك اخاك وزلة * اذا زلها اوشكتما ان تفرقا
فاذا كان الامر على ما وصفت من حقوق الصفيح الكسيف عن سبب الهفوة ليعرف الداء فيعالجه فان لم يعرف الداء لم يقف على الدواء كما قد قال المتنبي

* فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وإذا كان ذلك كذلك فلا يخلو حال السبب من ان يكون للمل او زلل فان كان للمل فودات الملول ظل الغمام وحلم النيام وقد قيل في منشور الحكم لا تأمن للمول وان تجلي بالصلة وعلاجه ان يترك على مله فيمل الجفء كما مل الاخاء وان كان زلل لوحظت اسبابه فان كان لها مدخل في التأويل وشبهة تؤول الى جيل حله على اجل تأويله وصرفه الى احسن جهة كالذي حكى عن خالد بن صفوان انه مر به صديقان له فعرج عليه احدهما وطواه الاخر فقيل له في ذلك فقال نعم عرج علينا هذا بفضل وطوانا ذلك بثقتنا وانشد بعض اهل الادب لمحمد ابن داود الاصفهاني

* وتزعم للواشين اني فاسد * عليك واني لست فيما عهدتني
* وما فسدت لي بعلم الله نية * عليك واكن خنتني فانهمتني
* غدرت بعهدى عامدا وأخفتني * فخفت ولو آمنتني لأمنتني
وان لم يكن زلله في التأويل مدخل نظر حاله بعد زلله فان ظهر ندمه وبان خجله فالتدم توبة والخجل تابة ولا ذنب لتائب ولا لوم على متيب ولا يكلف عذرا عما سلف فليجأ الى ذل التحريف او خجل التعنيف ولذلك قال النبي صلى

الله عليه وسلم اياكم والمعاذر فان اكثرها مفاجر وقال علي رضي الله عنه
 كفى بما يعتذر منه ذنبة وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليه لا يدعوتك امر
 قد تجلصت منه الى الدخول في امر لعلك لا تخلص منه وقال بعض الحكماء
 شفيح المذنب اقراره وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغاء من لم يقبل التوبة
 عظمت خطيئته ومن لم يحسن الى التائب قبحت اساءته وقال بعض الحكماء
 الكرم اوسع المغفرة اذا ضاقت بالذنب المعذرة وقال بعض الشعراء

* العذر يلحمه التحريف والكذب * وليس في غير ما يرضيك لي ارب *
 * وقد اسأت فبالنهي التي سلفت * الا مننت بغيره وما له سبب *
 وان عجل العذر قبل توبته وقدم التنصل قبل اتابته فالعذر توبة والتنصل
 اتابه فلا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر غدره فيكون لئيم الظفر سيء
 المكافاة وقد قيل من غلبته الحدة فلا تغتر بمودته وقال بعض الحكماء شافع
 المذنب خضوعه الى عذره وقال بعض الشعراء

* اقبل معاذير من يأتك معذرا * ان بر عندك فيما قال او فحرا *
 * وقد الخاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا *

وان ترك نفسه في زلاء ولم يتدارك بعذره وتنصله ولا يحاه توبته وانا بته راعيت
 حاله في التاركة فستجده لا ينفك فيها من امور ثلاثة * احدها * ان يكون قد
 كف عن سيء عمله واقلع عن سالف زلله فالكف احدي التوبتين والاقلاع
 احد العذرين فكن انت المعتذر عنه بصفحك والتنصل له بفضلك فقد قال عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه المحسن على السيء امير * والثاني * ان يكون
 قد وقف على ما اسلف من زلله غير تارك ولا يتجاوز فوقوف المرض احد
 البرئين وكفه عن الزيادة احدي الحسنين وقد استبق بالوقوف عن التجاوز
 احد شطريه فعول به على صلاح شطره الاخر وياك وارجاه فان الارجاه
 يفسد شطر صلاحه والتلاقي يصلح شطر فساده فان من سقم من جسمه ما لم
 يعالجه سرى السقم الى صحته وان عالج سرى الصحة الى سقمه * والثالث *
 ان يتجاوز مع الاوقات فيريد فيه على مرور الايام فهذا هو الداء العصال
 فان امكن استدراكه وتأتي استصلاحه وذلك باستزاله عنه ان علا وبارجاه

ان دنا وبعنا به ان ساوى والا فآخر الداء العياء الكى ومن بلغت به الاعذار الى غايتها فلا لائمة عليه والقيم على شقافه باغ مصروع وقد قيل من سل سيف البغى اغدته فى رأسه فهذا شرط • واما المسامحة فى الحقوق فلائن الاستيفاء موحش والاستقصاء منفر ومن اراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشح او طمع لم يصل اليه الا بالنافرة والمشاقة ولم يقدر عليه الا بالمخاشنة والمشاحة لما استقر فى الطباع من مقت من شاقها ونافرها وبغض من شاحها ونازعها كما استقر حب من ياسرها وسامحها فكان أليق لامور المروءة استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة وتألفها بالقرابة والمساهلة قال بعض الحكماء من عاشر اخوانه بالمسامحة دامت له موداتهم وقال بعض الادباء اذا اخذت عفو القلوب زكا ربيعك وان استقصيت اكديت والمسامحة نوعان فى عقود وحقوق فاما العقود فهو ان يكون فيها سهل المناجزة قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيدا من المكر والخديعة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجعلوا فى طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شئ يحببه الله تعالى ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن للضعيف وحكى ابن عون ان عمر بن عبيد الله اشترى للحسن البصرى ازارا بستة دراهم ونصف فاعطى التاجر سبعة دراهم فقال ثمنه ستة دراهم ونصف فقال انى اشتريته لرجل لا يقاسم اخاه درهما • ومن الناس من يرى ان المساهلة فى العقود عجز وان الاستقصاء فيها حزم حتى انه لينافس فى الحقير وان جاد بالجيل الكثير كالذى حكى عن عبد الله بن جعفر وقد ماكس فى درهم وهو يجود بما يجود به فقيل له فى ذلك فقال ذلك مالى اجوده وهذا عقلى بملت به وهذا انما ينساع من اهل المروءة فى دفع ما يخادعهم به الاذنياء ويغابنهم به الاشحاء وهكذا كانت حال عبد الله بن جعفر فاما نماسكة الاستئزال والاستسماح فكلالا لانه منافع للكرم ومباين للمروءة • واما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين احدهما فى الاحوال والثانى فى الاموال فاما المسامحة فى الاحوال فهو اطراح المنازعة فى الرتب وترك المنافسة فى التقديم فان مشاحة النفوس فيها اعظم والعدا عليها اكثر فان سامح فيها ولم ينافس كان مع

أخذه بأفضل الأخلاق واستعماله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من أفضاله
 برغائب الأموال ثم هو أزيد في رتبته وأبلغ في تقدمه وإن شاح فيها ونازع
 كان مع ارتكابه لأحسن الأخلاق واستعماله لأهجن الآداب أنكى في النفوس
 من حد السيف وطعن السنان ثم هو أخفض للترتبة وأمنع من التقدم ❖ حكى
 إن فتى من بني هاشم تخطى رقاب الناس عند ابن أبي داود فقال يا بني إن
 الآداب ميراث الأشراف ولست أرى عندك من سلفك أربابا ❖ وأما المسامحة
 في الأموال فتتبع ثلاثة أنواع مسامحة إسقاط لعدم مسامحة تخفيف لعجز
 ومسامحة إنكار لعسرة وهي مع اختلاف أسبابها تفضل مأثور وتألف مشكور
 وإذا كان الكرم قد يوجد بما تحويه يده وينفذ فيه تصرفه كان أولى إن
 يوجد بما خرج عن يده فطاب نفسا بفراقه وقد تصل المسامحة في الحقوق
 إلى من لا يقبل البر ويأبى الصلة فيكون أحسن موقعا وأزكى محلا وربما كانت
 المسامحة فيها آمن من رد السائل ومنع المجتدي لأن السائل كما اجتراً على سؤالاتك
 فسيجتزئ على سؤال غيرك إن رددته وليس كل من صار أسير حقك ورهين
 دينك يجذبها من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء وجزيل الأجر
 وقال محمود الوراق رحمه الله

* المرء بعد الموت أحمق * يفنى وتبقى منه آثاره *
 * فأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره *
 فهذه حال المياسرة وأما ❖ الأفضال ❖ فنوعان أفضال اصطناع وأفضال
 استكفاف ودفاع فاما أفضال الاصطناع فنوعان أحدهما ما أسداه جودا في
 شكور والثاني ما تألف به نبوة نفور و كلاهما من شروط المروءة لما فيها
 من ظهور الاصطناع وتكاثر الأشياء والاتباع ومن قلت صنائعه في الشاكرين
 وأعرض عن تألف النافرين كان فردا مهجورا وتابعا محمورا ولا مروءة لمزوك
 مطرح ولا قدر لمحقور مهتضم وقال عمر بن عبد العزيز ما طأوعني الناس على
 شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا. وقال بعض الحكماء أقل
 ما يجب للمنع بحق نعمته إن لا يتوصل بها إلى معصيته وأنشدت لبعض الأعراب
 * من جمع المال ولم يجده به * وترك المال لعام جده *

* هان على الناس هوان كابه *

* وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي *

* يبقى الثناء وتذهب الاموال * ولصكّل دهر دولة ورجلك
 * ما نال محمّدة الرجال وشكرهم * الا الجواد بماله المفضال
 * لا ترض من رجلى حلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعال
 فان ضاقت به الخلال عنى الاصطناع بماله فقد عدم من آله المكارم عمادها وفقد
 من شروط الرواة سنادها فلبواس بنفسه مواساة المساعف ولبسعد بها اسعاد
 المتألف قال المنبجي

* فلبسعد النطق ان لم تسعد الحال *

وان كان لا يراها وان اجهدها الاتباع للمفضلين قليلة بين الكثيرين فان
 الناس لا يساوون بين المعطى والمانع ولا يقنعهم القول دون الفعل ولا يرضيهم
 الكلام عن المال ويرونه كالصدي ان رد صوتا لم يجد نفعا كما قال
 الشاعر

* يجود بالوعد وانكته * يدهن من قارورة فارغه *

فكل ما خرج عندهم عن المال كان فارغا وكل ما عدا الافضال به كان هينا
 وقد قدمنا من القول في شروط الافضال ما اقع • واما افضال الاستكفاف
 فلان ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتريه الجهل باظهار عناده
 ويبعثه اللؤم على البذى بسفهه فان غفل عن استكفاف السفهاء واعرض عن
 استدفاع اهل البذاء صار عرضه هدفا للمثالب وحاله عرضة للنوائب واذا
 استكف السفهه واستدفع البذى صان عرضه وحى نعمته وقد روى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال ما وقي به المرء عرضه فهو صدقة وقالت عائشة
 رضى الله عنهما ذبوا باموالكم عن احسابكم وامتح رجل الزهري فاعطاه
 فيصه فقال له رجل اتعطي على كلام الشيطان فقال من ابغى الخير اتقى
 الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد بر الوالدين فليعط الشعراء
 وهذا صحيح لان الشعر سائر يستربه ما ضمن من مدح او هجاء ومن اجل ذلك
 قيل لا تواخ شاعرا فانه يمدحك ثم يهجوك مجانا • ولاستكفاف

السفهاء

السفهاء بالافضال شرطان احدهما ان يخفيه حتى لا يتشعر فيه مطامع
السفهاء فيتوصلون الى اجتذابه بسبه والى ماله بثلبه والثاني ان يتطلب له في
المجاملة وجهها ويحفظه في الافضال عليه سبباً لانه لا يرى انه على السفه واستدامة
البداء • واعلم انك ما حيت ملحوظ المحاسن محفوظ المساوى ثم من بعد ذلك
حديث منتشر لا يراقبك صديق ولا يحامي عنك شقيق فكن احسن حديث
ينشر يكن سعيك في الناس مشكوراً واجرك عند الله مذخوراً فقد روى زياد
ابن الجراح عن عمر بن ميمون انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتتم خنساء
قبل خمس شبانك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك فهذا ما اقتضاه هذا للفصل من شروط المروءة
وان كان كل كتابنا هذا من شروطها وما اتصل بحقوقها والله سبحانه وتعالى
اعلم ﴿ الفصل الثامن في آداب مشورة ﴾ اعلم ان الآداب مع اختلافها ينتقل
الاحوال وتغير العادات لا يمكن استيعابها ولا يقدر على حصرها وانما يذكر كل
انسان ما يطغه الوسع من آداب زمانه واستحسن بالعرف من عادات دهره ولو
امكن ذلك لكان الاول قد اغنى الثاني عنها والتقدم قد كفى المتأخر تكلفها
وانما حظ الاخير ان يتعاني حفظ الشارح وجمع المفرق ثم يعرض ما تقدم على
حكم زمانه وعادات وقته فيثبت ما كان موافقاً وينفي ما كان مخالفاً ثم يستبد خاطره
في استنباط زيادة واستخراج فائدة فان اسعف بشئ فاز يدركه وحظي بفضيلته
ثم يعبر عن ذلك كله بما كان مألوفاً من كلام الوقت وعرف اهله فان لاهل كل
وقت في الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ليكون اوقع في النفوس واسبق الى
الافهام ثم يرتب ذلك على لوازمه ومقدماته ويثبت على اصوله وقواعده حسبما
يقتضيه الجنس فان لكل نوع من العلوم طريقة هي اوضح مسلكاً واسهل
مأخذاً • فهذه خمسة شروط هي حظ الاخير فيما يعاينه وكذلك القول في كل
تصنيف مستحدث ولولا ذلك لكان تعاطي ما تقدم به الاول غناء ضائعاً وتكلفاً
مستهجناً ونرجوا الله ان يمدنا بالتوفيق لتأدية هذه الشروط وتهنئنا المعونة
بتوفيق هذه الحقوق حتى نسلم من ذم التكلف ونبراً من عيوب التقصير وان
كان اليسير مفيوراً والخطاطى معذوراً فقد قيل من صنف كتاباً فقد استهدف

فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استعذف وقد مضت ابواب تضمنت
 فصولا رأيت اتباعها بمالم احب الاخلال به فن ذلك حال الانسبان في مأكله
 ومشربه فان الداعي الى ذلك شيان حاجة ماسة وشهوة باعثة فاما الحاجة فتدعو
 الى ماسد الجوع وسكن الظم وهذا مندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ
 النفس وحراسة الجسد ولذلك ورد الشرع بالتهى عن الوصال بين صوم
 اليومين لانه يضعف الجسد ويميت النفس ويعجز عن العبادة وكل ذلك
 يمنع منه الشرع ويدفع عنه العقل وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر
 ولا نصيب من زهد لان ما حرهما من فعل الطاعات بالجز والضعف اكثر
 ثوابا واعظم اجرا اذ ليس في ترك المباح ثواب يقابل فعل الطاعات واتيان القرب
 ومن اخسر نفسه ربحا موفورا او احرمها اجرا مذخورا كان زهده في
 الخير اقوى من رغبته ولم يبق عليه من هذا التكليف الا الشهوة بريئة وسمعته
 واما الشهوة فتنوع نوعين شهوة في الاكثار والزيادة وشهوة في تناول
 الالوان الملمدة فاما النوع الاول وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة والاكثار على
 مقدار الكفاية فهو ممنوع منه في العقل والشرع لان تناول ما زاد على
 الكفاية نهم معرف وشهره مضر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اقال
 اياكم والبطننة فانها مقسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة وقال على رضى
 الله عنه ان كنت بطنا فعد نفسك زمنا وقال بعض البلغاء اقلل طعاما محمد تاما
 وقال بعض الادياء الرعب لؤم والنهم شؤم وقال بعض الحكماء اكبر الدواء تقدير
 الغذاء وقال بعض الشعراء

* فكم من لكمة منعت اخاها * بلذة ساعة اكلات دهر *
 * وكم من طالسب يسعى لامر * وفيه هلاك لو كان يدري *

﴿ وقال آخر ﴾

* كم دخلت اكلة حشا شره * فاخرجت روحه من الجسد *
 * لا يبارك الله في الطعام اذا * كان هلاك النفوس في المعد *

ورب اكلة هاضت آكل واحرمته مآكل روى ابو يزيد المدني عن عبد الرحمن
 ابن الرقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يخلق وعاء مليء

شرا من بطن فان كان لا بد فاعلا فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح • واما النوع الثاني وهو شهوة الاشياء المذة ومنازعة النفوس الى طلب الانواع الشهية فذاهب الناس في تـكـين النفس فيها مختلفة فـنـهـم من يرى ان صرف النفس عنها اولى وقهرها عن اتباع شهواتها اخرى لئذ له قيادها ويهون عليه عنادها لان تمكنها وما تهوى بطر يطغى واشـر يردى لان شهواتها غير متناهية فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الى شهوات قد استحدثتها فيصير الانسان اسير شهوات لا تنقضي وعبد هوى لا ينتهى ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح ولم يوجد فيه فضل وانشدت لابي القمح البستي

* يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * لتطلب الريح مما فيه خسران *
 * اقبل على النفس واستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان *
 وللحذر من هذه الحال ما حكى ان ابا حزم رحمه الله كان يمر على الفاسكة فيشتمها فيقول موعذك الجنة وقال آخر تمكن النفس من لذاتها اولى واعطاؤها ما اشتهدت من المباحات اخرى لما فيه من ارتياح النفس بنيل شهواتها ونشاطها بادراك لذاتها فنحصر عنها ذلة القهور وبلادة المـجـبـور ولا تقصر عن درك ولا تعصى في نهضة ولا تكل عن استعانة وقال آخرون بل توسط الامرين اولى لان في اعطائها كل شهواتها بلادة والنفس البليدة عاجزة وفي منعها عن البعض كف لها عن السلاطة وفي تمكنها من البعض حسم لها عن البلادة وهذا لعمرى اشبه المذاهب بالسلام لان التوسط في الامور اجد واذا قد مضى الكلام في المأكول والمشروب فينبغي ان يتبع بذكر الملبوس • اعلم ان الحاجة وان كانت في المأكول والمشروب ادعى فهي الى الملبوس ماسة وبها اليه فاقه لما في الملبوس من حفظ الجسد ودفع الاذى وستر العورة وحصول الزينة قال الله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فنعنى قوله انزلنا عليكم لباسا اى خلة لنا لكم ما تلبسون من الثياب يواري سواتكم اى يستر عوراتكم وسميت العورة سوءة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده وقوله وريشا فيه اربعة تأويلات احدها انه المال وهو

قول مجاهد والثاني انه اللباس والعيش والنعيم وهو قول ابن عباس رضي الله
 عنهما والثالث انه المعاش وهو قول معبد الجهني والرابع انه الجمال وهو قول
 عبد الرحمن بن زيد • وقوله ولباس التقوى فيه ستة تأويلات احدها ان لباس
 التقوى هو الايمان وهو قول قتادة والسدي والثاني انه العمل الصالح وهو قول
 ابن عباس رضي الله عنهما والثالث انه السميت الحسن وهو قول عثمان بن عفان
 رضي الله عنه والرابع هو خشية الله تعالى وهو قول عروة بن الزبير والخامس
 انه الحياء وهذا قول معبد الجهني والسادس هو ستر العورة وهذا قول عبد
 الرحمن بن زيد • وقوله ذلك خير فيه تأويلان احدهما ان ذلك راجع الى
 جميع ما تقدم من قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس
 التقوى ثم قال ذلك خير اي ذلك الذي ذكرته خير كله والثاني ان ذلك راجع الى
 لباس التقوى ومعنى الكلام وان لباس للتقوى خير من الرياش واللباس وهذا
 قول قتادة والسدي فلما وصف الله تعالى حال اللباس واخرجه مخرج الامتنان
 علم انه معونة منه لشدة الحاجة اليه واذا كان كذلك ففي اللباس ثلاثة اشياء
 احدها دفع الاذى والثاني ستر العورة والثالث الجمال والزينة فاما دفع الاذى
 به فواجب بالعقل لان العقل يوجب دفع المضار واجتلاب المنافع وقد قال الله
 تعالى والله جعل لاكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل
 لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم فاخبر بحالها ولم يأمر بها اكتفاء
 بما يقتضيه العقل واستغناء بما يفت عليه الطبع ويعنى بالظلال الشجر وبالاكنان
 جمع كن وهو الموضع الذي يستكن فيه ويعنى بقوله سراويل تقيكم الحر ثياب
 القطن والكتان والصوف، وبقوله وسراويل تقيكم بأسكم المدرع التي تقي البأس
 وهو الحرب فان قيل كيف قل تقيهم الحر ولم يذكر البرد وقال جعل لكم من الجبال
 اكنانا ولم يذكر السهل فمن ذلك جوابان • احدهما • ان القوم كانوا اصحاب
 جبال وخيام فذكر لهم الجبال وكانوا اصحاب جردون برد فذكر لهم نعمته عليهم
 فيما هو مختص بهم وهذا قول عطاء • والجواب الثاني • انه اكتفاء بذكر
 احدهما عن ذكر الآخر ان كان معلوما ان السراويل التي تقي الحر ايضا تقي
 البرد ومن اتخذ من الجبال اكنانا اتخذ من السهل وهذا قول الجمهور واما ستر

العورة فقد اختلف الناس فيه هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب سترها بالعقل لما في ظهورها من التبع وما كان قبها فالعقل مانع منه ألا ترى ان آدم وحواء لما أكلتا من الشجرة التي نهيا عنها بدت لهما سواتهما وطبقا ينجصان عليهما من ورق الجنة تذبها لعقولهما في ستر ما رأياه مستجباً من سواتهما لأنهما لم يكونا قد كلفا ستر ما لم يبد لهما ولا كلفاه بعد ان بدت لهما وقبل سترها وقالت طائفة اخرى بل ستر العورة واجب بالشرع لانه بعض الجسد الذي لا يوجب العقل ستره بقبه وانما اختلفت الموعرة بحكم شرعي فوجب ان يكون ما يلزم من سترها حكماً شرعياً وقد كانت قريش وأكثر العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل وصحة الالباب يطوفون بالبيت عراة ويحرمون على نفوسهم اللحم والودك ويرون ذلك ابلغ في القرية وانما القرب ما استحسنت في العقل حتى انزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يعني بقوله خذوا زينتكم الثياب التي تستر عوراتكم وكلوا واشربوا ما حرمتموه على انفسكم من اللحم والودك وفي قوله تعالى ولا تسرفوا تأويلان احدهما لا تسرفوا في التحريم وهذا قول السدي والثاني لا تأكلوا حراماً فانه اسراف وهذا قول ابن زيد فاوجب بهذه الآية ستر العورة بعد ان لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على ان سترها وجب بالشرع دون العقل واما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة من غير ان يوجب عقل او شرع وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين احدهما في صفة الملبوس وكيفيةه والثاني في جنسه وقيمه فاما صفة معتبرة بالعرف من وجهين احدهما عرف البلاد فان لاهل المشرق زيا مألوفاً ولاهل المغرب زيا مألوفاً وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات في اللباس مختلفة والثاني عرف الاجناس فان للاجناك زيا مألوفاً وللتجار زيا مألوفاً وكذلك لمن سواهما من الاجناس المختلفة عادات في اللباس وانما اختلفت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين ليكون اختلافهم سمة يميزون بهيا وعلامة لا يخفون معها فان عدل احد عن عرف بلده وجنسه كان ذلك منه خرقاً وحقماً ولذلك قيل العري القادح خير من الزي الفاضح واما جنس الملبوس وقيمه فمعتبر من وجهين

احدهما بالمكنة من اليسار والاعسار فان للموسر في الزى قدرا وللمسردونه والثاني بالمنزلة والحال فان لدى المنزلة الرفيعة في الزى قدرا وللخفص عنه دونه ليتفاضل فيه على حسب تفاضل احوالهم فيصبروا به متميزين فان عدل الموسر الي زى المسر كان شحا وبخلا وان عدل الرفيع الى زى الدنى كان مهانة وذلا وان عدل المسر الى زى الموسر كان تبيذرا وسرفا وان عدل الدنى الى زى الرفيع كان جهلا وتخلفا ولزوم العرف اليهود واعتبار الحد المقصود ادل على العمل وامنع من الذم ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اياكم لبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعض الحكماء لبس من الثياب ما لا يزيدك فيه العظما ولا يعيبوه عليك الحكماء وقال بعض الشعراء

* ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من شهر الثياب لباس *
 * اما الطعام فكل لنفسك ما تشاء * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس *
 واعلم ان المروءة ان يكون الانسان معتدل الحال في مراعاة لباسه من غير اكثار ولا اطراح فان اطراح مراعاتها وترك تفقدتها مهانة وذل وكثرة مراعاتها وصرف الهمة الى العناية لها دناءة ونقص وربما توهم بعض من خلاه من فضل وعري عن تمييز ان ذلك هو المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة لما يرى من تميزه بذلك عن الاكثرين وخروجه عن جملة العوام المسترذلين وحق عليه انه اذا تعدى طوره وتجاوز قدره كان اقبح لذكره وابعث على ذمه فكان كما قال المتنبي

* لا تجبن مضيا حسن بزته * وهل يروق دفيناً جودة الكفن *
 وحكى المبرد ان رجلا من قريش كان اذا اتسع لبس أرث ثيابه واذا ضاق لبس احسنها فقتيل له في ذلك فقال اذا اتسعت تزيت بالحدود واذا ضقت فبالهيئة وقد اتى ابن الرومي بابلغ من هذا المعنى في شعره فقال

* وما الحلى الا زينة لقيصة * يتهم من حسن اذا الحسن فصرا *
 * فاما اذا كان الجمال موفرا * لحسنك لم يفتح الى ان يزورا *
 ولذلك قالت الحكماء ليست العزة في حسن البرة وقال بعض الشعراء

* وترى سفبه القوم يدنس عرضه * سفها ويسخ نعله وشراكها *
 واذا اشتد كلفه بمراعاة لباسه قطعه ذلك عن مراعاة نفسه وصار اللبوس

عنده انفس وهو على مراعاته احرص وقد قيل في منشور الحكيم البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال خالد بن صفوان لاياس بن معاوية اراك لا تبالي ما لبست فقال البس ثوبا اقب به نفسى احب الى من ثوب اقبه بنفسى فكما انه لا يكون شديد الكلف بها فكذلك لا يكون شديد الاطراح لها فقد حكى عن ابن عائشة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ففطر اليه رث الهبئة فقال ما مالك قال من كل المال قد اتانى الله فقال ان الله تعالى يحب اذا انعم على امرئ نعمة ان ينظر الى اثرها عليه وقد قيل المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة وهكذا القول في علمانه وحشمه ان اشتد كلفه بهم صار عليهم قويا ولهم خادما وان اطرحهم قل رشادهم وظهر فسادهم فصاروا سببا لمتقه وطريقا الى ذمه لكن يكفهم عن سئ الاخلاق ويأخذهم باحسن الآداب ليكونوا كما قال فيهم الشاعر

* سهل الفناء اذا مررت بياحه * طلق اليمين مؤدب الخدام *

وليكن في تفقد احوالهم على ما يحفظ تجمله وبصون مبتذله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادهنوا يذهب البؤس عنكم والبسوا تظهر نعمة الله عليكم واحسنوا الى مما اليكم فانه اكتب لعدوكم وليتوسط فيهم ما بين حالتى اللين والخشونة فانه ان لان هان عليهم وان خشن مقتوه وكان على خطر منهم حكى ان المؤيد سمع ضحك الخدام في مجلس اتو شروان فقال اما تمتع هؤلاء الغلمان فقال اتو شروان اما بهم يهابنا اعداؤنا وقال ابو تمام الطائي

* حشم الصديق عيوبهم بحائه * لصديقه عن صدقه ونفاقه
* فليظرن المرء من علمائه * فهم خلائفه على اخلاقه *

واعلم ان للنفس حالتين حالة استراحة ان حرمتها اياها كلت وحالة تصرف ان أرحتها فيها تخت بالاولى بالانسان تقدير حاله حال نومه ودعته وحال تصرفه ويقظته فان لهما قدرا محدودا وزمانا مخصوصا يضر بالنفس مجاوزة احدهما وتغير زمانهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نومة الصبحة معجزة منفخة مكسلة مورمة مفشلة مناسبة للحاجة وقال عبد الله بن عباس رضى

الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق وهي الصبحة ونوم خلق وهي القائلة ونوم
 حقيق وهو العشي وقد روى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والتيلولة خلق ونوم
 البشى حقيق وقيل في منشور الحكميم من لزم الرقاد عدم المراد فاذا اعطى النفس
 حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف واليقظة خاص بالاستراحة من
 عجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها وحكى ان عبد الله بن عمر بن
 عبد العزيز دخل على ابيه فوجده نائماً فقال يا ابة أنام والناس بالباب فقال يا بني
 نفسى مطيق وأكره ان اتعبها فتقوم بى وينبغى ان يقسم حالة تصرفه ويقضته
 على المهم من حاجاته فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب
 المهم فكيف به ان تجاوز الى ما ليس بهمهم هل يكون الا

* كئناكة بيضها بالعرآء * وملبسة بيض اخرى جناحا *
 ثم عليه ان يتصفح في ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخاطر واجمع
 للفكر فان كان محموداً امضاه واتبعه بما شاكله وضاعاه وان كان مذموماً
 استدركه ان امكن وانتهى عن مثله في المستقبل فانه اذا فعل ذلك وجد افعاله
 لا تنفك من اربعة احوال اما ان يكون قد اصاب فيها الغرض المقصود بها
 او يكون قد اخطأ فيها فوضعها في غير موضعها او يكون قصر فيها
 فنقصت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت محدودها وهذا
 التصفح انما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة
 وينتبهز به استدراك الخطأ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره وكما يتصفح
 احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره فربما كان استدراكه الصواب
 منها اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى وخلو الخاطر من حسن الظن فان
 ظفر بصواب وجده من غيره او اعجزه جبل من فعله زين نفسه بالعمل به فان
 السعيد من تصفح افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد
 روى زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من
 وعظ بغيره وقال الشاعر

* ان السعيد له من غيره عظة * وفي التجارب تحكيم ومعتبر *

وانشدني بعض اهل العلم لظاهر بن الحسين

* اذا عجبتك خصال امرئ * فكفه يكن منك ما يعجبك *
 * فليس على الجسد والمكرما * ت اذا جثتها حاجب يحجبك *
 فاما ما يرويه من اعماله ويؤثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر
 فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الالاس منه، وجدت العافية فيه
 سلكه من اسهل مطالبه، والطف جبهاته ويقدر شرفه يكون الاقدام وان
 كان الالاس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التعزير ودناة الامر المطلوب فليحذر
 ان يكون له تعرضا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت
 بامر ففكر في عاقبته فان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقالت
 الحكماء طلب ما لا يدرك عجز وقال بعض الشعراء

* فاياك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر *
 * فما حسن ان يعذر المرء نفسه * و ليس له من سائر الناس عاذر *

وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات دهره عملا فان
 تخلق في كبره باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من
 هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر

* وكل باز يسهه هرم * تخرا على رأسه العصافير *

فكن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك سلما لاهل دهرك جاريا
 على عادة عصرك متقادا لمن قدمه الناس عليك متحتسا على من قدمك الناس
 عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمتنوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك فانه
 لا عيش امقوت ولا راحة لمعادى وانشد بعض اهل الادب لبعضهم

* اذا اجتمع الناس في واحد * وخالفهم في الرضا واحد *

* فقد دل اجماعهم دونه * على عقله انه فاسد *

واجعل نصيح نفسك غنيمة عتلك ولا تداهنها باخفاء عيبك واطهار عذرك فيصير
 عدوك اخفى منك في زجر نفسه بانكارك ومجاهرتك من نفسك التي هي اخص
 بك لاغرائك لها باعدارك ومساءتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه

الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق وهى الصبحة ونوم خلق وهى القائلة ونوم
 حرق وهو العشى وقد روى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والتيلولة خلق ونوم
 العشى حرق وقيل فى منشور الحكم من لزم الرقاد عدم المراد فاذا اعطى النفس
 حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف واليقظة خلاص بالاستراحة من
 مجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها وحكى ان عبد الله بن عمر بن
 عبد العزيز دخل على ابيه فوجده نائماً فقال يا ابة أنام والناس بالباب فقال يا بنى
 نفسى مطيئى وأكره ان اتعبها فتقوم بى وينبغى ان يقسم حالة تصرفه ويقظته
 على المهمل من حاجاته فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب
 المهمل فكيف به ان تجاوز الى ما ليس بهم هل يكون الا

* كتاركة بيضها بالعرء * وملبسة بيض اخرى جناح *
 ثم عليه ان يتصفح فى ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخاطر واجع
 للفكر فان كان محموداً امضاه واتبعه بما شاكله وضاهاه وان كان مذموماً
 استدركه ان امكن وانتهى عن مثله فى المستقبل فانه اذا فعل ذلك وجد افعاله
 لا تنفك من اربعة احوال اما ان يكون قد اصاب فيها الغرض المقصود بها
 او يكون قد اخطأ فيها فوضعها فى غير موضعها او يكون قصر فيها
 فنقصت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت حدودها وهذا
 التصفح انما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة
 وينتبهز به استدراك الخطأ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره وكما يتصفح
 احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره فربما كان استدراكه الصواب
 منها اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى وخلو الخاطر من حسن الظن فان
 ظفر بصواب وجده من غيره او اعجزه جيل من فعله زين نفسه بالعمل به فان
 السعيد من تصفح افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد
 روى زيد بن خالد الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من
 وعظ بغيره وقال الشاعر

* ان السعيد له من غيره عظة * وفى التجارب تحكيم ومعتبر *

وانشدني بعض اهل العلم لظاهر بن الحسين

* اذا اجبتك خصال امرئ * فكفه يكن منك ما يجيبك *
 * فليس على الجمد والمكرما * ت اذا جئتها حاجب يجيبك *
 فاما ما يرويه من اعماله ويؤثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر
 فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الالاس منه، وجدت العافية فيه
 سلكه من اسهل مطالبه، والطفه جهاته وبقدر شرفه يكون الاقدام وان
 كان الالاس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التعزير ودناءة الامر المطلوب فليحذر
 ان يكون له تعرضا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت
 بامر ففكر في عاقبه فان رشدا فأمضه وان كان غيا فانه عنه وقالت
 الحكماء طلب ما لا يدرك يحزن وقال بعض الشعراء

* فانك والامر الذي ان توسعت * موارد ضاقت عليك المصادر *
 * فما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر *

وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات دهره عملا فان
 تخلق في كبره باخلاق الصغر وتماطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من
 هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر

* وكل باز يمسه هرم * تخرا على رأسه العصا فير *

فكن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك سلما لاهل دهرك جاريا
 على عادة عصرك متقادا لمن قدمه الناس عليك متحسنا على من قدمك الناس
 عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمتنوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعاديوك فانه
 لا عيش احقوت ولا راحة لمعادي وانشد بعض اهل الادب لبعضهم

* اذا اجتمع الناس في واحد * وخالفهم في الرضا واحد *

* فقد دل اجاعهم دونه * على عقله انه فاسد *

واجعل نصح نفسك غنيمتة عتلك ولا تداهنها باخفاء عيبك واطهار عذرك فيصير
 عدوك اخفى منك في زجر نفسه بانكارك ومجاهرتك من نفسك التي هي اخص
 بك لا غرائك لها باعدارك ومساءتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه

وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعالك وقال بعض
 البلغاء من اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنهه اماميه وقال
 بعض الادباء من عرف معابه فلا يل من عابه وانشدني ابو ثابت النخوي لبعض
 الشعراء

* ومصرفة عيناه عن عيب نفسه * ولو بان عيب من اخيه لا يبصرا *
 * ولو كان ذا الانسان ينصف نفسه * لا تمسك عن عيب الصديق وقصرا *

فهذب ايها الانسان نفسك بافكار عيوبك وانفعها كنفعك
 لعدوك فان من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه
 المواعظ اعاننا الله واياك على القول
 بالعمل وعلى النصيح بالقبول
 وحسبنا الله

وكفى

م م

م



الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه اما بعد فان كتاب
 ادب الدنيا والدين للامام الكبير * العلامة الشهير * الغنى بشهرته عن
 الاطناب في المدح * الواضح متن فضائله فلا يحتاج لطول الشرح * مولانا
 ابى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى كتاب اشتمل من نتائج العقل *
 ومعارج الفضل * واسرار الشرع * ومحاسن الطبع * ما لا يستغنى عنه
 طالب دنيا ولا طالب اخرى * ويستحق به مؤلفه من كل من اطعم عليه
 جدا وشكرا * من آيات بينات * واحاديث محكمات * ونصائح عقلاء *
 ولطائف ادياء * وبدائع بلغاء * ونكت شعراء * وحكم حكماء * اتفق
 على حسنها ذووا الالباب * ولم يجتمع مثلها قبله ولا بعده في كتاب * وقد
 كان مع جلالة قدره وشهرة مؤلفه نادرا جدا * لا يكاد طالبه يظفر به
 ولو سمع بما سمع عدا ونقدا * حتى يسر الله طبعه هذه المرة في
 مطبعة الجوائب البهية * في القسطنطينية المحمية * مكملا بالدقة
 والتروى من الفقير يوسف النهانى على نسختين صحيحتين *
 واصنيف الى الصحة حسن الطبع ففاز بالحسينين * وقد
 تم طبعه * وسيم ان شاء الله نفعه * في غرة
 شهر شعبان المبارك من شهور سنة ١٢٩٩
 من هجرة سيد الرسل الكرام *
 عليه وعلى آله واصحابه
 افضل الصلاة
 والسلام

م م

م

❖ ❖

❖ فهرسة كتاب ادب الدنيا والدين ❖

	صفحة
باب فضل العقل وتم الهوى	٠٣
باب ادب العلم	١٨
باب ادب الدين	٦٠
باب ادب الدنيا	٩٤
باب ادب النفس	١٧٧

❖ طبعت برخصة نظارة المعارف الجليلية ❖

❖ معارف نظارت جليله سنك رخصتيله طبع قلمشدر ❖